مفتاح المعية

في دستور الطريقة النقشبندية



تأليف

الإمام عبد الغني النابلسي

تحقيق

الأستاذ الدكتور

جودة محمد أبو اليزيد المهدي

نائب رئيس جامعة الأزهر ـ عضو مجمع البحوث الإسلامية

د. محمد عبد القادر نصار

كلية الألسن ـ جامعة عين شمس





منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

من ذخائر التصوف الإسلامي

مِفتاح المَعيّة

في دُستور الطَّريقة النَّقشبندِيّة

(شرح رسالة سيدي الشيخ تاج الدين النقشبندي رضي الله تعالى عنه وعنا به في

آداب الطريقة النقشبندية)

تأليف

الإمام عبد الغني النابلسي

تحقيق وتعليق وتقديم

الأستاذ الدكتور

جودة محمد أبو اليزيد المهدي

نائب رئيس جامعة الأزهر – عضو مجمع البحوث الإسلامية

محمد عبد القادر نصار

كلية الألسن – جامعة عين شمس



الدار الجودية

الكتاب: مفتاح المعية في دستور الطريقة النقشبندية

المؤلف: الإمام عبد الغني النابلسي

المحقق: د. جودة محمد أبو اليزيد المهدي

الناشر: الدار الجودية

سنة الطباعة: ٢٠٠٨م - ١٤٢٩هـ

بلد الطباعة: القاهرة، مصر

الطبعة: الأولى

رقم الإيداع: ٢٩٢٧ / ٢٠٠٨

الترقيم الدولي: 977-6156-93-2

توزيع
دارة الكرز
للنشر والتوزيع

١٧ ش منشية البكري - مصر الجديدة

Darat al-Karaz,
17 Manshiyyat Al-Bakri St, Cairo

تليفون: ٠٢/٢٤٥٥١٣٠٤

Email: darkaraz@yahoo.com

مِفْتَاحُ الْمَعِيَّة

فِي دُسْتُورِ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي فتح على قلوب أوليائه العارفين، وتجلى لهم بأسمائه وصفاته فكشف لأرواحهم أسرار الوجود بأنواره الخفية التي محت ظلمات الحجب الخلقية فتحقق لهم الفتح المبين.

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الذي تجلى عليه ربُّهُ بصفة العلم الإحاطي فقال: «أنا أعرفكم بالله»[1]، وقال: «فعلمني كل شيء »[2]، وورَّثَ علمه لأهل بيته وأصحابه وللأولياء والعارفين.

اللهم صل وسلم وبارك على النور الذاتي والمنظر الصفاتي، مجلي الحقائق القرآنية، وصورة مادة التجليات الفرقانية، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون.

(أما بعد)

فإن مناط السعادة الأبدية – باتفاق الراسخين في العلوم الشرعية – على التحقق بكمال العبودية للحق جل وعلا، ورعاية حقوق الربوبية للحق جل وعلا، ولا يتحقق ذلك إلا بإصلاح القلوب وإفرادها لله عما سواه وهو مقصود (علم التصوف) كما صرح به أساطينه كالإمام الغزالي والعارف سيدي أحمد زروق[3] والإمام الشعراني، والضياء الكمشخانوي النقشبندي رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) انظر الحديث رقم (١٥١٨) من اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٣/ ١١٠.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٤/ ٤٧١)، وكذا عزاه له المتقي الهندي في الكنز برقم (٤٤٣٢١). وهو حديث اختصام الملأ الأعلى، ووردت هذه العبارة بألفاظ مختلفة قريبة المعنى في العديد من كتب السنة.

(٣) انظر: قواعد التصوف للإمام أحمد زروق بتصحيح وتنقيح الشيخ محمد زهري النجار ص٩.

ولتحقيق هذه الغاية السامية أوجد الحق تعالى أئمة الإصلاح من شيوخ التربية الصوفية في كل عصر ومصر لتربية النفس وإصلاح القلب والأخذ بأيدي السالكين إلى الله تعالى إلى أبواب الحضرة الإلهية.

ولأن نفوس البشر على أنماط لا حصر لها، وهي متباينة في طبعائها ومختلفة في نوعياتها: فقد تعددت وتنوعت مناهج لتربية وطرائق السلوك. ومن ثم كان القول الصوفي المأثور:(إلى الله تتعدد الطرائق بعدد أنفاس الخلائق).

وقال العارف بالله سيدي ضياء الدين أحمد النقشبندي قدس الله سره (فاعلم أن الله تعالى جعل للعبد أسبابا بعدد أنفاس الخلائق يصل بها إلى الحضرة الربانية)[1]

وقد أجلى العارف سيدي أحمد زروق ﵁ حكمة هذا التعدد في الطرق بقوله في قواعده:(في اختلاف المسالك راحة للسالك، وإعانة له على ما أراد من بلوغ الأرب والتوصل بالمراد.

فلذلك اختلف طرق القوم ووجوه سلوكهم.

فمن ناسك يؤثر الفضائل بكل حال، ومن عابد يتمسك بصحيح الأعمال.

ومن زاهد يفر من الخلائق. ومن عارف يتعلق بالحقائق.

ومن ورع يحقق المقام بالاحتياط، ومن متمسك يتعلق بالقوم في كل مناط.

ومن مريد يقوم بمعاملة البساط.

والكل في دائرة الحق بإقامة حق الشريعة، والفرار من كل ذميمة وشنيعة)[2].

هذا: ومن أجل الطرق الصوفية الموصلة إلى الله عز وجل طريق السادة النقشبندية قدس الله أسرارهم العلية، فإنها بجوهرها طريق الصحابة رضوان الله عليهم، ومشرب

---

(١) انظر جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم للإمام العارف سيدي ضياء الدين أحمد الكمشخانوي ص/ ١٣ ط الحلبي.

(٢) انظر قواعد التصوف للإمام العارف سيدي أحمد زروق ص٣٤ نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

آل البيت الأطهار، لأنها تستمد من رأس سلسلتها الصديقية أفضل الأمة سيدنا أبي بكر الصديق، ومن رأس سلسلتها الذهبية العلوية باب مدينة العلم سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه.

وينتظم في عقدها النضيد أكابر الأمة وشوامخ علمائها وعارفيها كسيدنا الإمام جعفر الصادق وسيدنا الإمام الحسن البصري وسيدنا الإمام أبي يزيد البسطامي، وسيدنا معروف الكرخي ومولانا الإمام الجنيد سيد الطائفة الصوفية قدس الله سره، وكذا الإمام عبد الخالق الغجدواني (رئيس الخواجكان)[1] والإمام محمد بهاء الدين النقشبندي (مجدد القرن الثامن) والإمام أحمد الفاروقي مجدد الألف الثاني قدس الله سره، والعارف الشريف الجرجاني وشيخ الإسلام ابن عابدين والإمام خالد البغدادي (مجدد القرن الثالث عشر) وتلميذه الإمام الألوسي خاتمة المفسرين المحققين وغيرهم ﷺ كثير وكثير من أكابر صلحاء الأمة وعلمائها رضوان الله عليهم أجمعين.

وإذا كان من ضرورة التعرف على مناهج الطرق الصوفية أن يكون لكل طريقة دليل معرفي ممثلاً في كتاب علمي لأحد العلماء المنتسبين إليها فإننا نجد - بحمد الله تعالى - فيضانا ربانيا من نتاج أئمة علماء الصوفية، وقد صرح العارف الضياء الكمشخانوي قدس الله سره إلى جملة من مصادر الطرق الصوفية في صدر كتابه (جامع الأصول) حيث قال:

فأما النقشبندية: فمذكورة في الرشحات[2]، ومكتوبات الإمام الرباني والنفحات والرسالة القدسية **والتاجية**[3]، والخادمي والخطاب لمحمد بارسا ومفتاح المعية.

---

(١) مصطلح (الخواجكان) بالفارسية يعني الشيوخ ولا تنطق الواو بها.

(٢) هو كتاب «رشحات عين الحياة» للشيخ علي بن حسين الواعظ الهروي رحمه الله.

(٣) وهي متن مفتاح المعية.

وأما القادرية: ففي بهجة الأسرار والغنية وقلائد الجواهر وفتوحات الغيب ونفحات القدس، والمناقب، والغوثية.

وأما الشاذلية: ففي المفاخر العلية والكواكب الزاهرة والمناقب والواردات.

وأما الرفاعية: ففي بهجة الرفاعي، والوصايا والمناقب.

وأما الأحمدية: ففي بهجة البدوي وشرح متن الغاية، والوصايا.

وأما الدسوقية: ففي الوصايا والمناقب.

وأما الأكبرية[1]: ففي الفتوحات المكية، والحلية، والتدبيرات، وحوض الحياة، والمناقب، والفصوص.

وأما المولوية[2]: ففي المثنوي، والثواقب، والمناقب، و(فيه ما فيه).

وأما الكبروية[3]: ففي فقرات نجم الدين، والتأويلات، والمناقب.

وأما السهروردية: ففي (العوارف)، و(تعرُّف علم التصوف).

وأما الخلوتية: ففي معيار العلوم وشرحه لعمر الفؤادي، وترجمة الحال والمناقب.

وأما الجلوتية: ففي خطاب الحق والمجالس الأربعين، والمسألة، والمناقب.

وأما البكداشية: ففي خطاب البيان، والحاودان، والمناقب.

وأما الغزالية: ففي الإحياء والحجة و المناقب..)[4]

---

(١) نسبة إلى الشيخ الأكبر سيدي محي الدين بن عربي قدس الله سره.

(٢) نسبة إلى مولانا جلال الدين الرومي شاعر الصوفية الأكبر وإمام مدرسة العشق الإلهي.

(٣) نسبة إلى الشيخ نجم الدين الكبرى (وكان يلقب بالطامة الكبرى) في علوم الحقائق ﷺ.

(٤) انظر جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم لسيدي ضياء الدين أحمد الكمشخانوي ص٣-٤.

وذكر جملة من الطرق الأخرى واتبعها بمصادرها العلمية الكبرى مثل تذكرة الأولياء والطبقات الشعرانية والكواكب الدرية ونفحات الأنس والرسالة القشيرية والإنسان الكامل وغيرها.

وهكذا نجد المصادر والمراجع العلمية الصوفية ملء السمع والبصر، ومع ذلك فإن ثمة غيبوبة علمية، وفقدانا للوعي الصوفي على الساحة الإسلامية بل والصوفية أيضاً إلا لدى ندرة من المتحققين والباحثين، مما يستوجب النهوض بنشر هذا التراث الصوفي النفيس الذي فيه قوت القلوب وإحياء الأرواح وتزكية النفوس.

وإن هذا الكتاب الذي نشرف بتحقيقه وخدمته وتقديمه للأمة الإسلامية اليوم هو (مفتاح المعية) اسما ومضمونا، فإنه يفتح لقارئه المخلص باب الحضرة الإلهية والمعية الربانية، لأن مؤلِفَيْه الإمامين سيدي تاج الدين الهندي وسيدي عبد الغني النابلسي قدس الله سرهما كلاهما ولي عارف بربه تعالى، فهما ينضحان بالعلم اللدني والعرفان الصوفي فضلاً عن التبحر العلمي الذي تنبئ عنه ترجمتاهما بعد التقدمة.

وهذا الكتاب المبارك على الرغم من أنه ليس من المطولات قد حوى علوما غزيرا وتأصيلات علمية نادرة، فهو يشتمل في فصوله السبعة التي فصلناها في ضوء تقرير مؤلفيه على دستور هذه الطريقة النقشبندية العلية، ولذا رأينا من واقع المضمون ولغة هذا العصر إدخال مصطلح (دستور) في عنوانه الذي يقتصر في غلافه الخطي على (مفتاح المعية في الطريقة النقشبندية) وفي داخل النص (مفتاح المعية في آداب الطريقة النقشبندية).

وذلك لأنه يتضمن أصول الطريقة وقواعد السلوك فيها لا سيما في شرح الكلمات الإحدى عشرة لرأس الطريقة النقشبندية سيدي الإمام عبد الخالق الغجدواني قدس الله سره.

وكذلك يعرفنا هذا الكتاب بتحقيق إسناد الطريقة النقشبندية إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويعرفنا بأصول الوصول إلى الله تعالى على منهاج هذه الطريقة العلية ثم بالآداب التي يجب على السالك التحقق بها لحصول الوصول المأمول.

وقد أسعدني في هذا العمل مشاركة تلميذي في الطريقة، النقشبنديُّ البحاثة الخبير بالتراث الإسلامي الدكتور محمد عبد القادر نصار المدرس بكلية الألسن فقد بذل جهدا طيبا في خدمة النصوص وتوثيقها والتعليق – معي – عليها فجزاه الله خير الجزاء.

وإننا لنزجي هذا الكتاب المضيء إلى أحباب الأولياء الصوفية خاصة وإلى طلاب الحقيقة في أمتنا المحمدية عامة قرباناً حب وانتماء وولاء لحضرة حبيب الله الأعظم سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وورثته إلى يوم الدين تحت راية ساداتنا النقشبندية العارفين برعاية شيخنا وجدنا الشيخ جودة إبراهيم محمد وخلفائه العارفين. جعلنا الله تعالى في معيتهم المشرفة في الدنيا وأبد الآبدين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم آمين.

خادم السادة النقشبندية والصوفية أجمعين
أ. د. جودة محمد أبو اليزيد المهدي
نائب رئيس جامعة الأزهر
وعضو مجمع البحوث الإسلامية
في الثامن من المحرم ١٤٢٩
ذكرى سيدي محمد أبو اليزيد المهدي

منهج التحقيق

١- حقق هذا الكتاب الشريف على أربعة مخطوطات للشرح ومخطوطين للمتن.

٢- بين نسخ الشرح الأربع بعض اختلاف ليس من نوع الاختلاف الواقع بسبب التصحيف، ونكاد نجزم أن الإمام النابلسي زاد في الشرح بعض عبارات وحذف أُخَر غالباً بسبب غموض المعنى في بعض مواضع النسخة الأصلية. وإن كانت كل النسخ تشير إلى تاريخ واحد لتأليف الكتاب بالطبع، إذ التنقيح لا يعد تأليفاً جديداً، ولم يكن مفهوم تعدد الطبعات معروفاً في ذلك الوقت كذلك.

٣- هذه الاختلافات بين النسخ أو الاضطراب في بعض المواضع – وإن لم يكن أي من ذلك مخلاً إخلالاً ملحوظاً بنص الكتاب- استنفدت منا جهداً كبيراً في ضبط نص الكتب تارة والتطبيق بين ألفاظ المتن الوارد في ثنايا الشرح وبين المتن الذي أثبتناه منفصلاً عن الشرح.

٤- نسخ الشرح الأربع كلها محفوظة بدار الكتب المصرية وتواريخ نسخها كما يلي:

(أ): وهي مصورة عن نسخة كانت بحوزة شيخنا وكان عليها الاعتماد في جمع الكتاب أولاً، وعدد أوراقها ٧٠ ورقة ومسطرتها ١٩ سطراً. ورقم الحفظ بدار الكتب غير واضح على هذه النسخة.

(ب): مصورة عن نسخة محفوظة بدار الكتب وعدد أوراقها ٣٥ وهو بحوزة شيخنا في هذه اللحظة وهي مكتوبة بخط نسخي دقيق ولا تقل مسطرتها عن ثلاثين سطراً وتتميز هذه النسخة بكون المتن يرد داخل أقواس. إلا أن بينها وبين النسخة (أ) اختلافاً كثيرا، كما أن الناسخ لم يحرص على وضع كل عبارات المتن داخل أقواس فحصل اختلاط كثير بين المتن والشرح مما قلل فائدة هذه النسخة القليلة التصحيف بالمقارنة مع سابقتها. وقد اعتمدنا عليها للمطابقة.

(ج) مصور عن نسخة دار الكتب المحفوظة برقم ١٦٤ تصوف، وعدد أوراقه ٨٧ وهي نسخة واضحة الخط كتب المتن فيها بمداد أحمر خفيف ضاع في التصوير للأسف مما قلل الاستفادة منها في ضبط المتن وفصله عن الشرح وهي المعضلة الرئيسة التي تواجه محقق الكتب المؤلفة بطريقة الشرح المزجي الذي يتداخل فيه المتن والشرح.

(د) مصور عن نسخة دار الكتب المحفوظة برقم ٩٦٢ تصوف طلعت وهي نسخة دقيقة قليلة الأخطاء استقدمناها في المراحل الأخيرة للعمل بغرض الترجيح واستيضاح مواضع اللبس، ويعيب هذه النسخة أنها مكتوبة بخط فارسي يتداخل مع بعضه أحياناً وأن المتن – كما في النسخة (أ) يعلوه خطوط تميزه، وهذه الطريقة تسبب اللبس لأن الخط يمتد ويقصر أحياناً فيلتبس الأمر على المحقق.

٥- نسختا المتن إحداهما محفوظة بالمكتبة الأزهرية والأخرى بدار الكتب المصرية، وبينهما اختلاف كثير في ألفاظ مفردة، وأحياناً يكون لفظ النسخة الأزهرية أجود وأحياناً أخرى بالعكس. وفي مخطوط دار الكتب سقط في كثير من المواضع وعجمة في العبارة، ناهيك بكونه محفوظاً بالدار دون عنوان ولا مؤلف إذ كلاهما مجهول.

٦- مخطوطة المتن الأزهرية كتب عليها أن المترجم هو العلامة أحمد بن إبراهيم بن علان الصديقي النقشبندي، وحيث إن بين المتنين اختلافاً فيعلم من ذلك أن الرسالة يتوفر لها ترجمتان على الأقل، والمترجم الثاني غير معروف لنا.

٧- شرح الإمام النابلسي يعتمد متناً يكاد يطابق المتن المحفوظ بدار الكتب المصرية لا متن ابن علان فصارت نسخة المتن الخاصة بدار الكتب هي المعتمدة في تحقيق متن الرسالة التاجية، وقد كنا نحب لو أثبتنا ما رأيناه أجود عبارة ومعنى في ترجمة سيدي ابن علان لكن اعتماد الشارح ﷺ على المتن الآخر حال دون ذلك.

٨- آثبتنا المتن منفصلاً عن الشرح وأثبتناه بخط أسود في ثنايا الشرح محصوراً بين أقواس هكذا: شرح **(متن)** شرح.

هذا فيما يتعلق بأخص عمل للمحقق وهو تيسير نص مفهوم للقارئ.

٩- أما خدمتنا للكتاب بما يزيد على ضبط نصه فشملت ما يلي:

١٠- مقدمة ضافية بين يد الكتاب تجسد روحه صاغها الأستاذ الدكتور جودة المهدي حفظه الله وهو عليها قدير بفضل الله تعالى.

١١- تعليقات عديدة وتوجيهات أثبتناها دفعاً لموهم أو بياناً لغمض أو زيادة لفائدة.

١٢- تخريج الآيات القرآنية وقد خرجناها في الهامش السفلي لا بين ثنايا المتن

١٣- تخريج أحاديث الكتاب وقد بذلنا في تخريج بعضها جهداً كبيراً – على قلتها- وهذا يظهر من الحواشي.

١٤- التعريف بصاحبي المتن وصاحب الشرح تعريفاً وافياً، وكذا ببعض الأعلام الوارد ذكرهم في الكتاب.

١٥- وضع عناوين جانبية لتيسير قراءة الكتاب وإفراد بداية كل فصل من فصوله ببداية صفحة.

ولا شك أن بلوغ الكمال من المحال، وليس من تحقيق إلا ويمكن أن يجود ويزاد فيه، فلا نقول إلا كما قال بعض سلفنا الصالح:

إن تجد عيباً فسد الخللا ... جلَّ من لا عيبَ فيه وعلا

ترجمة سيدي تاج الدين النقشبندي[1]

ترجم له العلامة محمد أمين المحبي في خلاصة الأثر فقال:

الشيخ تاج الدين بن زكريا بن سلطان العثماني النقشبندي الهندي شيخ الطريقة النقشبندية ورابطة الإرشاد إلى المنازل لسالكين في السلوك وواسطة الأمداد للمواهب الرحمانية من ملك الملوك.

كان شيخا كبيراً مهابا حسن التربية والدلالة على الوصول إلى الله تعالى صحبه خلق كثير من المريدين وممن صحبه ولازمه الأستاذ أحمد أبو الوفاء العجيل وولده الشيخ موسى والشيخ محمد ميرزا والأمير يحيى بن علي باشا وغيرهم.

ألف كتبا منها تعريب النفحات للعارف عبد الرحمن الجامي وتعريب الرشحات ورسالة في طريق السادة النقشبندية جمع فيها الكلمات القدسية المأثورة المروية عن حضرة الخوجه عبد الخالق الفجدواني المبنى عليها الطريق وشرحها بأحسن بيان[2] والصراط المستقيم، والنفحات الإلهية في موعظة النفس الزكية، وجامع الفوائد.

وقد افرد ترجمته تلميذه السيد محمود بن أشرف الحسنى في رسالة سماها تحفة السالكين في ذكر تاج العارفين وقال فيها: سمعته يقول: إنه قبل أن يصل إلى الشيخ إله بخش[3] في بداية أمره في غلبة الجذبات بعد توفيق التوبة بواسطة الخضر عليه السلام كان اشتغاله غالبا بالسياحة في طلب الشيخ، وكان ألزم نفسه الأمور المقررة في كتب المشايخ التي ينبغي للمريد أن يقيمها على نفسه قبل وصوله إلى الشيخ ثم بعد وصوله إليه لا يختار إلا ما اختاره، وكان تحضره أرواح المشايخ وحصل له الكشف فلما وصل

---

(١) اعتمدنا في هذه الترجمة على ما ذكره المحبي في خلاصة الأثر ونقله عنه سيدي النبهاني في جامع الكرامات.

(٢) وهي متن مفتاح المعية كما تقدم

(٣) ومعنى الاسم بالعربية: نعمة الله

إلى بلدة إجمير التي فيها قبر قطب وقته الشيخ معين الدين الجشتى حضرت له روحه وعلمه طريق النفي والإثبات على كيفية مخصوصة في طريق الجشتية يسمونها حفظ الأنفاس وأمره أن يجلس ويستعمل الذكر بهذه الطريقة في بلدة باكور التي فهيا قبر الشيخ حميد الدين الباكورى وهو من أجل أصحابه وقال إني ما جئت إلا اليوم بعد مدة مديدة لأجلك وإلا فأنا بمكة- لكثرة البدع التي يعملونها على قبره(١).

فسافر بموجب أمره إلى باكور وجلس بها يشتغل بالذكر المذكور ويزور أحيانا قبر الشيخ حميد الدين ويعلمه آداب الطريق فكان تظهر عليه الأنوار والتجليات والأحوال على طِبْقِ سلوك الجشتية، وقال إني في تلك السنة كنت أدخل في خلوة كانت داخل ثلاث بيوت في ليلة مظلمة وأصك الأبواب كلها، فكان يظهر لي نور مثل الشمس، ثم يزيد، ثم يحيط بالبيت ويصير ضوءٌ مثل ضوء النهار، فكنت اقرأ القرآن في ذلك الضوء، فحصل لي الأنس بذلك النور، حتى إني يوما من الأيام كنت أمر ببعض الطرق فإذا رجلٌ عنده رسالةٌ مكتوب فيها أن بعض الناس يحصل لهم في أوان الذكر نور فيغترون به وأخذت الرسالة مكتوباً فيها، وما رأيته بعد ذلك فزاد تعلقي به.

ثم يوما كنت جالسا عند قبر الشيخ حميد الدين فحضرت روحه وأراد أن يعطينَي خرقة الإجازة وكان مرادُه أن يأمر الواقعة بعضَ من كانوا على سنده من الخلفاء أن يعطيَني الخرقة، فقلت: لا أريد أن تعطيَني إلا بيدك، فقال الشيخُ: هذا خلاف سنة الله فاطْلب منه، فاستأذنت منه وخرجت في طلب الشيخ.

وكنت أسيح في الجبال والبراري والأغوار والأنجاد، وكنت أصل إلى المشايخ كثيرا فلم يحصل لي الاعتقاد لأحد منهم، وكان وصل في هذه المدة إلى الشيخ نظام الدين الباكوري وكان من المشايخ الجشتية فأراد الشيخ كثيرا أن يجلس عنده، فما جلس

---

(١) ليس المقصود بالبدع هنا ما هو جائز بل مستحبٌ من توسل وزيارة وتبرك واستمداد روحاني، بل المقصود والله أعلم تسلل طقوس من بيئة الهند إلى بعض الجهال واختلاط النساء بالرجال وغير ذلك من المحرمات.

عنده، ورأى كثيراً من مشايخ الوقت حتى وصل إلى الشيخ إله بخش فلما رآه حصل له فيه أقصى ما يكون من الاعتقاد، والشيخ ﷺ تلقاه بحسن القبول، وأظهر له أنه كان ينتظره.

وكان من طريقة الشيخ أن لا يلقن أحدا إلا بعد إدخاله في الخدمات والرياضات الشاقة التي تنكسر بها النفس وتحصل بها التزكية، فإن التزكية مقدمةٌ على التصفية عند أكثر المشايخ، **بخلاف النقشبندية** فإن طريقتهم على العكس، قالوا بعد ما يتوجه الإنسان إلى التصفية والتوجه الحق بالصدق فيحصل له من التزكية بإمداد جذبة من جذبات الرحمن في ساعة مالا يحصل لغيره من الرياضات والسياسات في سنين بناء على تقدم الجذبة عندهم على السلوك، فإن سلوكهم مستديرٌ لا مستطيل وإن أول قدمهم في الحيرة والفناء كما قاله الخوجه بهاء الدين النقشبندي: بدايتُنا نهايةُ الطرق الأخرى وقال أيضاً: معرفة الحق حرام على بهاء الدين أن لم تكن بدايته نهاية أبي يزيد البسطامي.

وقال الخوجة عبيد الله أحرار إن اعتقاد السلف[1] قد يذهب بالبعض إلى إنكار هذا الكلام مع أنه لا ينافي أمراً من الشرع بل حديث «مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره»[2] يدل على خلاف ذلك.

فقال له الشيخ إله بخش في الواقعة يا شيخ تاج: طريقُنا أن لا نلقن الذكر أحداً حتى يحمل الحطب والماء، فاشتغل أنت بحمل الماء إلى المطبخ ثلاثة أيام، قال فكان

---

(١) أي اعتقاد أفضلية أهل القرون الثلاثة الأولى التي هي أفضل القرون وإليها ينتسب سيدنا أبي يزيد البسطامي المتوفى سنة ٢٦١، قد تؤدي إلى الإنكار على كلام حضرة شاه نقشبند قدس الله سره، ولا يلزم منه إنكار إذ لا يعني الحديث فضل كل فرد من سلف القرون الثلاثة الأولى على من يأتي بعدهم، بل الفضل - باستثناء الصحابة وآل البيت ﷺ - إجمالي، أي لعصر على عصر لا لكل فرد من أفراد العصر على كل فرد من أفراد العصر الآخر.

(٢) رواه الترمذي (٢٧٩٥)، وأحمد في مسنده (١٨١٢٤)، و الطبراني في الأوسط (٣٨٠٢)، والشهاب القضاعي في مسنده (١٢٤٤).

يحمل فوق طاقته وكان تظهر منه الخوارق في تلك الأيام، وأُخبِرْتُ[1] أن أهل تلك البلدة يقولون إن الشيخ حين كان يحمل الجرة على رأسه ويمشى كنا نرى الجرة منفصلة عن رأسه مقدار ذراع، إلا أنني سمعته يقول ما لي علمٌ بهذا الأمر.

فبعد ما تم له ثلاثة أشهر قال له الشيخ إله بخش: اليوم قد تم أمرك؛ بسم الله، اشتغل بالذكر، وكان أمره بالخدمة المذكورة بالباطن. وقال له هذا الكلام بالظاهر، فلقنه ذكر العشقية فاشتغل بها ولا زال في خدمته حتى وصل إلى الكمال والتكميل.

ووالى سيدي الشيخ تاج خدمة سيدي الشيخ إله بخش عشر سنين خدمة خارجة عن طوق البشر، وأجازه بإرشاد المريدين، وما كان يناديه إلا بقوله يا تاج الدين. قال سيدي الشيخ تاج الدين وحصل لي ما كان بشرني به الشيخ إله بخش، إلا آن حصوله بالتدريج وبعد أمور منتظرة. قال الشيخ تاج الدين وكانت خدمته أنفع لي من الذكر وكل ما وجدته من الأحوال وجدته من الخدمة.

ثم ذكر نبذة من خوارقه ومعارفه فقال: سمعت من غير واحد من أصحاب الشيخ أن سيدي الشيخ كان جالسا يوما في بلدنا أمروهة فرفع رأسه فانفصل منه نور وقع على شجرة رمان فبعد ذلك اليوم كانت تلك الشجرة كلها ثمرها وورقها وخشبها درياقا مجرباً للناس يستشفون به وكانت هذه الكرامة ظاهرة حتى فنيت تلك الشجرة.

وسمعت أيضاً منهم أن الشيخ دخل يوما في بيت وقت القيلولة فرقد على سريره وخرج الأصحاب ثم رجعوا ولم يجدوا الشيخَ مكانه فتحيروا ثم ظهر الشيخ مكانه على السرير وقام واشتغل بالصلاة وما استطاع أحد أن يسأله عن ذلك. وسمعت أيضاً أن بنتاً صغيرة للشيخ كانت مريضة وكان الشيخ يتوضأ فألهمها الله أن شربت من غسالة رجليه عند الوضوء فشفيت بإذن الله.

---

(١) القائل هنا هو تلميذ سيدي تاج الدين السيد أشرف الحسني المتقدم ذكره الذي ينقل عنه المحبي الترجمة في خلاصة الأثر.

وسمعت أيضاً واحداً من أصحبنا الصالحين يذكر أن الشيخ كان يوما جالسا في مكان يتكلم في المعارف والحقائق، وفي أثناء ذلك الكلام يمزح مع أصحابه ويضحك، فخطر لبعضهم أن مقام المشيخة لا يناسب المزاح أو نحو ذلك، فاطلع على خاطره، وقال إن المزاح من سنة سيد المرسلين، فإنه كان يمزح مع أصحابه ولا يقول إلا حقاً، وذكر قصة وقوع ابن أم مكتوم في حضرته وضحك الأصحاب في الصلاة. ومنها أن واحدا من المكاشفين كان بشر بعض أصحاب سيدي الشيخ بأشياء فلما وصل إلى مكة كان مع الشيخ فخطر له أن الأمور التي كان بشره بها ذلك المكاشف ما ظهرت أسبابها وكان يختلج في سره أن ليس لقول ذلك المكاشف أثر، وإلا كيف الحال؟ ثم توجه إلى الشيخ فقال له قبل أن يُظهر شيئاً: إن أحداً من أولياء الله لو بشر أحد بشيء لا بد أن يظهر ولو بعد عشر سنين أو اثنتي عشرة سنة ففهم وحصل له السكون.

ثم سافر الشيخ من تلك البلدة .وسمعت أن الشيخ كان في أمر وهو .فمرضت امرأة صالحة من المشرق وكانت معتقدة له فالتجأت إليه فذهب إليها الشيخ يعودها فلما رأى حالها أخذته الشفقة عليها والرحمة لها وكانت قد أشرفت على الموت فأخذها في ضمنه فبرأت كأن لم يكن بها شيء فإن الأخذ في الضمن شيء مقرر عند الأكابر النقشبندية إلا أنه لا يتصور إلا قبل نزول ملك الموت فبعد نزوله لا بد من بدلٍ، كما أن الخوجة الخاموش قدس الله سره كان أخذ واحداً من العلماء وضمنه فشفى ساعتئذ.

وقال إني دعوت الله سبحانه في وقت لا يرد بثلاثة أشياء وقد استجيبت، أولها أن لا يصل إلى أحد ضرر مني وإن غضبت بمقتضى البشرية، والثاني أن يزول منى الكشف، والثالث أن كل من أخذ الطريق منى تكون خاتمته خيرا، أو يجعله الله منكراً على ومعرضا عني ثم يفعل الله به ما يشاء انتهى.

واعلم أنه وإن دعا بزوال الكشف وكذلك يظهر من كلامه، فإنه يقول كثيراً لأصحابه إن الشيخ إما أن يكون صاحبَ كشف فلا ينبغي للمريد أن يعرض عليه

حاله، بل العرض عليه حينئذ سوء أدب، أولاً يكون صاحب كشف، فينبغي أن يُعرض عليه. وقد يهم بسؤال أحوال المريدين فيفهمُ منه أنه يُظهر أنه ليس بصاحب كشف، إلا آن الظاهر أن له اطلاعاً تاما وإشراقا عظيما على الخواطر الأحوال، فقد جرى لنا معه أحوال وأمور كثيرة وكل هذا من قسم الفراسة التي هي أقوى وأرفع منزلة من الكشف انتهى.

ثم قال صاحب الترجمة اعلم أن شيخنا مجاز من الشيخ اله بخش بالطريقة العشقية وبالطريقة القادرية وبالجشتية والدارية، وله بحسب الباطن اجازة من رئيس كل طريق، وكذلك سمعت منه أنه سلك طريق الكبروية من روحانية الشيخ نجم الدين الكبرى في ربع النهار وأجازه، وله رسالة في بيان سلوكهم ذكر فيها أن سلوكهم يتم بتمام الأطوار السبعة في كل طور يطوى عشرة آلاف حجاب حتى يطوى في تمام الأطوار السبعة تمام السبعين ألف، ويصل إلى الله تعالى ولهذا تفصيل.

وهو مع هذا كان مقيداً بالتسليك بسلوك النقشبندية فإني رأيت في مكتوب له إلى بعض أصحابه ينصحه أن الأكابر النقشبندية هم أرباب الغيرة ثم ذكر أنه بعدما أجازني الخوجة محمد الباقي بالله ورخص لي واشتغلت بالتربية على طريق الأكابر النقشبندية لو كان يأتيني طالب يريد الطريقة العشقية أو غيرها ألقنه فيها وأربيه، حتى أن يوما حضرت روحانية الغوث الأعظم الخوجة عبيد الله أحرار للخوجة محمد الباقي وقال له: إن الشيخ تاج يأكل من مطبخنا ويشكر غيرنا فأخرجناه من النسبة فقال الخوجة محمد الباقي: اعف عنه هذه المرة حتى أخبره فكتب إلى الخوجة محمد الباقي في هذه الواقعة، فتركت كل ما كان غير هذه السلسلة، وحصرت التربية والتلقين فيها، انتهى كلامه بتصرف منا يسير.

فله طريق النقشبندية من الخوجة محمد الباقي وله من الخوجة الأمكنكي وله من مولانا درويش محمد وله من مولانا محمد زاهد وله من الغوث الأعظم عبيد الله أحرار،

وله من الشيخ يعقوب الجرخى، وله من حضرة الخوجة الكبير بهاء الحق والدين المعروف بنقشبند، وله من أمير سيد كلال، وله من قطب الأقطاب الخوجة محمد بابا السماسى، وله من حضرة الخوجة على الراميتنى، وله من حضرة الخوجة محمود الإنجيرفغنوي، وله من الخوجة عارف ريوكرى، وله من الخوجة عبد الخالق الغجدواني، وله من الشيخ أبي يعقوب يوسف بن أيوب الهمداني، وله من الشيخ أبي على الفارمدى وله من الشيخ أبي الحسن الخرقاني وله من سلطان العارفين أبي يزيد البسطامي وله من الإمام جعفر الصادق وله من القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ﷺ، وله من سلمان الفارسي، وله من أبي بكر الصديق ﷺ ومن سيد الكائنات ﷺ.

والنسبة إلى الإمام جعفر عن أبيه سيدي محمد الباقر عن سيدي علي زين العابدين عن سيدنا الحسين بن علي عن سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[1].

وكانت وفاته قبل غروب يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الأولى سنة خمسين وألف ودفن صبح يوم الخميس في ترته التي أعدها في حياته في سفح جبل قعيقعان وضريحه ظاهر يقصد للزيارة. وقعيقعان كزعفران جبل بمكة وجهه إلى أبي قبيس، وسمي بذلك لأن جرهم كانت تضع فيه أسلحتها فتقعقع فيه أو لأنهم لما تحاربوا قعقعوا بالسلاح والله تعالى أعلم.

---

(١) وتفصيل هذه النسبة المسماة بسلسلة الذهب مفصل بالكتاب عند الحديث عن سلاسل الطريقة النقشبندية.

ترجمة سيدي الإمام عبد الغني النابلسي[1]

ولد ﷺ في خامس ذي الحجة سنة ١٠٥٠، وهي نفس سنة وفاة مؤلف المتن الشيخ تاج الدين النقشبندي وهذا من عجائب الاتفاقات، ولعل شيخه في النقشبندية سيدي أبا سعيد البلخي أخذ عن التاج النقشبندي كذلك.

بل نقول إن هذا الكتاب الذي هو تحفة صوفية بكل المقاييس ألفه العارف الشيخ النابلسي سنة ١٠٨٧ كما تتفق كل النسخ، أي في سن السابعة والثلاثين، وهذا من الأعاجيب، ففتحه قوي ظاهر وعبارته تنم عن تحقق كامل، فلله دره، ولا نقول فيه إلا كما قال المرادي في «سلك الدرر» ونقل عنه سيدي يوسف النبهاني:

هيهات لا يأتي الزمان بمثله … إن الزمان بمثل لبخيل

قال سيدي يوسف النبهاني في جامع كرامات الأولياء:

الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي: الدمشقي الحنفي، أشهر الأولياء العارفين من عصره إلى الآن، أخذ عن كثير من أئمة العلماء والأولياء، وأخذ عنه كثير منهم، ولو لم يكن له ﷺ إلا تبحره في جميع العلوم وتأليفاته التي لا تعد ولا تحصى في جميع الفنون لكان ذلك كافياً وافياً، فكيف له مع ذلك المناقب المشهورة والكرامات المأثورة في حياته وبعد مماته، وحيث كانت كثيرة تأليفاته هي من أعظم الكرامات فلا بأس بذكر ما ذكره منها المرادي في تاريخه «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» فمما قاله في ترجمته ﷺ:

أستاذ الأساتذة وجهبذ الجهابذة قطب الأقطاب الذي لم تنجب بمثله الأحقاب، العارف بربه والفائز بقربه وحبه، ذو الكرامات الظاهرة والمكاشفات الباهرة.

---

(١) اعتمدنا في هذه الترجمة على ما أثبته سيدي يوسف النبهاني في (جامع كرامات الأولياء) ببعض التصرف. وقد ترجم له سيدي مصطفى البكري الذي أجازه القطب النابلسي في النقشبندية والشيخ كمال الدين الغزي العامري بكتابين مستقلين.

ثم بعد أن ذكر بعض مشايخه وتلاميذه من الأئمة الأعلام، ودروسه التي انتفع بها الخاص والعام قال وبايع في آخر عمره سنه وفاته جميع العباد بالملأ العام بين الأنام، وصدر له في أول عمره أحوال غريبة وأطوار عجيبة، واستقام بداره الكائنة بقرب جامع الأموي في سوق العبرانيين مدة سبع سنوات لم يخرج منها، ثم ذكر رحلته إلى دار الخلافة القسطنطينية والحجاز والقدس وغيرها.

ثم قال: وتآليفه كثيرة وكلها حسنة متداولة مفيدة، ونظمه لا يحصى لكثرته ومن تصانيفه «التحرير الحاوي بشرح تفسير البيضاوي» وصل فيه من أول سورة البقرة إلى قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ﴾[1] في ثلاث مجلدات وشرع في الرابع، ومنها «بواطن القرآن ومواطن العرفان» كله منظوم على قافية التاء المثناة وصل فيه إلى سورة «براءة»، فبلغ نحو الخمسة آلاف بيت، ومنها «كنز الحق المبين في أحاديث سيد المرسلين»، و«الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية» للبركوي الرومي، و«ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث»، و«جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص» للشيخ محيى الدين بن العربي قدس الله سره، و«كشف السر الغامض شرح ديوان ابن الفارض»، و«زهر الحديقة في ترجمة رجال الطريقة»، و«خمرة الحان ورنة الألحان شرح رسالة الشيخ أرسلان»، و«تحريك الإقليد في فتح باب التوحيد»، و«لمعان البرق النجدي شرح تجليات محمود أفندي الرومي» المدفون باسكدار، و«المعارف الغيبية شرح العينية الجيلية»، و«إطلاق القيود شرح مرآة الوجود»، و«الظل الممدود في معنى وحدة الوجود»، و«رائحة الجنة شرح إضاءة الدُجُنَّة»، و«وفتح المعين المبدي شرح منظومة سعدي أفندي»، و«دفع الاختلاف من كلام القاضي والكشاف»، و«إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود»، و«كتاب الوجود الحق والخطاب الصدق»، و«نهاية السول في حلية الرسول» ﷺ، و«مفتاح المعية شرح الرسالة النقشبندية»، و«بقية الله

(١) سورة البقرة الآية:٩٨.

خير بعد الفناء في السير»، و«المجالس الشامية في مواعظ أهل البلاد الرومية»، و«توفيق الرتبة في تحقيق الخطبة»، و«طلوع الصباح على خطبة المصباح»، و«الجواب التام عن حقيقة الكلام»، و«تحقيق الانتصار في اتفاق الأشعري والماتريدي على الاختيار»، و«كتاب الجواب عن الأسئلة المائة والإحدى والستين»، و«برهان الثبوت في تربة هاروت وماروت»، و«لمعان الأنوار في المقطوع لهم بالجنة والمقطوع لهم بالنار»، و«تحقيق الذوق والرشف في معنى المخالفة بين أهل الكشف»، و«روض الأنام في بيان الإجازة في المنام»، و«صفوة الأصفياء في بيان الفضيلة بين الأنبياء»، و«الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري»، و«أنوار السلوك في أسرار الملوك»، و«رفع الريب عن حضرة الغيب»، و«تحريك سلسلة الوداد في مسألة خلق أفعال العباد»، و«زبدة الفائدة في الجواب عن الأبيات الواردة»، و«النظر المشرفي في معنى قول الشيخ عمر بن الفارض: عرفت أم لم تعرف»، و«السر الخفي في ضريح ابن العربي» ﷺ، و«المقام الأسمى في امتزاج الأسما»، و«قطرة السماء ونظرة العلماء»، و«الفتوحات المدنية في الحضرات المحمدية»، و«الفتح المكي والملك الملكي»، و«الجواب المعتمد عن سؤالات أهل صفد»، و«لمعة النور المضية شرح الأبيات السبعة الزائدة من الخمرية الفارضية»، و«الحامل في الملك والمحمول في الفُلك في أخلاق النبوة والرسالة والخلافة والملك»، و«والنفحات المنتشرة في الجواب عن الأسئلة العشرة»، و«القول الأبين في شرح عقيدة أبي مدين»، و«كشف النور عن أصحاب القبور» وفيه كرامات الأولياء بعد الموت، و«بذل الإحسان في تحقيق معنى الإنسان»، و«القول العاصم في قراءة حفص عن عاصم» نظماً على قافية القاف، وشرح هذا النظم، و«صرف العنان إلى الملاحة في علم الفلاحة»، و«تعطير الأنام في تعبير المنام»، و«القول السديد في جواز خلف الوعيد والرد على الرجل العنيد»، و«رد التعنيف على المعنف وإثبات جهل هذا المصنف»، و«هدية الفقير وتحية الوزير»، و«القلائد في موائد الفوائد» في فقه الحنفية، على ترتيب

أبواب الفقه، و«كتاب ريح الإفادات في ربع العبادات»، و«كتاب المطالب الوفية شرح الفرائد السنية»، منظومة الشيخ أحمد الصفدي، و«ديوان الإلهيات الذي سماه «ديوان الحقائق وميدان الرقائق»، و«ديوان المدائح النبوية المسمى بـ«نفحة القبول في مدحة الرسول»، وهو مرتب على الحروف، و«ديوان المدائح المطلقة والمراسلات والألغاز وغير ذلك»، وديوان «الغزليات المسمى خمرة بابل وغناء البلابل»، و«غيث القبول همى في معنى: جعلا له شركاء فيما آتاهما»، و«رفع الكساء عن عبارة البيضاوي في سورة النساء»، و«جمع الأشكال ومنع الإشكال عن عبارة تفسير البغوي»، و«الجواب عن عبارة في الأربعين النووية في قوله: رويناه»، و«رفع الساتر»، و«العقد النظيم في القدر العظيم في شرح بيت من بردة المديح»، و«عذر الأئمة في نصح الأمة»، و«جمع الأسرار في منع الأشرار عن الطعن في الصوفية الأخيار»، و«جواب سؤال ورد من طرف بطرك النصارى في التوحيد»، و«فتح الكبير بفتح راء التكبير»، و«رسالة في سؤال عن حديث نبوي»، و«تحقيق النظر في تحقيق النظر في وقف معلوم»، و«جواب سؤال في شرط واقف من المدينة المنورة»، و«كشف الستر عن فرضية الوتر»، و«نخبة المسألة شرح التحفة المرسلة في التوحيد»، و«بسط الذراعين بالوصيد في بيان الحقيقة والمجاز في التوحيد»، و«رفع الاشتباه عن علمية اسم الله»، و«حق اليقين وهداية المتقين»، و«رسالة في تعبير الرؤيا سئل عنها»، و«إرشاد المتملي في تبليغ غير المصلي»، و«كفاية المستفيد في علم التجويد»، و«الرسالة في نكاح المتعة»، و«صلاح الحمامة في شروط الإمامة»، و«تحفة الناسك في بيان المناسك»، و«بغية المكتفي في جواز الخف الحنفي»، و«الرد الوفي على جواب الحصكفي في رسالة الخف الخفي»، و«حلية الذهب الإبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز»، و«رنة النسيم وغنة الرخيم»، و«فتح الانغلاق في مسألة عليّ الطلاق»، و«الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية»، و«الرد المتين على منتقص العارف محيي الدين»، و«الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز»،

و«وسائل التحقيق في رسائل التدقيق في مكاتبات علمية»، و«إيضاح الدلالات في سماع الآلات»، و«تخيير العباد في سكنى البلاد»، و«رسالة في الحث على الجهاد»، و«اشتباك الأسنة في الجواب عن الفرض والسنة»، و«الابتهاج في مناسك الحج»، و«الأجوبة الأنسية عن الأسئلة القدسية»، و«تطييب النفوس في حكم المقادم والرؤوس»، و«الغيث المنبجس في حكم المصبوغ بالنجس»، و«إشراق المعالم في أحكام المظالم»، و«رسالة في احترام الخبز»، و«إتحاف من بادر إلى حكم النوشادر»، و«الكشف والتبيان عما يتعلق بالنسيان»، و«النعم السوابغ في إحرام المدني من رابغ»، و«سرعة الانتباه لمسألة الاشتباه»، في فقه الحنفية، و«رسالة في جواب سؤال من بيت المقدس»، و«تحفة الراكع الساجد في جواز الاعتكاف في فناء المساجد»، و«جواب سؤال ورد من مكة المشرفة عن الاقتداء من جوف الكعبة»، و«خلاصة التحقيق في حكم التقليد والتلفيق»، و«إبانة النص في مسألة القص»، أي قص اللحية، و«الأجوبة البتة عن الأسئلة الستة»، و«رفع العناد عن حكم التفويض والإسناد في نظم الوقف»، و«تشحيذ الأذهان في تطهير الأدهان»، و«تحقيق القضية في الفرق بين الرشوة والهدية»، و«نقود الصور شرح عقود الدرر فيما يفتى به على قول زفر»، و«الكشف عن الأغلاط التسعة في بيت الساعة من القاموس»، و«رسالة في حكم التسعير من الحكام»، و«تقريب الكلام على الأفهام في معنى وحدة الوجود»، و«النسيم الربيعي في التجاذب البديعي»، و«تنبيه من يلهو عن صحة الذكر بالاسم هو»، و«الكواكب المشرقة في حكم استعمال المنطقة من الفضة»، و«**نتيجة العلوم ونصيحة علماء الرسوم في شرح مقامات السرهندي المعلوم**»، و«رسالة في معنى البيتين: رأت قمر السماء فأذكرتني» إلى آخره، و«وتكميل النعوت في لزوم البيوت»، و«سؤال ورد في بيت المقدس ومعه جواب منه»، و«الجواب الشريف للحضرة الشريفة أن مذهب أبي يوسف ومحمد هو مذهب أبي حنيفة»، و«تنبيه الأفهام على عمدة الحكام»، شرح منظومة القاضي محيى الدين

الحموي، و«أنوار الشموس في خطب الدروس»، و«مجموع خطب التفسير» وصل إلى ستمائة خطبة واثنتين وثلاثين، و«الأجوبة المنظومة عن الأسئلة المعلومة من جهة المقدس»، والتحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية»، و«التعبير في التعبير» نظماً من بحر الرجز، و«تحصيل الأجر في حكم أذان الفجر»، و«قلائد المرجان في عقائد الإيمان»، و«الأنوار الإلهية شرح المقدمة السنوسية»، و«غاية الوجازة في تكرار الصلاة على الجنازة»، و«شرح أوراد الشيخ عبد القادر الكيلاني»، و«كفاية الغلام في أركان الإسلام»، و«منظومة مائة وخمسون بيناً»، و«رشحات الأقلام شرح كفاية الغلام»، و«الفتح الرباني والفيض الرحماني»، و«بذل الصلات في بيان الصلاة على مذهب الحنيفة»، و«نور الأفئدة شرح المرشدة»، و«إسباغ المنة في أنهار الجنة»، و«نهاية المراد شرح هدية ابن العماد»، في فقه الحنفية، و«نزهة الواجد في الصلاة على الجنائز في المساجد»، و«صرف الأعنة إلى عقائد أهل السنة»، و«سلوى النديم وتذكرة العديم»، و«النوافح الفائحة بريا الرؤيا الصالحة»، و«الجوهر الكُلي شرح عمدة المصلي»، و«حلية القاري في صفات الباري»، و«الكوكب الوقاد في حسن الاعتقاد»، و«كوكب الصبح في إزالة ليل القبح»، و«العقود اللؤلؤية في طريق المولوية»، و«الصراط السوي شرح ديباجة المثنوي»، و«بداية المريد ونهاية السعيد»، و«نسمات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار» وهي البديعية وشرحها «نفحات الأزهار على نسمات الأسحار»، و«القول المعتبر في بيان النظر»، و«رسالة في العقائد»، و«حلاوة الآلا في العبير إجمالا»، و«المقاصد الممحصة في بيان كي الحمصة»، و«رسالة أخرى في كي الحمصة»، و«زيادة البسطة في بيان العلم نقطة»، و«اللؤلؤ المكنون في حكم الإخبار عما سيكون»، و«رد الجاهل إلى الصواب في جواز إضافة التأثير إلى الأسباب»، و«القول المختار في الرد على الجاهل المحتار»، و«دفع الإيهام جواب سؤال»، و«الكوكب المتلالي شرح قصيدة الغزالي»، و«رد المفتري عن الطعن في الششتري»، و«التنبيه من النوم في

حكم مواجيد القوم»، و«إتحاف الساري في زيارة الشيخ مدرك الفزاري»، و«ديوان الخطب المسمى بيوانع الرطب في بدائع الخطب»، و«الحرص المورود في زيارة الشيخ يوسف والشيخ محمود»، و«مخرج الملتقي ومنهج المرتقي »، و«منظومة في ملوك بني عثمان»، و«ثواب المدرك لزيارة الست زينب والشيخ مدرك»، و«عيون الأمثال العديمة المثال»، و«غاية المطلوب في محبة المحبوب»، و«مناغاة القديم ومناجاة الحكيم»، و«الطلعة البدرية شرح القصيدة المضرية»، و«الكتابة العلية على الرسالة الجنبلاطية»، و«ركوب التقيد بالإذعان في وجوب التقليد بالإيمان»، و«رد الحجج الداحضة على عصبة الغيّ الرافضة»، و«شرح نظم قبضة النور المسمى نفخة الصور ونفحة الزهور»، و«مفتاح الفتوح في مشكاة الجسم»، و«زجاجة النفس ومصباح الروح»، و«صفوة الضمير في نصرة الوزير»، و«شرح نظم السنوسية المسمى باللطائف الأنسية على نظم الصلاة والسلام من صلى على واحدة صلى الله عليه عشراً»، و«أنس الخاطر في معنى من قال أنا مؤمن فهو كافر»، و«تحرير عين الإثبات في تقرير عين الأثبات»، و«تشريف التقريب في تنزيه القرآن عن التعريب»، و«الجواب العلي عن حال الولي»، و«فتح العين عن الفرق بين التسميتين»، يعني تسمية المسلمين وتسمية النصارى»، و«الروض المعطار بروائق الأشعار»، و«الصلح بين الإخوان في حكم إباحة الدخان»، وله ﷺ غير ذلك من التصانيف والتحريرات والكتابات والنظم.

ثم قال بعد أن أثنى عليه كثيراً بما هو أهله: وله كرامات لا تحصى، وكان لا يحب أن تظهر عليه ولا أن تحكى عنه، هذا مع إقبال الناس عليه ومحبتهم له واعتقادهم فيه، إلى أن قال: وبالجملة فهو الأستاذ الأعظم والملاذ الأعصم والعارف الكامل والعالم الكبير العامل القطب الرباني والغوث الصمداني، وقد حاز تاريخي هذا كمال الفخر، حيث احتوى على مثل هذا الإمام الذي أنجبه الدهر وجاء به العصر قال: هو أعظم من ترجمته علما وولاية وزهداً وشهرة ودراية. وكانت وفاته في دمشق سنة ١١٤٣، ودفن في الصالحية.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

مقدمة المصنف

قال مولانا قدوة المشايخ الأسرارية: الحمد لله الذي شرح بالتجليات الأزلية رسالة صفاتِه بينةً بينةْ ، ورفعَ بالتصورات الكونيةِ قناعَ أسمائِه وأزال بِعادَه[1] وبَيْنَه، والصلاة والسلام على من أبان بعينِه عينَه، ومحا بنقطة غينِه غينَه، ورضوان الله تعالى عمن آل بالنسب أو الاتباع إلى [حَقِيقتِهِ][2] الصادقة وترك مينَه[3]، وعمن صحبه بالرؤية الجسمانية والروحانية، وطلي بذهبِه لُجَيْنَه، وعن التابعين في هذا الدين كلَ وقت وحين.

(أما بعد) فيقول أسير الذنوب وإناءُ النقائص والعيوب عبد الغني بن إسماعيل النابلسي نسباً، الحنفي مذهباً، القادري مشرباً، الدمشقي وطناً، النقشبندي سراً وعلناً، خادم نعال الفقراء بحاله وقاله أتحفه الله بالمنى:

أشار إلي من إشارته تُنهِض للسالك، وإرادته صادرة[4] عن إرادة القدير المالك، المحفوظُ بالعناية في البداية والنهاية، الشيخ أبو سعيد النقشبندي البلخي أمده الله بالمدد الدائم، وجعله في الدارين [به][5] قائم[6]، أن أشرح الرسالة المعربة من اللغة الفارسية إلى

(١) (ج): إبعاده، والضمير في بعاد يعود غالباً على الحق تعالى فيكون المعنى أزال بعده المتوهم الناتج من الحجاب وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد.

(٢) ساقط من (أ).

(٣) أي ترك المخالفة لحضرة النبي ﷺ.

(٤) في (ج) صادقة.

(٥) سقط من (ج).

(٦) لعله على تقدير مضاف (أي خير قائم) وإلا فمقتضى الظاهر أن ينتصب مفعولاً ثانياً لـ (جعل).

اللغة العربية المنسوبة الجمع والترتيب إلى العارف الكامل والعالم العامل الشيخ تاج الدين النقشبندي (نَوَّرَ الله ضريحه وقدس [في برزخه][1] روحه)، التي صنفها في بيان آداب الطريقة الطاهرة النقشبندية المؤسسة على قواعد أهل السنة والجماعة، وكشف فيها عن الأحوال الشريفة والمقامات المنيفة إرشاداً للسالكين، وإنقاذاً للهالكين، فامتثلت إشارته، وأردت إرادته، واغتممت مقصوده طمعاً في دوام مقام العبودية، وأظهرت في هذا الشرح ما انطوت عليه هذه الرسالة المأنوسة من الأسرار المحفوظة في صدور الذين أوتوا العلم والأنوار المحروسة، وقرَّبتُ[2] لمعانيها في منازل مبانيها على طريقه المعلم، ومن المشهور عند الجمهور أن الكلام على مقدار المتكلم، **وسميتها (مفتاح المعية في [بيان][3] طريق النقشبندية)**، ومِن الله تعالى أستمدُ الإعانة على هذه المخاطرة في طريق الإبانة، وهو ولي التوفيق إلى سواء الطريق.

---

(١) (ج): وقدس سره وروحه.

(٢) (ج): وإيضاح معانيها، وفي بقية النسخ: تراءت، وترائيت، لا يبين بهما معنى، وما أثبتناه قريب من رسم الكلمتين، ولصيق في العبارة بكلمة «لمعانيها» التالية. وهذا بعد طول تأمل في اللفظ والمعنى ولله المنة.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (أ).

قال رضي الله عنه[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم

أي ابتدائي بكل اسم من أسماء الله تعالى، على معنى إيجاد ما أُريدُ إيجادَه من جميع الأمور أُوجِدُه مَجازاً بأسماء الله تعالى ويوجِدُه تعالى حقيقة بأسمائه، فهو الفاعل الحقيقي وأنا الفاعل المجازي، فالظهور لي مجاز، وله حقيقة، **والبطون لي حقيقة، وله مجاز**. وذلك من حيث وجود العبد والرب عقلاً وشرعاً، وإليه يرجع الأمر كله، أي إلى الوجود الحقيقي المنزه عن المراتب، فلا عبد ولا رب[2]، بل هو الله الذي لا إله إلا هو.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد

(**الحمد**) أي الوصف - بالوجود الكوني للوجود العيني على الجميل الغيني، فإن الحجاب رحمة، كما قال الشاعر:

ولو أني ظهرت بلا حجابٍ ... لتَيَّمْتُ[3] الخلائق أجمعينا

ولكن في الحجابِ لطيفَ معنى ... به تحيا قلوبُ العاشقينا

---

(١) في (أ): «عنه وعنا».

(٢) المراد بهذا التعبير الموهم أن المقام هنا لمرتبة الألوهية للذات القدسية، لا الربوبية، **مع ثبوتها في نفسها**، والمعنى -- إن شاء الله تعالى -- أن الذات الأحدية تقدست وتعالت لا تطلب الكون الذي تطلبه الربوبية لتظهر آثار أحكامها أي الربوبية، فلا بقاء لمرتبة مع الذات المجردة الأحدية المطلقة عن كل تقييد وعن كل تعلق بالأكوان. ودليل ذلك قوله بعده بل هو الله لا إله إلا هو. فهذا الكلام يتوجه إلى حضرة الذات الأقدس ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ (فاطر:١٥)، فعبر في كلا الحالتين بالاسم «الله» الذي هو علم على الذات المحض مجرداً عن الصفات والتعلقات ولم يعبر بالاسم «الرب» لكونه يطلب مربوباً كي تظهر آثار الربوبية.

(٣) في (ب): لتيمنت.

وهذا الجميل هو الرحمة التي وسعت كل شيء، ولهذا قال ﴿الله﴾ وأتى بالاسم الجامع لجميع الأسماء، لأن بكل[1] شيء ظهورَ الرحمة الإلهية على حسب أنواع المراتب الكونية.

ثم قال (**رب**) أي مالك (**العالمين**) فالربوبية بعد الإيجاد، فالرحمن أوجد والرب فصّل[2]، والله باطن الرحمن، كما أن الرحمن ظاهره، ولهذا قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[3] وقال: هو ﴿ٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾

(**والصلاة**) أي الرحمة بالإيجاد، (**والسلام**) أي الأمان بالإمداد، (**على سيدنا**) أي من ساد علينا بحقيقته النورية السارية في حقائقنا[4] الظلمانية.

(**محمد**) [ﷺ] ، سُمِّيَ بذلك لأن كل شيء يَحمَدُه من حيثُ وجودُه النورانيُ المَمَدُ بالعناية الأزلية، فهو حاكمٌ على كل شيء بما يقتضيه ذلك الشيء، وكل شيء حامد لأتمِّ استعداده، فهو حامدٌ لمعطيهِ[5] حكمَه الخاصَ به، فسُمي محمداً لهذا السبب تسميةً[6] إلهامية من نطق[7] الوجود، لا من حيث النفوس والعقول.

وآله وصحبه أجمعين

وعلى (**آله**) أي مَنْ آلَ إليه ﷺ من حيث النسب، أو الاتباع وهو نسب روحاني، فالنسب جسماني ورُوحاني. وآلَ أي رَجَعَ، والراجعون إليه ﷺ شتى: منهم من يرجع

(١) في (أ): كل.

(٢) في (أ): فضل.

(٣) سورة الإسراء آية: ١١٠.

(٤) (أ): حقائق.

(٥) الضمير في «يعطيه» يعود على سيدنا رسول الله ﷺ، وفي «هو» على «كل شيء»

(٦) (ج): تسميته.

(٧) (ج): لطف.

إليه في مقام خاص فترتفع عنه ظلمانيته وتبقى نورانيتُه التي هي لمحة من نور محمد ﷺ، ومنهم من يرجع إليه في جميع مقاماته وهم الكُمَّل من الرجال فترتفع عنه نورانيته ويصير هو[1] ذلك النور كله.

وقد أشرت إلى هذين المقامين من أبيات على طريقة التدلل[2]:

وما أنا إلا هُيولَى الورى ولمحةُ نور من المصطفى

ثم قال (**وصحبِه**) أي من اجتمع به ﷺ في عالم الأجسام أو عالم الأرواح وهم الأبرار والآل المقربون، فإن صحبة الشيء ليست كالاتحاد به، ولهذا مُزِجَت الخمرة للأبرار، وشَرِبَهَا المقربون صِرفاً ﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[3].

(**أجمعين**) تأكيد للآل والصحب حتى لا يخرج عنهم أحد، فيكمل الإيجاد والإمداد للنبي ﷺ في جميع أطواره المُلْكية والملكوتية، فينحفظ الوجود في عينه ولونه.

اعلم وفقنا الله تعالى وإياك أن معتقد السادة[4] النقشبندية قدس الله تعالى أسرارهم[5]، هو معتقد أهل السنة والجماعة[6]

(**اعلم**) أيها الطالب لمعرفة الله تعالى، [وهي][7] كلمة تفتح بها الأبحاث المهمة

---

(١) هو قد تعود على نور سيدنا النبي ﷺ والمعنى يصير سيدنا رسول الله ذلك النور الذي تنطوي عليه ذات العبد الكامل؛ وقد تعود على العبد الكامل، أي فيصير العبد الكامل نور النبي ﷺ كله لفنائه في ذاته ﷺ.

(٢) (أ): التدلي.

(٣) سورة المطففين آية: ٢٧ - ٢٨.

(٤) في (ب): سادات.

(٥) في (ب): أرواحهم.

(٦) يلاحظ أن ابتداء هذه الرسالة ببيان العقيدة الصحيحة مؤشر هام لاعتبار أن صحة العقيدة هي أساس هذه الطريقة النقشبندية العلية.

(٧) ساقط من (أ).

قال الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[1] (**وفقنا**) - أي جعلنا موفقين- (**اللهُ تعالى**) بأن خلق لنا إرادةً لما يرضى به من الأعمال وخلق لنا ذلك العمل، (**وإياك**) يا أيها الطالب للمعرفة (**أن معتقد**) أي الذي يعتقده في العقد والربط، إشارةً إلى أن الاعتقادات إذا لم يربط عليها القلب من غير شك ولا تردد لا اعتبار لها وهي كفر، قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[2]، ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾[3].

(**السادة**) جمع سيد مشتق من السيادة وهي رفعة الشأن (**النقشبندية**) أي المنسوبين إلى (**نقشبند**)، اسم فارسي للشيخ بهاء الدين ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى في أصل الرسالة (**قدس**) أي طهر من أدناس الأغيار (**الله تعالى**) أرواحهم الطاهرة وأسرارهم الظاهرة، (**هو**) أي ذلك كله بعينه (**معتقد**) أي الذي تعتقده أئمة (**أهل**) - أي أصحاب- (**السنة**) النبوية المحمدية (**والجماعة**) المتبعين للحق المبين من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين من غير تغيير ولا ابتداعٍ ولا تبديل ولا اختراع، أي السادة النقشبندية وأهل السنة والجماعة.

وطريقتُهم دوامُ العبودية التي لا تُتصورُ بغير أداءِ العبادة، وهي عبارةٌ عن دوامِ الحُضورِ مع الحقِ[4] سبحانَه وتَعالَى

(**دوام**) أي المداومة في الليل والنهار والسفر والإقامة والصحة والمرض الحزن والفرح والاجتماع والانفراد والباطن والظاهر قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾

---

(١) سورة محمد آية: ١٩.

(٢) سورة يوسف آية: ١٠٦.

(٣) سورة يونس آية: ٣٦.

(٤) في (ب): الله.

(العبودية) من غير انفكاك عنها، حتى لو انفك عنها في بعض الأحيان وغفل بسبب من الأسباب الدنيوية والأخروية، فقد خرج في ذلك الوقت عن طريقتهم والتحق بجملة عامة المؤمنين الغافلين حتى يعود إليها فيدخل فيها.

(التي) نعت للعبودية، **(لا تتصور)** أبداً أي لا يمكن أن توجد في أحد من الناس مجردة **(بغير أداء)** العبادة أي الطاعة لله تعالى قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً؛ وذلك لأن العبد له ثلاثة أحوال: إما أن يكون في عبادة أو في معصية أو في إباحة، فإن كان في عبادة أمكن أن تكون له العبودية معها وأن لا تكون، وإن كان في معصية لا يمكن أن تكون له العبودية أبداً حتى يرجع عن تلك المعصية بالتوبة، والتوبة عبادة فتكون له العبودية معها، ومرادنا بأن يكون في معصية أن يكون مشتغلاً بتلك المعصية بحيث يغفل عن إيمانه في ذلك الحال بأن تلك المعصية منهي عنها من جهة الله تعالى من غير جحود لكونها معصية، وإلا فهو كافر بالله تعالى.

وأما إذا كان في معصية وهو مؤمن بأنها معصية نهى الله تعالى عنها غير غافل عن ذلك ولا جاحد له، فإيمانه بأنها معصية نهى الله تعالى عنها عبادةٌ له بالاعتقاد، وإن كانت المعصية في الظاهر[1]؛ فإن العبودية يمكن أن تكون له في ذلك الحال، كما نقل عن الجنيد ﷺ أنه لما قيل له: أيزني الولي؟ قال: وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

وإن كان ذلك العبد في إباحة، فإن نوى بها الاستعانة على عبادة صار في عبادة وإلا فاتته العبودية لعدم وجود العبادة، والحاصل أنه لا تكون العبودية إلا مع العبادة، وقد تكون العبادة من غير عبودية كعبادة أهل الغفلة عن الله تعالى.

(وهي) أي العبودية، في اصطلاح السادة النقشبندية **(عبارة عن دوام)** أي ملازمة **(الحضور)**، وهو عدم الغيبة والغفلة بالشهود والمراقبة **(مع الله سبحانه وتعالى)** بحيث يكون العبد موجوداً بالله تعالى متحركاً به، ساكناً به، متكلماً به، صامتاً به تعالى،

---

(١) (أ): في ظاهره.

قائماً به تعالى، قاعداً به تعالى، ماشياً به تعالى، واقفاً به تعالى، [فاهماً به][1] مدركاً به تعالى، محساً به تعالى، بصيراً به تعالى، سميعاً به تعالى، نائماً به تعالى، آكلاً به تعالى، شارباً به تعالى، وكل شيء يدركه بالعقل وبالحس عنده كذلك، فجميع العالم عنده قائمون بالله تعالى على مثاله.

(بلا شعور) أي إدراك منه **(بالغير)** من حيث هو غير[2] ولا بنفسه، فيرى العوالم كلهم قائمين بالله تعالى فالله يحركهم والله يسكنهم والكل أفعاله، والحركات له والسكنات له لا لنفوسهم ولا لعقولهم ولا لأرواحهم ولا لأبدانهم، فالله المتكلم بألسنتهم وهو المتناول بأيديهم وهو العالم بعقولهم وهو المدرك بأنفسهم ولا حول ولا قوة لهم إلا به، فهو هم من حيث التأثير، وهم ليسوا هو من حيث التصوير والتغيير.

فالعوالم هي التي يدركها هذا العبد بالحس أو بالعقل، والفاعل والعامل المؤثر المقصود هو الله الذي لا إله إلا هو.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴾[3] فجميع أعمال العالم كلها أعمال الله تعالى حقيقة، والله تعالى هو العامل لتلك الأعمال كلها، ولكن هو تعالى حكم بنسبة تلك الأعمال إلى من أظهرها عليه نسبة مجازيةً وجعل عليها الثواب والعقاب وشرع الشرائع على هذه النسبة، فالكامل مع الحالتين ناظر بالعينين قائم بحقوق الحكم والعين.

بلا مزاحمةِ الشعور بالغير، بل مع الذهولِ عَن صِفةِ[4] الحضور بوجود الحق عزَ وجل

ثم أضرب عن الاقتصار على ما ذكر فقال: **(بل مع)** مصاحبة **(الذهول)** أي الغيبة **(عن)** ملاحظة **(صفة الحضور)** التي ذكرناها بحيث يكون حاضراً مع الله تعالى

---

(١) زيادة من (جـ).

(٢) (جـ): لا غير.

(٣) سورة البروج آية: ٢٠.

(٤) ساقط من (ب) و (جـ).

بلا شعور منه بأنه حاضر، ولا أنه غير حاضر، بل يكون غائباً عن حضوره ذلك (**بوجود الحق عز وجل**)، فالموجود عنده الحاضر هو الله تعالى وحده، وهو نفسه[1] غير موجود وكذلك غيره من جميع الأشياء - حتى حضوره ذلك غير موجود عنده أيضاً؛ وهذه هي العبودية الصرفة المحضة الخالصة لله تعالى.

وحيث قلنا إن الموجود عنده الحاضر هو الله تعالى، وكل ما سوى الله تعالى معدوم حتى نفسه وشهوده ذلك أيضاً، فليس المراد أنه لا يرى شيئاً ولا يدرك شيئاً مما تراه وتدركه أهل الغفلة من جميع العوالم، بل المراد أن الله تعالى الموجود الحاضر وحده تعالى لا شيء معه عند هذا العبد.

[و][2] له مرتبتان: مرتبة الظهور ومرتبة البطون. والمميز بين هاتين المرتبتين هو جميع هذه العوالم. فإذا وجدت العوالم عند هذا العبد لم توجد هي وإنما هي ظهور الله تعالى في أطوار صفاته وأسمائه؛ وإذا خفيت هذه العوالم عنده فإنما هي بطون الله تعالى في مرتبة ظهوره لا رأى الشيء، والظاهر هو الله تعالى لا ذلك الشيء، لأن الله تعالى قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[3]، والهالك لا يُرى لأنه عدم صرف.

وللصوفية في معنى العبودية كلام كثير؛ قال ذو النون ﷺ: العبودية أن تكون عبده في كل حال كما أنه ربك في كل حال.

وقال أبو حفص[4]: العبودية زينة العبد فمن تركها تعطل من الزينة.

---

(١) الضمير في هو نفسه وبقية الجملة يعود على العبد.

(٢) زيادة اقتضاها السياق والضمير في «له» يعود على الله تعالى.

(٣) سورة القصص آية: ٨٨.

(٤) أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد من قرية يقال لها كورداباذ على باب مدينة نيسابور، على طريق بخارى.

كان أحد الأئمة والسادة. مات سنة نيِّف وستين ومائتين. قاله الإمام القشيري في الرسالة ص ١٦. وقد ورد في (ج) هنا عبارة (وفي نسخة: أبو جعفر) والظاهر أنه تدخل من النسخ لدى مقابلة نسخ الكتاب وما أثبتناه موافق لما في القشيرية.

وقال ابن عطاء[1]: العبودية في أربعة خصال: الوفاء بالعهود، والحفظ للحدود، والرضا بالموجود، والصبر على المفقود.

وقال الجنيد[2]: العبودية ترك الاشتغال والاشتغال بالشغل الذي هو أصل الفراغ.

وهذه العبارات كلها متقاربة المعنى متلازمة المفهوم والمذكور في أصل الرسالة فيه كفاية على كل حالة.

ولا تحصلُ هذه السعادةُ العظيمةُ بغيرِ تصرفِ الجذبةِ الإلهية

(**ولا تحصل**) لك أي أيها الطالب للمعرفة (**هذه**) العبودية التي هي (**السعادة**) في الدنيا والآخرة العظيمة التي فيها رضا الله تعالى عن العبد وإكرامه له وإقباله عليه (**بغير تصرف**) أي استيلاء الجذبة الإلهية عليك بحيث لا يبقى لك في باطنك تدبيرٌ لشيء من أمورِك مطلقاً بسبب قوة الجاذبة إلى الله تعالى فيك بلا شعور لك بحالك ذلك، وأصله كون العبد مخلوقاً لله تعالى حتى يظهر سبحانه وتعالى به[3] في الحركات والسكنات وفي الباطن والظاهر، لا أنه مخلوق لنفسه حتى يستقل بها ويعتقد أن له وجوداً مع الله تعالى

(١) أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي من كبار مشايخ الصوفية وعلمائهم، كان الخراز يعظِّم شأنه. وهو من أقران الجنيد، وصحب إبراهيم المارستاني. مات سنة تسع وثلاثمائة. من أقواله في السلوك: من ألزم نفسه آداب الشريعة نوَّر الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب ﷺ، في أوامره وأفعاله، وأخلاقه. وقال: أعظم الغفلة غفلة العبد عن ربّه عز وجلّ، وغفلته عن أوامره ونواهيه، وغفلته عن آداب معاملته.

سمعت أبا عبد الله الشيرازي رحمه الله يقول: سمعت عبد الرحمن بن أحمد الصوفيَّ يقول: سمعت أحمد بن عطاء يقول: كل ما سئلتَ عنه فاطلبه في مفازة العِلم، فإن لم تجده، ففي ميدان الحكمة، فإن لم تجده فزِنه بالتوحيد، فإن لم تجده في هذه المواضع الثلاثة فاضرب به وجه الشيطان. الرسالة القشيرية ص ٢٣.

(٢) تلي ترجمته عند حديث المصنف عن سلاسل النقشبندية.

(٣) أي بالعبد.

يستقل فيه فيتحرك ويسكن به. فمن أراد الله تعالى جذبه إليه وأراه نفسه لله تعالى لا لنفسه، فيحمله ذلك على ترك الالتفات إلى التدبير في جميع الأمور اعتماداً على تدبير الله تعالى لموضع ظهوره.

فالله تعالى الذي لا مكان له ولا وجهة له ولا صورة له ولا كيفية له، فَعلَ ذلك العبد وصورَّه وكيّفه وجعله في مكان وفي جهة، وفعلَ جميع أفعاله وأقواله واعتقاداته وأحواله، فكان العبد الظاهر على الله تعالى الباطن بمنزلة الثوب على اللابس فكما أن الثياب تتعدد: قميصٌ وجبة ورداء بعضها داخل بعض، فكذلك ذلك العبد متعدد: رُوحٌ ونفس وجسم بعضها داخل بعض، والله من وراء ذلك هو الفاعل العامل.

هذه حقيقة الجذبة الإلهية التي لا شعور للمجذوب بها عن نفسه إلا بالسلوك في طريق الأعمال الشرعية، ومن لم يرد الله تعالى أن يطهر قلبه أراه نفسه مستقلة دون الله تعالى متحركة ساكنة بنفسها، لاسيما إذا أوقعه في إنكار مقام الجذبة المذكورة على أحد من أهل الله تعالى فإنه يهلك مع الهالكين.

ولا سببَ في طريقِ الجذبةِ أقوى من صُحبةِ الشيخِ الذي سلوكُه بطريقِ الجذبة

(**ولا سبب**) لك (**في طريق**) هذه (**الجذبة**) الإلهية يوصلك إليه (**أقوى**) وأقرب، وفيه إشارة إلى أن الجذبة المذكورة لها طرق أخرى، ولكنها أبعد عليك (**من صحبة**) أي ملازمة (**الشيخ**) العارف بالله تعالى وتجلياته وبالحقيقة الإنسانية وبأطوارها الكاملة والناقصة، (**الذي**) كان (**سلوكه**) إلى الله تعالى بطريق الجذبة الإلهية المذكورة إما تقدَّمتْ على سلوكه وسلك بعدها، أو سلك أولاً على الغفلة ثم حصلت له.

فالأول مجذوب سالك، والثاني سالك مجذوب، وهذان كاملان يحصل الإرشاد للمريدين بمتابعتهما والدخول تحت تربيتهما. وأما من كان مجذوباً فقط لا سالكاً، أو كان سالكاً فقط لا مجذوباً، فلا يحصل بمتابعته والدخول تحت تربيته للمريدين كبير

أمرٍ، ولا يصل بهما أحد إلى الله تعالى، غايته إيصال المجذوب إلى الجذب، والسالك إلى السلوك مع بقاء الحجاب بحاله.

والمراد بالسلوك القيام بأوامر الله تعالى ونواهيه باطناً وظاهراً، وكونه بطريق الجذبة أن يكون قائماً فيه بالله تعالى لا بنفسه مستغرقاً في شهود الله تعالى عن شهود ذلك صادراً منه.

قال الشيخ أبو علي الدقاق[1] قدس سره: الشجرة التي تنبت بنفسها لا ثمر لها وإن كان[2] لها ثمرة تكون[3] بغير لذة.

(**قال الشيخ**) العارف بالله تعالى (**أبو علي الدقاق قدس سره**): [أي طهر (سره)][4] عن أدناس الأغيار: (**الشجرة التي تنبت بنفسها**) في الأرض من غير خدمة أحد بها بسقياها وحراثة الأرض حولها وتنقية الشوك من أطرافها وإزالة أوراقها اليابسة وأغصانها الذابلة (**لا ثمرة لها**) بل غاية أمرها أنها تكبر وتتفرع أغصاناً وتكتسي أوراقاً خضراً؛ (**وإن كان لها ثمرة**) ولابد (**تكون**) تلك الثمرة (**بغير لذة**) ولا طعم شهي.

وكذلك السالك إلى الله تعالى على طريقة الكتاب والسنة من غير شيخ مرشدٍ لا نتيجة لسلوكه ولا ثمرة له، ولَئِن أنتج له سلوكه وأثمر، تكون ثمرتُه أقلَ الثمار وحظه أدنى الحظوظ، لأنه يكون مكلفاً نفسَه تربيةَ نفسِها، كالمريض إذا كلف نفسه معالجة

---

(١) هو الإمام العارف أبو علي الحسن بن محمد الدقاق المتوفى سنة ٤٠٥هـ وهو شيخ الإمام أبو القاسم القشيري صاحب الرسالة القشيرية.

(٢) في (ب): كانت.

(٣) في (ب): لابد تكون.

(٤) ساقط من (أ).

نفسه ومداواتها، فإنه وإن شُفِيَ بذلك مع المعونة الإلهية لا يكون كمن أسلم نفسه المريضة للطبيب الحاذق يقوم عليها بإذن الله تعالى. هذا إن سلم ذلك السالك من البدع في سلوكه ظاهراً وباطناً، وإلا فهو هالك لا سالك قلما يَسْلَمُ لسلوكه من نفس أمارة بالسوء.

وقال الغزالي رحمه الله: فإن قيل هل العلم الذي تعلمه فرض بنظر الإنسان من غير معلم؟ فأعلم أن الأستاذَ فاتحٌ وسَهلٌ التحصيل معه أسهل وأروح والله تعالى يمن بفضله على من يشاء من عباده فيكون معلمهم انتهى كلامه.

فقوله «أروح وأسهل»[1] مثل قوله[2] هنا في الرسالة «أقوى» كما سبق. وإن كان قول الغزالي في حصول العلم من غير معلم وهذا في حصول الجذبة الإلهية فإنها منبع العلم اللدني إذا اقترن بها سلوك صحيح. وقد تحصل الجذبة الإلهية من غير متابعة شيخ ولا صحبة عارف[3] ولكن قد يكون معها سلوك فتتبين وتتفصل، وقد لا يكون السلوك معها فتنطمس وينقطع مددها، لأن الأحوال نتائج الأعمال البدنية، فمن أجل هذا قال لابدَ من صحبة الشيخ الكامل، فهو سبب.

وسُنَّةُ الله تعالى جاريةٌ على أنه لابد من تقدم[4] السبب

(وسنة) أي طريقة وعادة الله تعالى في خلقه **(جارية)** متكررة غير منقطعة، على أنه لابد في حصول كل مطلوب لأحد من الله تعالى الذي بيده وجود كل شيء **(مِن)** تقدم وجود السبب - بلا تأثير لذلك السبب في تحصيل ذلك المطلوب - وإنما يخلق الله تعالى

---

(١) أي قول الإمام الغزالي.

(٢) أي قول سيدي تاج الدين العثماني.

(٣) وهذا في النادر من الأحوال مثلما وقع لعدد من الأولياء.

(٤) ساقط من (أ).

ذلك المطلوب.

والأسباب ثلاثة أنواع:

أسباب شرعية: كالطاعات بجميع أقسامها، أسباب للنجاة من الله تعالى وللثواب في الآخرة على معنى أن الله تعالى يخلق النجاة منه والثواب عندها لا بها ولا فيها ولا لأجلها. وكذلك المعاصي بجميع أقسامها، أسباب للهلاك في الآخرة والعقاب على المعنى المذكور.

وأسباب عقلية كالفكر والنظر في الأدلة والإحساس بالمحسوسات فإنها كلها أسباب للإدراكات العقلية يخلق الله تعالى الإدراكات عندها لا بها ولا فيها ولا لأجلها.

وأسباب عادية كالإحراق للنار[1]. والماء للإغراق والري، والسكين للقطع، والثوب للتستر، والشمس للإشراق ونحو ذلك.

فالله تعالى هو المؤثر وحده في جميع ذلك، ولكنه جرت عادته تعالى في خلقه أن لا يخلق هذا الشيء إلا عند هذا الشيء الآخر. فسمَّينا نحنُ أحدَ الشيئين سبباً والآخر مُسَبباً، والكل خلق الله تعالى.

فكما أن التوالدَ والتناسلَ الصوريَ لا يحصلُ بغير الوالدِ والوالدة

(**فكما أن التوالد**) أي تحصيل الولد (**والتناسل**) أي تحصيل التناسل هو الذرية (**الصوري**) أي في عالم الصور كتوالد صور بني آدم بعضهم من بعض وتوالد صور الحيوانات بعضها من بعض (**لا يحصل**) أي لا يوجد ولا يكون ذلك التوالد والتناسل (**بغير الوالد**) وهو الذكر (**والوالدة**) وهي الأنثى، وذلك في كل جنس من الحيوان ومن الإنسان.

---

(١) سياق ما يليه يقتضي تقدم النار وهي السبب على الإحراق وهو النتيجة.

ولما كان لا تأثير للسبب وإنما هو لمجرد الارتباط، نبه الله تعالى على ذلك بخرق العادات في الخلق. فالنار لم تحرق إبراهيم الخليل عليه السلام. والماء لم يغرق موسى [كليم الله عليه السلام][1] وقومه. والسكين لم تقطع في رقبة الذبيح. وخلق الله تعالى آدم بدون أب وأم، وخلقنا بأب وأم وخلق عيسى عليه السلام بأم ولا أب. فانفكت الأسباب وكان ذلك إكراماً لمن كرمه الله تعالى من خلقه هداية إليه تعالى لأن الأسباب التباس كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[2]، وخرق العادة وقع ذلك اللبس

كذلكَ التوالدُ المعنويُّ

(**كذلك**) أي كما ذكر، التوالد المعنوي الحاصل بين الأرواح والعقول وبين العقول والنفوس، وبين النفوس والأجسام، وبين الأجسام والأعمال. فالأرواح ذكور، والعقول إناث، والولد الشهود للحق المعبود. والعقول ذكور، والنفوس إناث، والولد الإيمان والإسلام والطمأنينة والإيقان. والنفوس ذكور، والأجسام إناث، والولد العبادات والطاعات. والأجسام ذكور، والأعمال إناث، والولد الثواب والعقاب.

وكما أن حواء من آدم عليه السلام، فكذلك العقول من الأرواح، والنفوس من العقول، والأجسام من النفوس، والأعمال من الأجسام، والإناث من الذكور. هذه سنة الله في خلقه، فكل عال ذكر وكل أسفل أنثى. فكذلك الشيخ المرشد للتلميذ المسترشد في التوالد المعنوي والنكاح الروحاني. فإن كان التلميذ في مقام العقل كان شيخه له في مقام الروح فيتولد له شهود الحق تعالى. وإن كان في مقام النفس كان شيخه له في مقام العقل فيتولد له الإيمان والإسلام والطمأنينة والإيقان. وإن كان في مقام الأجسام كان شيخه له في مقام النفس فيتولد له الطاعة والعبادة. وإن كان في مقام العمل كان شيخه له في مقام الجسم فيتولد له الثواب في الآخرة.

---

(١) زيادة من (جـ).

(٢) سورة ق آية: ١٥.

فالحاصل أنه كلما كان التلميذ في مقام كان شيخه في مقام أعلى منه حتى تحصل تربيتُه وتوجد نتائجُه كما قال تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[1] ولهذا كانت المصافحة مشروعة في ابتداء الطريق، عند أهل الله تعالى لأجل التوالد الروحاني. فَيَدُ الشيخِ فوق أيدي التلاميذ، وإلا لا نتائجَ لهم، وهم كالمرأة الناشزة عن زوجها: ملعونةٌ حتى تعود إليه أو يطلقها.

حصولُه بغير المرشدِ[2] متعذِرٌ. قال في الرسالة[3] المكية: من لا شيخَ له فالشيطانُ شيخُه

(**حصوله**) له، أي التوالد المعنوي بين الشيخ والتلميذ بغير تربية شيئاً فشيئاً، (**متعذر**) أي ممتنع لا يكاد يكون. (**قال في الرسالة المكية**) لبعض أئمة الصوفية[4] (**من لا شيخ له**) من أي نوع كان من أنواع العوالم (**فالشيطان شيخه**)، وذلك بالضرورة فإن الله يقول: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[5] فمن اتخذ له شيخاً يسلكه في طريق الله تعالى يلزمه أن يرى شيخه باباً من أبواب الله تعالى وهي أدنى مرتبة كما قال الشيخ محمد البكري ﷺ من أبيات له في الحضرة المحمدية:

وأنتَ بابُ الله أيُّ امرئٍ ... أتاه مِنْ غير بابِكَ لا يدخلُ[6]

---

(١) سورة الفتح آية: ١٠.

(٢) في (ب) التربية.

(٣) في (ب) رسالة.

(٤) (جـ): التصوف.

(٥) سورة الزخرف آية: ٣٦ – ٣٧.

(٦) من قصيدته المشهورة التي مطلعها: ما أرسل الرحمن أو يرسل، وقد اشتهرت نسبتها إلى أبي المكارم سيدي محمد البكري الكبير بن أبي الحسن؛ إلا أنني رأيت الخفاجي عزاها في «ريحانة الألبا» لولده سيدي محمد بن محمد

فيعتقد أن جميع ما يظهر له من شيخه ظاهر له من الله تعالى خبراً وسراً، فالخبر لهدايته، والسر لامتحانه في مقام الإرادة والسلوك؛ أو يرى أن شيخه مظهرٌ لصفات الله تعالى وأسمائه فيتأدب معه تأدبَ المكلف مع أحكام ربه في الأمر والنهي، وهي أوسط مرتبة؛ أو لا يرى شيخه بالكلية وإنما يرى الله الذي لا إله إلا هو يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهي أعلى، وكان فيها الصديق الأكبر ﷺ مع النبي ﷺ لما كان يتعلم منه ويأخذ عنه. وقد أظهر ذلك بعد موت النبي ﷺ فقال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

وفي هذه الحالة يقول مولانا جلال الدين الرومي في أستاذه شمس تبريز قدس الله سرهما العزيز:

شمس من خداي من	عمر من بقاي من
ازنو بحق رسيدءام أى	حق حق كزارى من

وليس المراد أن الشيخ الظاهر للتلميذ بصورته ونفسه وروحه وعقله هو الله تعالى، وإنما المراد أن الظاهر للتلميذ من وراء صورة الشيخ ونفسه وروحه وعقله هو الله تعالى الذي لا إله إلا هو والشيخ كله أثر من آثار الله تعالى لا تأثير له ولا حركة له ولا سكون إلا بالله العلي عن مشابهته العظيم عن إدراكه.

وإذا لم يكن التلميذ مع الشيخ في واحدة من هذه المراتب كان لا شيخَ له وخرج عن مقام إرادة الله تعالى، وصار يريد صورة شيخه لا الله تعالى، وكان شيخه الشيطانَ الذي غفل عن شهود الله تعالى في شهوده، وعن أفعال الله تعالى في أفعاله، فهو عنده في شهوده غير باب الله تعالى، وغير صفات الله تعالى، وغير أسماء الله تعالى عز وجل، فقد

البكرى المكنى أبي المواهب. انظر ترجمة الأول في طبقات القطب الشعراني والكواكب السائرة والنور السافر والثاني في خلاصة الأثر وغيره.

عشى هذا التلميذ عن ذكر الرحمن في شيخه، فقيض الله تعالى شيطاناً، وهو صورة شيخه في بصيرته لا في حقيقة الشيخ في نفسه، فهو له قرين يضله بتمكين ما في بصيرته من اعتقاد غير ما ذكرنا وهو يحسب أنه يهديه.

واعلم أن المشايخ الموصلين إلى الله تعالى المسلكين للمريدين كثيرون، ولكن المريدين قليلون فإن كل شيء من حيث إنه فعل من أفعال الله تعالى شيخ كامل مرشد إلى الله تعالى، ولكن أين المريد الصادق في إرادته؟! فإن المرشد إلى الله تعالى فعله تعالى لا غير، والكل أفعاله، فإن الإنسان وغيره سواء في ذلك.

ولهذا قال الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي قدس الله سره في كتاب (**روح القدس**): ومن جملة أشياخنا الذين انتفعنا في طريق الآخرة من هذه الأمم ميزابٌ رأيته بمدينة فاس في حائط ينزل منه ماء السطح مثل ميزاب الكعبة، فوقفت على عبادته، وأجهدت نفسي عسى أجري معه في ذلك. ومنهم ظلي الممتد من شخصي أخذت منه عبادتين فقد أخذ نفسه بهما، وأشباه ذلك.

وأما الحيوانات فلنا منهم (**شيوخ**)[1] ومن جملة شيوخنا الذين اعتمدت عليهم الفرس، فإن عبادته عجيبة، والبازي والهرة والكلب والفهد والنخلة وغير ذلك، فما قدرت قط أن أتصف بعبادتهم على حد ما هم عليها فيها، وغلبني أن أقدر على ذلك في وقت دون وقت، وهم في كل لحظة مع اعتقادهم بسيادتي عليهم يوبخوني ويُعَيِّرُوني.

---

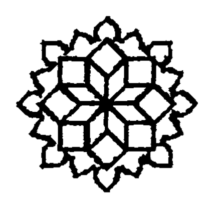
(١) والمقصود بالشيخ هنا من تتحقق به الاستفادة. وليس من شك في أن على الإنسان يعي حكمة الله في خلقه ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (فصلت:٥٣). بل لقد جعل الله تعالى الطائر معلماً لابن آدم ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾ (المائدة:٣١)، فانتبه لقوله تعالى ﴿ لِيُرِيَهُۥ ﴾ فمن أنكر استفادة الإنسان من الحيوان بل من مخلوقات الله جميعاً، فقد أنكر لما في كتاب الله. وأما تسميته بـ«شيخ» فهو اصطلاح جرى عليه بعض الصوفية بتسمية كل من يستفاد منه علم أو خلق أو أدب شيخاً، ولا مشاحة في الاصطلاح.

ولقد ألقى منهم شدة لما يرونه[1] من نقص حالي في عبادتهم، وربما يغتاظ بعضهم علي حتى تحجبه غيرته في دين الله تعالى من أجل تقصيري فيهم بإذايتي، ويغيب عن سيادتي عليه لمعصيتي وسوء معاملتي مع الله تعالى فتزول طاعتي من عليهم وأعذرهم في ذلك وأسلم لهم في إخلاصهم. فإن أبا بكر الصديق ﷺ قد قال لما ولي الخلافة أطيعوني ما أطعت الله تعالى ورسوله فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم. وقال الحق... إلى آخر كلام ابن العربي ﷺ.

فانظر كيف لم يقتصر في المشايخ على الكاملين من جنس بني آدم، فإن الصادق في طلب الحق تعالى يجد كل شيء شيخاً له مرشداً كاملاً موصلاً إلى الله تعالى. ومن لم يكن صادقاً في إرادة الله تعالى لا يصل إلى الله تعالى ولو اجتمع بألف مرشد كامل. ألا ترى أن النبي ﷺ الذي هو أكمل المرشدين إلى الله تعالى صدق معه قوم فوصلوا إلى الله تعالى، وكذب قوم فنافقوا، وأعرض قوم فهلكوا، مع أنه أرشدهم كلهم إلى الله تعالى بالأقوال والأفعال.

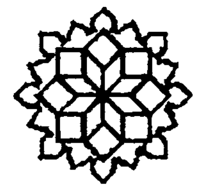
ولكن الله تعالى يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم

(١) (أ): يروني، (ج): يريدوني.



الفَصْلُ الأَوَّل

بيان سند الشيخ تاج الدين في الطريقة النقشبندية



وهذه الطريقةُ العليةُ النقشبندية أخذها الفقيرُ الحقير[1] الكاملُ في النقصان

(**وهذه الطريقة**) الموصلة إلى الله تعالى (**العلية**) عن ملاحظة الأغيار (**النقشبندية**) أي المنسوبة إلى نقش بند، (**أخذها**) أي تلقاها بالقول والعمل والقبول (**الفقير**) أي المحتاج إلى كل شيء من حيث أن كل شيء بيد الله تعالى، المستغني عن كل شيء من حيث إن كل شيء مفتقر إلى الله تعالى في الإيجاد والإمداد كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[2] .

والعالم بعضه في الظاهر مفتقر إلى بعض كافتقار الحيوان إلى الطعام والشراب، وافتقار النبات إلى الشراب ونحو ذلك، فالظاهر هو العالم، والمؤثر في العالم هو الله تعالى **بلا حلول ولا اتحاد**، والله تعالى مولى العباد.

(**الكامل في النقصان**) من حيث إن الله تعالى كامل في الكمال، وهي مرتبة العبد ولا أنقص من العدم والفناء. فالمراد أنه معدوم فانٍ في موجودٍ باقٍ، وهذا هو القلب المؤمن الذي وسع الحق تعالى. فإن المعدوم الفاني إذا زال من نظر العبد قُلِبَ له فظهرَ الموجودُ الباقي. وإذا لم يزل من نظر العبد المعدوم الفاني لا يظهر الموجود الباقي كثوب له وجهان إذا لم يقلب لا يظهر وجهه الآخر.

العاجزُ عن معرفةِ الرحمن تاجُ الدين عن مهدي الزمان الخواجة محمد عبد[3] الباقي، وهو أخذها عن مولانا خواجكي الأمكنكي، وهو أخذها عن مولانا درويش محمد، وهو أخذها عن مولانا محمد الزاهد، وهو أخذها عن الغوث الأعظم خواجة عبيد الله الأحرار.

---

(١) ساقط من (ب).

(٢) سورة فاطر آية: ١٥ .

(٣) ساقط من (أ).

(العاجز عن معرفة الرحمن) من حيث هو في نفسه فإنه إذا عرفه، فالله عرف الله، لا العبدُ عرَف ربه، وأين العديم من القديم؟! **(تاج الدين)** الرومي رحمه الله جامع هذه الرسالة عن **(الخواجة)** بفتح الخاء المعجمة وألف بعدها في اللفظ وإن كتبت بالواو، كلمة فارسية معناها الشيخ والأستاذ، **(محمد عبد الباقي)** رحمه الله.

(وهو) أي محمد عبد الباقي **(أخذها)** أي طريقة النقشبندية **(عن مولانا خواجكي)** لقبه ومعناه المنسوب إلى الخاجة أي الشيخ، **(الأمكنكي)** أي المنسوب إلى «أمكنة»، بالكاف بالفارسية، اسم قرية سن قرى بخارى.

(وهو) أي الخاجكي **(أخذها)** أي هذه الطريقة **(عن مولانا درويش محمد)** رحمه الله.

[**(وهو)** أي درويش محمد][1] **(أخذها)** أي الطريقة **(عن مولانا محمد الزاهد)** رحمه الله.

(وهو) أي محمد الزاهد **(أخذها عن الغوث الأعظم)** والضرغام الأفخم خواجة أي شيخ **(عبيد)** بصيغة التصغير **(الله أحرار)**: لقبه. وقد صنف علي بن حسين الواعظ المعروف بالصفي رحمه الله كتاباً سماه «رشحات عين الحياة» ترجم بلغة فارسية المولى عبيدَ الله أحرار وذكر مشايخه، وأورد مناقبهم، وشرح مراتب السادة النقشبندية، وبعضُ ما في هذه الرسالة مأخوذ من ذلك الكتاب.

وهو أخذَها عن شيخ الشيوخ مولانا يعقوبَ الجرخي، وهو أخذها عن حضرة الخواجة الكبير بهاء الدين المعروف بنقشبند

(وهو) أي الخواجة عبيد الله أحرار **(أخذها عن شيخ الشيوخ مولانا يعقوب الجرخي)** بالجيم الفارسية والخاء المعجمة نسبة إلى جرخ قرية من قرى بلاد غزنى في ولاية الهند.

---

(١) ساقط من (أ).

(وهو) أي الجرخي أخذها عن حضرة الخواجة أي الشيخ والأستاذ **(الكبير بهاء الدين)** محمد **(المعروف بنقشبند)**، أي **ربط النقش وهو صورة الكمال الحقيقي في القلب.**

وكان ذكرهم في الأول إلى زمان هذا الشيخ بهاء الدين ﷺ في الانفراد خفية، وفي الجمع جهراً، فأمرهم الشيخ بهاء الدين بالخفية بأمر له من الخواجة عبد الخالق الغجدواني شيخ مشايخه في عالم السير فكان يُسِّرُ بالذكر انفراداً وجمعاً وجماعته. فيصير من ذكرهم كذلك في قلب المريد تأثير. فكان يقال لذلك التأثير نقش وذلك الذكر بند أي ربط النقش هو صورة الطابع إذا طبع به على شمع ونحوه. وربطه بقاؤه من غير محو.

وصفات الله تعالى هي المتوجهة على خلق آدم ﷺ وبنيه، بتوجه من الذات العلية الأزلية حيث لا كيف ولا أين. فظهر آدم، وظهر بنوه بعده على صورة مخصوصة مسماة بأسماء المتوجِّه[1] تعالى، موصوفة بأوصافه لها ذات يصح نسبة ذلك إليها، ولها أفعال كما له أفعال، ولها أحكام منها على غيرها كما له أحكام، كذلك نقش الذات والصفات والأسماء والأفعال والأحكام ظهر بظهور آدم ولكن من بنيه من محا بعض ذلك النقش بغلبة الحيوانية عليه وضعف الإنسانية الكاملة فيه.

ومنهم من كمل نقشه فسمى «**نقشبندي**» أي لازِم النقش ومربوط النقش. والكلمة صالحة لغير ذلك أيضا.

وهو أخذها عن السيد مير كلال، وهو أخذَها عن الخواجة محمد بابا سماسي، وهو أخذها عن حضرة العزيز الراميتني، وهو أخذها عن الخواجة محمود الإنجير فغنوي.

---

(١) في (أ) و (ب): المتوجه من ذاته

(**وهو**) أي الخواجة بهاء الدين (**أخذها عن السيد مير كلال**) بالكاف الفارسية. ويقال بالعربية: قِلال، جمع قُلة، وهي لإناء من الفخار المطبوخ من الطين، كأنه كان يصنع ذلك رحمه الله.

(**وهو**) أي مير كلال (**أخذها عن الخواجة محمد بابا**) أي شيخ (**سماسي**) بكسر السين وتشديد الميم، نسبة إلى قرية من قرى بخارى.

(**وهو**) أي سماسي (**أخذها عن حضرة العزيز [الخواجة][1]**) أي الشيخ (**علي الراميتني**) منسوب إلى راميتن، اسم قصبة[2] كبيرة من ولاية بخارى.

(**وهو**) أي الراميتني (**أخذها عن الخواجة محمود الإنجير فغنوي**) بالنون فالجيم فالياء التحتية فالياء (**فغنوى**) بالفاء والغين المعجمة فالنون، نسبة إلى النجير فغني، اسم قرية من ولاية بخارى.

وهو أخذها عن الخواجه عارف ريوكري وهو أخذها عن رأس سلسلة الخواجكان الخواجة عبد الخالق الغجدواني، وهو أخذها عن خواجة يوسف الهمداني، وهو أخذها عن أبي علي فارمدي، وهو أخذها عن الشيخ أبو الحسن الخرقاني، والشيخ أبو علي له أيضاً نسبة الخدمة والصحبة والاستقامة بالشيخ أبو القاسم الكركاني أيضاً.

(**وهو أخذها عن الخواجة عارف**) اسمه (**ريوكرى**) بالراء والكاف الفارسية نسبة إلى ريوكر اسم قرية ببخارى.

(**وهو أخذها عن رأس سلسلة الخاجكان**) أي المشايخ الكبار (**الخواجة**) أي الشيخ (**عبد الخالق الغجدواني**) بالغين المعجمة فالجيم نسبة إلى غجدوان قرية من قرى بخارى.

---

(١) ساقط من (أ).

(٢) قصبة أي قرية.

(**وهو أخذها عن خواجة**) أي الشيخ (**يوسف الهمداني**) نسبة إلى همدان بلاد معروفة.

(**وهو أخذها عن أبي علي الفارمدي**) بالفاء فالراء فالميم منسوب إلى فارمد، اسم قرية من قرى بخارى.

(**وهو أخذها عن الشيخ أبي الحسن الخرقاني**) بالخاء المعجمة فالقاف، نسبة إلى خرقان اسم قرية ببخارى.

(**والشيخ أبو علي**) الفارمدي المذكور (**له**) أيضاً (**نسبة الصحبة والخدمة والاستقامة**) في طريق[1] النقشبندية (**بالشيخ أبي القاسم الكركاني**): نسبة إلى كركان (**أيضاً**)، كما له ذلك بالشيخ أبي الحسن الخرقاني رحمهم الله تعالى جميعاً وقدس أسرارهم، وشملنا بنفحات حظواتهم[2] الإلهية في الدنيا والآخرة.

وحيثُ كان عند المحققينَ أن الشيوخَ ثلاثةٌ: شيخُ الخرقةِ وشيخُ الذكر وشيخُ الصحبة

(**وحيث كان عند المحققين**) الصوفية أهل طريق الله تعالى الواقفين على مراكز الشريعة المحمدية (**أن الشيوخ**) المرشدين إلى حضرة الله (**ثلاثة**) شيوخ: (**شيخ الخرقة**) وهي الثوب الذي يستر به العبد بعض بدنه أو كله ونحو ذلك من الخرق. والخرقة قسمان: خرقةُ الظاهر وهي رداء ونحوه يكون على بدن الكمل من المشايخ، فإذا أراد أن يرشد مريداً إلى الله تعالى نزع ذلك الرداء عن بدنه ووضعه على بدن المريد فيسري الحال في المريد في الحال من غير إمهال. وخرقة الباطن وهي ثوب العلم والمعرفة.

وإذا أراد الكامل من المشايخ أن يلبسه لمريدٍ أمره بالاستماع له والفهم عنه ثم يلبسه ذلك.

---

(١) (أ): طرائق.

(٢) (أ): خطوتهم.

والشيخ الثاني (**شيخ الذكر**) وهو على قسمين: ذكر معناه حضور بلا نسيان، وهم الذين ﴿يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1]. **وذكر بالأسماء الإلهية وهو على ثلاثة أقسام**: بالأسماء الظاهرة كاسم الله والرحمن واللطيف ونحو ذلك، وذكر بالأسماء المضمرات نحو أنا وأنت وهو. وذكر بالأسماء المبهمات كهذا وهذه والذي والتي. هذه الأقسام الثلاثة (إما) باللسان أو بالقلب أو بهما.

وذكر آخر شهدته في الطريقة المولوية[2] فقط وهو الذكر بالغير والذكر بالفعل. وذلك ذكرهم بالآلات المطربة المنتظمة (**المنغمة**)، والإيقاع (**انتظام الكون**)؛ (**ودورانهم**) الفلكي مع الانحناء الملكي. وقد صنفت في ذلك رسالة سميتها «العقود اللؤلؤية في بيان طريقة المولوية».

وشيخ الصحبة أتم وأكمل في الارتباط، وهو الشيخ الحقيقي

والشيخ الثالث (**شيخ الصحبة**) وهو على قسمين صحبة خصوص، وهي الملازمة للشيخ وعدم مفارقته ليلاً ونهاراً إلا في أوقات الضرورة أو الإذن منه في المفارقة، وصحبة عموم: وهي اللقاء والاجتماع ولو مرة واحدة.

ولا يُنتِجُ المريد في صحبة شيخه إلا بثلاثة شروط:

الأول: أن يصحبه صحبة خدمة له و انتسابٍ إليه وافتخارٍ به وإقبالٍ عليه.

والثاني: أن لا يعترض شيخه ولا ينكر عليه فعلاً من أفعاله مطلقاً ظاهراً وباطناً، ويعد خطرات وهمه ذنوباً يستغفر[3] الله تعالى منها لأن شيخه بيد الله تعالى، والله لا يأمر

---

(١) سورة آل عمران آية: ١٩١.

(٢) الطريقة المولوية هي المنسوبة إلى مولانا جلال الدين الرومي (صاحب المثنوى) قدس الله سره (ت ٦٧٢هـ).

(٣) (ج): ليستغفر.

بالفحشاء والمنكر، ولكنه تعالى يمتحن من أراد من خلقه بالشيخ وغيره. وفي ذلك قصة واردة[1] أوردناها في كتابنا «الفيض الرباني والفتح الرحماني».

والثالث: أن يكون بين يديه كالميت بين يدي الغاسل لا يخالفه في شيء مطلقاً ولا ينتصر لجانب نفسه مع شيخه أبداً.

وللمريد آداب أُخَر أكثرُ من ذلك في صحبة الشيخ، ولكن الذي ذكرناه يجرُّ غيرَه، والأخلاق يجلب بعضها بعضاً، كالكرم يجلب الشجاعة ونحو ذلك.

(وشيخ الصحبة) على طريقة الملازمة **(أتمُّ)** للمريد من شيخ الخرقة وشيخ الذكر، **(وأكملُ)** منهما في الارتباط بين قلبه وقلب المريد للمقارنة الدائمة، والأحوال أسرع سِراية في الجليس من الأقوال.

(وهو) - أي شيخ الصحبة- الشيخ الحقيقي الموصل إلى الله تعالى بحاله لا بواسطة شيء آخر كالخرقة أو الذكر، فإن شيخ الخرقة يسري حاله في الخرقة ثم يصل إلى المريد كما يصل الماء من الأرض إلى الثمرة بعد سريانه في الشجرة، ففي الظاهر الشجرة أمدت الثمرة، والخرقة أمدت المريد. وكذلك شيخُ الذكر ذكرُهُ أمدَّه لا شيخه، فهما شيخان مجازان، والأول شيخٌ حقيقةً، لعدم الواسطة بين قلبه وقلب المريد.

لا جَرَمَ أنا[2] أوردنا نسبة الشيخ أبي علي الذي انتهى به السلوكُ للشيخ أبي القاسم. وبين الشيخ أبي القاسم إلى الإمام علي [الرضا][3] بن موسى ستة وسائط: الأول الشيخ أبو عثمان المغربي وأبو علي الكاتب وأبو علي الروزباري

(لا جرم)، أي حيث كان شيخ الصحبة أتم وكمل في الارتباط فلا عجب **(أنا أوردنا)** أي ذكرنا فيما سبق **(نسبة)** الصحبة والخدمة من الشيخ **(أبي علي)** - أي

(١) (ج): واقعة.

(٢) ساقط من (أ).

(٣) ساقط من متن دار الكتب، وأثبتناه من ترجمة بن علان للمتن إيضاحاً للمعنى.

الفارمدي- المتقدم ذكره (**الذي انتهى به السلوك**) في طريق ملك الملوك فوصل فيها إلى مقام المقربين الأبرار وشرب من شراب أهل الصفوة الأخيار.

(**للشيخ أبي القاسم**) الكركاني المذكور، زيادةً على طريقه الأول المأخوذ من الشيخ أبي الحسن الخرقاني رحمهم الله تعالى وقدس أسرارهم وضاعف أنوارهم.

(**وبين الشيخ أبي القاسم**) الكركاني المذكور إلى الإمام علي بن موسى الرضا المسمى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام حسين بن الإمام علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين (**ستة**) مشايخ (**وسائط: الأول الشيخ أبو عثمان**) سعيد بن سلام (**المغربي**)، مات بنيسابور سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة، (**و**) الثاني (**أبو علي الكاتب**) واسمه حسين بن أحمد، مات سنة نيف وأربعين وثلاثمائة. ومن كلامه ﷺ المعتزلة نزهوا الله تعالى من حيث العقل فأخطأوا، والصوفية نزهوا الله تعالى من حيث العلم فأصابوا.

(**و**) الثالث (**أبو علي**) أحمد بن محمد (**الروذباري**) البغدادي أقام بمصر ومات بها سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة[1].

وسيد الطائفة الجنيد[2] البغدادي، [والخامس][3] السري السقطي، [والسادس][4] معروف الكرخي قدس الله سرهم العزيز.

(**و**) الرابع (**سيد الطائفة**) الصوفية على الإطلاق في سائر الآفاق أبو القاسم (**الجنيد**) محمد (**البغدادي**) أصله من نهاوند، ومولده ومنشؤه العراق، وأبوه كان يبيع الزجاج. مات الجنيد ﷺ سنة سبعة وسعين ومائتين.

---

(١) ودفن قريباً من سيدي ذي النون المصري بالقرافة.

(٢) في (ب): جنيد.

(٣) ساقط من متن ابن علان ولم يعتمده المؤلف متناً في بعض النسخ بل وضعه على سبيل الشرح.

(٤) ساقط من (أ).

(و) الخامس أبو الحسن (**السري**) بن المغلس (**السقطي**) خال الجنيد وأستاذه.

(و) السادس أبو محفوظ (**معروف**) ابن فيروز (**الكرخي**) من (**موالي علي بن موسى الرضا**) مات سنة مائتين وقيل إحدى ومائتين رضي الله عنهم أجمعين (**وقُدِّسَ**) - بالبناء للمجهول- أي قدس الله، أي طهر من أدناس الأغيار (**سرِّهم**) أي حقيقتهم العلية[1] التي عنها حقيقتهم الكونية كالفرع من الأصل (**العزيز**) أي الذي لم يذل لغير المولى مع أو من عن الشيء إذا قَلَّ ولم يوجد له نظير.

ولمعروفٍ قُدِّسَ سِرُه نسبةٌ أخرى متصلة بداودَ الطائي عن حبيبٍ العجمي عن الحسن البصري قدس الله تعالى أسرارهم

(**ولمعروف**) الكرخي (**قدس سره نسبة**) في طريق الله تعالى (**أخرى**) غير نسبته المذكورة إلى [علي بن][2] موسى الرضا (**متصلة**) تلك النسبة (**بداود الطائي**) نسبة إلى «طيء» قبيلة من قبائل العرب (**عن حبيب العجمي عن الحسن البصري قدس**) أي طهر (**الله تعالى أسرارهم**).

وتمامُ نسبةِ معروفٍ إلى باب مدينة العلم كرمَ اللهُ وجهَه معروفةٌ مشهورة.

(**وتمام نسبة**) معروف الكرخي (**إلى باب مدينة العلم**) إشارة إلى قول النبي ﷺ «أنا مدينة العلم وعلي بابها»[3] وهو علي بن أبي طالب (**كرم الله وجهه، معروفةٌ**) بين أهل الطريق، (**مشهورة**) عند الخاص والعام أنها عن علي ﷺ من غير واسطة، لأن الحسن البصري لقي علياً ﷺ وأخذ عنه، ونسبة معروف متصلة بالحسن البصري كما ذكره.

---

(١) (أ) : العلمية

(٢) ساقط من الأصول ضروري لتحقيق صحة الاتصال والسند.

(٣) أخرجه الحافظ السيوطي في الجامع الصغير: ص١٠٨ ط الحلبي عن لطبراني والحاكم والعقيلي وابن عدي. وقد صرح الحافظ عبد الله بن الصديق بحسنه.

وها أنا الآن أرجع إلى رأس الكلام. [فاعلم][1] أن الشيخ أبا الحسن أخذ عن روحانية أبي يزيد البسطامي.

(**وها**) أي تنبيهٌ يا أيها الطالب (**أنا**) أي مؤلف هذه الرسالة (**الآن**) أي بعد الفراغ من ذكر تشعب الطريق للشيخ علي الفرمدي ولمعروف الكرخي بروايتين إلى علي ﵁ (**أرجع إلى رأس**) أي أصل (**الكلام**) السابق في بيان سلسلة طريق النقشبندية، حيث أقول:

في حقيقة التلقي الروحاني الأويسي[2]

(**فاعلم**) يا أيها الطالب (**أن الشيخ أبا الحسن**) الخرقاني المتقدم ذكره (**أخذ**) هذه الطريقة المرضية (**عن روحانية**) الإمام (**أبي يزيد**) طيفور بن عيسى (**البسطامي**)، وذلك في ظهوره له في عالم السير إلى الله تعالى، فإن الروحانيات تجتمع مع الروحانيات في ذلك كاجتماعهم في المنام وبعد الممات، وهو عالم اللاهوت الخارج عن عالم الأجسام. وأرواح الخلق كلهم الأحياء والأموات في ذلك العالم، منهم من يدبر له جسماً في عالم الأجسام وهم الأحياء، ومنهم من لا يدبر شيئاً من الأجسام وهم الأموات أو من لم ينفخ فيه الروح مما لم يسو جسمه.

ولما كان هذا الأخذ عن الروحانية ليس في مقام الجسمانية كما في سلسلة الطريق، ذكر نسبة أبي علي الفارمدي لغير أبي الحسن الخرقاني أيضاً وذكر فيها معروف الكرخي،

---

(١) ساقط من (ب).

(٢) نسبة إلى سيدنا أويس القرني سيد التابعين، إذ ربته روحانية سيدنا رسول الله ﷺ دون لقاء في عالم الأجسام، وهو نوع تربية واقع في السلسلة الصديقية العلية من سلاسل السادة النقشبندية، إذ وقع لحضرة شاه نقشبند الذي ربته روحانية سيدي عبد الخالق الغجداوني مع أخذه كذلك وتربيته على العارف بالله سيدي الأمير كلال، وقد وقع للإمام النابلسي نفسه الذي تلقى الطريقة من العارف بالله أبي سعيد البلخي النقشبندي مع تربيته الأويسية من قبل مولانا علاء الدين العطار خليفة حضرة شاه نقشبند.

وذكر له نسبتين كما تقدم، ثم رجع إلى وصل نسبة أبي الحسن الخرقاني فذكر أخذَه عن روحانية أبي يزيد ﷺ لأنه لم يجتمع مع جسمانية أبي يزيد لأن بينه وبينها زمان بعيد، فإن أبا يزيد مات سنة إحدى وستين ومائتين وقيل أربع وثلاثين ومائتين. وأبو الحسن بعده بكثير.

وهو قدسَ اللهُ سره من روحانية الإمام جعفر الصادق، والمعروف من خدمته وصحبته غيرُ صحيح، والإمام جعفر الصادق مع وجود[1] وراثة آبائه يتصل بالقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ﷺ، وهو من الفقهاء السبعة وكان من أكمل التابعين في [علمي][2] الظاهر والباطن وهو منسوب إلى سلمان الفارسي ﷺ.

(**وهو**)، أبو يزيد، لبس خرقة الطريق - ظاهراً أو باطناً- (**قدس الله سره**) عن كل دنس (**من روحانية**) الإمام (**جعفر الصادق**) كما تقدم في الشيخ الحسن (**والمعروف**) بين بعض أهل الطريق (**من خدمته**) أي خدمة أبي يزيد الإمام جعفر الصادق (**وصحبته**) له غير صحيح، لأن وفاة جعفر الصادق قبل ولادة أبي يزيد بمدة فالاجتماع روحاني لا جسماني.

(**والإمام جعفر الصادق**) مع وجود (**وراثة آبائه الكرام**) الأجِلَّة فيه، وهي الوراثة المحمدية علم الظاهر والباطن، يتصل في الطريق بخدمة الإمام القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق[3] رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

---

(١) في متن ابن علان: وجود أنوار

(٢) في (أ): علم.

(٣) روت المصادر أن سيدنا القاسم بن سيدنا محمد بن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهم أجمعين هو جد سيدنا جعفر الصادق لأمه السيدة فروة بنت سيدنا القاسم ﷺ (أنظر الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية) ص٣٦.

(**وهو**) أي القاسم بن محمد من الفقهاء السبعة المشهورين وكان (**من أكمل التابعين**) للصحابة. والتابعي كلُّ من لقيَ الصحابيَ وهو مؤمن في علميّ الظاهر، وهو علم الشرائع والأحكام، (**والباطن**) وهو علم الطريقة والحقيقة. وهو أي القاسم بن محمد منسوب في هذا الطريق (**إلى سلمان الفارسي** ﷺ).

وسلمان مع تشرفه بصحبته النبي ﷺ أخذ الطريق عن الصديق ﷺ، وهو [أخذ][1] عن النبي ﷺ. والطريقة الأخرى [للإمام][2] جعفر أباً عن جد إلى مدينة العلم ﷺ عنه معروفة.

(**وسلمان**) الفارسي - (**مع تشرفه**) بصحبة النبي ﷺ - (**أخذ الطريق عن الصديق**) الأكبر (ﷺ) رغبة في الدخول تحت تربية النبي ﷺ بتلك التربية الخاصة.

(**وهو**) أي الصديق الأكبر ﷺ (**أخذ عن النبي ﷺ**).

والنبي ﷺ عن جبريل[3] وهو عن الله تعالى رب العالمين.

(**والطريقة الأخرى**) في هذه السلسلة (**للإمام جعفر**) الصادق أباً عن جد إلى باب مدينة العلم النبوي وهو علي ﷺ، (**معروفة**)، وقد قدمنا ذكرها.

تفصيل مراتب الخلفاء الأربعة ﷺ في العلم

واعلم أن علم النبي ﷺ المتلقى بالوحي عن جبريل عن حضرة الله تعالى وقر في صدر أبي بكر الصديق فكان يقول النبي ﷺ: «ما فضلكم أبو بكر بكثرة صدقة ولا

---

(١) ليس في متن ابن علان (أ).

(٢) في متن دار الكتب: الإمام.

(٣) هذا من حيث الظاهر فحسب إذ سيدنا جبريل ﷺ الواسطة في التبليغ، أما في حقيقة العرفان فالكل منه ﷺ.

صلاة ولكن بشيء وقر في صدره»[1]، وظهر في فعل عمر بن الخطاب ﷺ ففتح البلاد ومهد العباد وآمنت منه غاية الإمداد، وقوي به على أهل الضلال والعناد، وجمعه عثمان ابن عفان ﷺ في القراطيس والأوراق بعدما كان متفرقاً في صدور الحفظة ووجوه القِطَع من الأخشاب والعظام الرقاق.

وهذه المراتب الثلاثة إجمال في صدور الصديق وفعل عمر وأوراق عثمان ﷺ.

ثم بقيت مرتبة التفصيل لهذا الإجمال والشرح لهذا المقال، فظهر من لسان علي ﷺ مفصلاً فتكلم فيه، حتيقيل إن أبا هريرة قصد علياً ليلة ليقرأ عليه القرآن بتفسيره وتأويله فصلى معه العشاء الأخيرة وجلس يتكلم له على باء البسملة حتى طلع الفجر فقال له حسبي يا أبا الحسن.

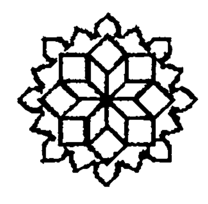
وهذا معنى كونه كرم الله وجهه باب مدينة علم النبي ﷺ، فإن الصديق صبر لذلك وسكت ولم يتكلم به، والفاروق كذلك إلا أنه قَوِي به واضطرب جأشه[2] ففتح به بلاد المشركين، وعثمان اضطرب به واهتم له وخاف ضياعه فجمعه، وعلي ﷺ لم يقدر على كتمه فتكلم به وأظهره فكان له باباً وازداد في [بيان][3] ذلك اضطراباً، ولهذا كان ترتيب الفضيلة في هؤلاء الصحابة الأربعة على هذا المنوال: الأقوى روحانية أفضل مما يليه، كما هو مقرر في محله من كتب العقائد والله اعلم.

---

(١) ذكره الإمام العارف سيدي مصطفى البكري ﷺ وعزاه إلى «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (انظر الصلوات الهامعة بمحب الخلفاء الجامعة لبعض ما ورد في فضائل الخلفاء) ص/ ٤٠/ الحلبي وخرجه العجلوني في (كشف الخفاء ٢/ ٢٦٦) عن الحكيم الترمذي وابي يعلي عن السيدة عائشة ﷺ.

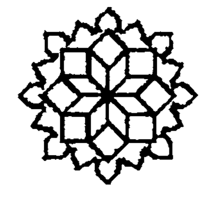
(٢) (أ): جانبه، والمعنى أن سيدنا عمر لم يطق كتم العلم القرآني ففتح البلاد كي تظهر أحكام كتاب الله تعالى في خلقه. وسيدنا عثمان - كما يلي عقيبه- لم يطق أن يظل كتاب الله محصوراً في صدور الرجال فانتصب لجمعه في المصحف، وسيدنا علي ﷺ لم يطق كتم ما تفرع عن كتاب الله من العلم فنطق بألوان المعارف والعلوم، أما سيدنا أبا بكر فقد قر في صدره فهو عليه مكين أمين فلم يظهر له فعل به في الظاهر - رضي الله عنهم جميعاً.

(٣) زيادة من (ج).



الفصل الثاني

طرق الوصول إلى الله تعالى عند السادة النقشبندية



(فصل) طريق الوصول إلى الله تعالى عند السادة النقشبندية إما بمحض الصحبة أو بالذكر مع المراقبة.

(**فصل**) أي هذا فرق بين البحثين، فإن البحث الأول في بيان السلسلة النقشبندية، وكانت تسميها أهل غزني من بلاد الهند: سلسلة الذهب، **وهذا البحث الثاني في بيان كيفية الطريق وآدابها.**

(**طريق الوصول إلى الله تعالى**) على رأي من يسمي قطع مسافة النَفْسِ وصولاً إلى الله تعالى.

وذكر ابن العربي الأندلسي[1] ﵁ انه لا وصول إلى الله أبداً وإنما الجميع في السير إلى الله تعالى في الدنيا والآخرة وإن كانوا متفاوتين فيه وهو الظاهر عندنا.

(**عن السادة النقشبندية**) أي منقولاً ذلك عنهم (**إما بمحض**) أي خالص (**الصحبة**) مع الشيخ فقط فمن كثرة الملازمة تسري حالة الشيخ في المريد وينجذب إلى الله تعالى كجذبة شيخه فيصل إلى ما وصل إليه الشيخ، (**أو بالذكر**) أي ذكر الله تعالى منفرداً أو مع شيخه أو الرفيق بالقلب أو باللسان كما سبق، (**مع المراقبة**) للمذكور وهو الله تعالى في أثناء الذكر: أي عدم الغفلة عنه باشتغال القلب بما سواه.

وطريق [ذكر][2] السلسلة أن تذكر الكلمة الطيبة أعني لا إله إلا الله محمد رسول الله بحبس النفس وتراعي العدد والوتر، وإذا جاوز العدد إحدى وعشرين ولم يظهر للذكر أثر فهذا دليل [على][3] عدم قبوله. فليشرع في ابتداء الذكر من أصله.

---

(١) المقصود سيدي محي الدين بن عربي ﵁ لا ابن العربي المالكي ﵀، كما يعلم من مواضع من فتوحاته.

(٢) في (ب) هذه.

(٣) ساقط من (أ).

(**وطريق هذه السلسلة**) المذكورة أن (**تذكر الكلمة الطيبة**) بلسانك مقدار ما تسمع نفسك، (**أعني**) - أي أقصد - بالكلمة الطيبة كلمة (**لا إله إلا الله**)، ويأتي بيان معناها إن شاء الله تعالى، (**محمد رسول الله بحبس**) أي بمسك (**النَفَس**) بفتح الفاء، وهو الهواء الخارج من الجوف والداخل فيه. **وحكمة هذه الكيفية** سرعة إظهار الحق قبل الموت إذ لو تنفس ربما مات أو عجز عن تكملة الكلمة الطيبة فيكون وقوفه على النفي فيظهر منه كفر التعطيل[1]، وهو يريدُ إظهارَ كمالِ التوحيد والإثبات، ولأن الإنسان متكرر متجدد كله بالأمثال، بل جملة العالم كذلك كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴾[2]، والعالم كله قائم بأمر الله تعالى فهو كلمح بالبصر، فيسرع في إخراج الذكر قبل التنفس بحسب الطاقة والقدرة حتى تكثر الأمثال المتكلمة بالتوحيد منه في وقت الإقبال عليه تعالى.

وتراعي أنت يا أيها الذاكر في ذكرك (**العدد الوتري**) من الذكر كالسبعة والإحدى عشر ونحو ذلك، فإن في ذلك محبة الله تعالى: قال النبي ﷺ: «الله وتر يحب الوتر»[3]، (**فإذا جاوز**) أي زاد (**العدد**) على (**إحدى وعشرين**) مرة (**ولم يظهر**) أي لم يتبين (**للذكر**) في قلب الذاكر أو في ظاهره (**أثرٌ**) مما سيأتي، (**فهذا**) أي عدم ظهور شيء من ذلك (**دليلٌ**) واضحٌ على عدم قبوله، أي قبول ذلك الذكر عند الله تعالى، (**فليشرع**) أي يستأنف ذلك الذاكر مجتهداً (**في ابتداء الذكر**) كذلك من أصله لأن الأول ليس بذكر في الحقيقة لعدم قبوله.

---

(١) قد يستشكل بقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»، والأظهر - والله تعالى أعلم - أن السالك إذا نفى الأهوية والأصنام المعنوية فالأولى أن يشتغل بالإثبات دون النفي على سبيل الورد وإلا فلا ينفك مسلم أبداً عن التهليل الذي هو الكلمة الطيبة في بعض أوقاته.

(٢) سورة القمر آية: ٥٠.

(٣) أخرجه الإمام أحمد ضياء الدين الكمشخانوي في (راموز الأحاديث ص٩٠/ باموق) عن ابن ماجه والطبراني والبيهقي عن الإمام ابن مسعود وكذا عن الترمذي وحسَّنَه.

وأثر الذكر هو أنك في حال النفي ينتفي عنك وجود البشرية، وفي حال[1] الإثبات يظهر فيك أثر من آثار تصرفات الجذبات الإلهية، والأثر متفاوتة بحسب الاستعداد فبعضهم أول ما يحصل له الغيبة عما سوى الحق تعالى

(**وأثر الذكر**) أي) الذي تنتظر بظهوره لك (**هو أنك في حال النفي**) بقولك: «لا إله» تنتفي عنك يا أيها الذاكر (**وجود**) الأوصاف (**البشرية**)، أي المنسوبة إلى البشر مما طبع عليها من الضجر والملل والكسل والفتور والغرض الدنيوي والأخروي، والفرح مما يسر، والحزن مما يسوء، والانتظار لشيء مطلقاً، والأسف على شيء ولو خير، أو نحو ذلك.

(**وفي حال الإثبات**) بقولك: «إلا الله»، يظهر فيك أثر من آثار تصرفات الجذبات الإلهية الربانية، بحيث لا يبقى لنفسك فيك حركةٌ ولا سكون، وتنتقل إلى الأوصاف المَلَكية من التوكل والتسليم والتفويض والصبر ونحو ذلك. وتكون بشراً فتصير مَلَكاً بعد ما كنت قابلاً أن تصير شيطاناً بالأوصاف الذميمة؛ فالبشر برزخٌ بين المَلَكِ والشيطان، فإن غلبتْ عليه الأخلاقُ الحسنةُ كان مَلَكاً، أو السيئةُ كان شيطاناً، وإلا فهو بشر لا مَلَكٌ ولا شيطان، بل فيه من هذا ومن هذا.

(**والأثر**) الذي يظهر فيك (**متفاوت**) ليس متساوياً، بل هو (**بحسب الاستعداد**) أي القابلية التي خلقك الله تعالى عليها. (**فبعضهم**) - أي بعض الذاكرين - (**أول ما يحصل له الغيبة**) - أي الاستغراق - بالكلية (**عما سوى**) - أي غير - (**الحق**) تعالى من جميع الأكوان، فلا يشهد شيئاً مطلقاً، ويتحقق بالعدم المحض، ثم يحضُرُ من غيبتِه فيَعلمُ في ذلك الحضور بعد الغيبة كيف بدأ الله تعالى الخلق وكيف أعاده، ويحصل له الفتح من ذلك الحين وهو كامل الاستعداد.

---

(١) في متن ابن علان: في زمن.

وبعضهم أول ما يحصل له [السكر][1] والغيبة وبعد ذلك يتحقق [له][2] وجود العدم، وبعده يتشرف بالفناء كما قال الشيخ عبد الله الأنصاري في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾[3] أي إذا نسيت غيره، ثم نسيت نفسك، ثم نسيت ذكرك ذلك في ذكرك، ثم نسيت في ذكر الحق إياك كل ذكر.

(**وبعضهم أول ما يحصل له الغيبة**) من الكل لا يتحقق فيها بالعدم المحض لاشتغال بصيرته بذكره، والذكر كَوْنٌ، ففيه بقية من الكون لم تذهب منه، وهو قاصر الاستعداد بالنسبة إلى الأول لا يقدر على المفارقة والاستقبال بسرعة.

(**و**) لكن (**بعد ذلك**) أي بعد انقضاء الغيبة بحضوره (**يتحقق**) أي يتبين في نفسه بغيبة أخرى (**وجود العدم**) الصرف، (**وبعده يتشرف بالفناء**) من الأغيار فيشهد الحق تعالى بعد ذلك.

(**كما قال الشيخ عبد الله الأنصاري**) ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَٱذْكُر** ﴾ يا أيها العبد ﴿ **رَّبَّكَ** ﴾ مالكك أو صاحبك أو مربيك، ﴿ **إِذَا نَسِيتَ** ﴾ (**أي إذا نسيت غيره**) سبحانه وتعالى، بحيث لم تشعر بشيء مطلقاً، وتحققت بالعدم في كل شيء، (**ثم نسيت بعد ذلك نفسك**) الذاكرة لربك فلم تشعر بها وتحققت بعدمها، (**ثم نسيتَ ذكرك ذلك**) الذي أنت فيه فلم تشعر به وتحققت بعدمه (**في**) حالة الوجود (**ذكرك**) ذلك بعينه بحيث لم تقطعه ولم تتركه، ومع ذلك تحققت بعدمه في عين وجوده.

(**ثم نسيتَ في ذكر الحق**) سبحانه وتعالى (**إياك**) يا أيها العبد كما قال تعالى: ﴿ **فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ** ﴾[4]، (**كلَّ ذكرٍ**) لك أو لغيرك، فإنك تجد ذكرك هو ذكر الحق عز

---

(١) زيادة من متن ابن علان لم يدرجها الشارح.

(٢) من متن ابن علان.

(٣) سورة الكهف الآية: ٢٤.

(٤) سورة البقرة آية: ١٥٢.

وجل لك بعينه، **فتذكره بلسانك ويذكرك بلسانك إذ لا لسان له عز وجل فعند ذلك** تستحي منه لأن ذكره لك أكبرُ من ذكرك له؛ قال تعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[1]، وذلك لأن لسانَك خلقةٌ له لا لك، بل كُلُّك خِلقةٌ له لا لك، كما ورد في الحديث: «يا ابن آدم خلقتُ الأشياء كلَها من أجلِك وخلقتُك من أجلي»[2]، فلا تشتغل بما خُلِقتَ من أجله عما خلقك من أجله، فتسكت أنت عن ذكرك له، ويبقى في لسانك ذكرُه لك، وهو قوله[3] (**ثم نسيتَ في ذكر الحقِ إياكَ كُلَّ ذكر**) كما سبق.

وأعلى الدرجات وأتمها الفناء، أعني لا يبقى للسالك خبر عما سوى الله تعالى

(**وأعلى الدرجات**) في الوصول إلى الله تعالى بالنسبة إلى السالكين إليه تعالى (**وأتمها**) حصول مقام (**الفناء**) للعبد عن سائر الأغيار، (**أعني لا يبقى للسالك خبر عما سواه تعالى**). قال عز من قائل: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾[4]، أي على الحضرة العلمية[5]، فإن كل شيء في علم الله تعالى لم يبرح منه على ما هو عليه من العدم الصرف، والوجود لله تعالى وحده، وهو مشرق على الحضرة العلمية، كاستحضار العالم لما في علمه من المعلومات.

فإذا ظهرت تلك المعلومات وهي على ما هي عليه من عدمها الصرف، رأت نفسها موجودة بإشراف وجود غيرها عليها، فادعت الوجود لنفسها مع وجود غيرها، وتكبرت عن الانحطاط في الوجود عن غيرها وزعمت أنها تشاركه فيه، وهي معدومة بالعدم الصرف من غير شعور منها بذلك، وهذا معنى قوله ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا ﴾ ثم أخبر

---

(١) سورة العنكبوت آية: ٤٥.

(٢) ذكره سيدي محي الدين في الفتوحات (١/ ٢٣٩)، (٢/ ٣٥٨)، وابن عجيبة في إيقاظ الهمم (٢٤٧).

(٣) أي مصنف الرسالة سيدي تاج الدين العثماني قدس الله سره.

(٤) سورة الرحمن آية: ٢٦.

(٥) (ج): العلية

تعالى عن ذلك كله بأنه ﴿فانٍ﴾. والسالك في فنائه المذكور يشهد حقيقة ما ذكرنا، ويزول عنه تكبرُّه عن أصله العدمي، بزعمِهِ وجودَ غيرِه أنّهُ له، ويرتفع عنه حجاب الوهم إذا فهم هذا الفهم.

وكيفيةُ الذكرِ أن يجعلَ اللسانَ ملتصقاً بسقفِ الفَم ويلصقَ الشفةَ بالشفةِ والأسنانَ بالأسنانِ ويحبسَ النَفَسِ ويشرعَ بكلمة «لا» مبتدئاً بها من السرةِ ويصعد بها إلى جانبِ الدماغ، فإذا وصلَتْ إلى الدماغ ملتَ بـ«إله» إلى جانبكَ اليمين.

(**وكيفية**) هذا (**الذكر**) المذكور لأهل هذه الطريقة أصحاب الذكر الخفي: (**أن يجعلَ**) الذاكر (**اللسانَ ملتصقاً بسقف الفم**) لصقاً محكماً، (**ويلصقَ الشفةَ**) العليا (**بالشفةِ**) السفلى، (**والأسنانَ**) العليا (**بالأسنانِ**) السفلى، (**ويحبسَ النفس**) حتى تشبهَ حالتُه حالةَ الميتِ ولا يشعرَ به أحد. وبعد ذلك (**يشرع بكلمة «لا»**) مبتدئاً بها من السرة حتى يتحقق خروجُها من القلب، **ويعلم كيف تتفرّع الأفعال البدنية من فعل القلب.**

(**ويصعد بها**) أي بكلمة لا (**إلى جانب الدماغ**) فيعرفَ كيف صعودُ الأمرِ أولاً إلى الدماغ ثم نزوله إلى باقي الأعضاء، إذ لابد من عَرْضِ كلِّ أمرٍ يأمرُ به القلبُ على العقل، والعقل في الدماغ، (**فإذا وصلتْ**) - أي كلمة «لا» - (**إلى الدماغ مِلْتَ**) يا أيها الذاكر بـ«**إله**» (**إلى جانب اليمين**)[1] منك، فإن النَفْسَ في جانبك اليمين، وكُلُّ ما تخبرك به نفسك عن الإله فهو باطل كذب، لأنها تُصور، والله تعالى لا صورة له؛ وتُكَيِّفُ، والله لا كيفية له، فلابد من نفي إلهها الذي تزعمه حتى يثبت عندها الإله الحق الذي لا يُصَوَّرُ ولا يكيف.

وبإلا الله إلى جانب اليسار، ورميت بها على القلب الصنوبري بقوة، بحيث يظهر أثرُها وحرارتُها في سائر الجسد، وتميلُ بـ«محمد رسول الله» من جانب اليسار إلى

---

(١) في (أ) و (ب) جانب وأثبتنا كاف الخطاب لورودها في ب في العبارة التالية وهو أقرب للصواب.

جانب اليمين أي تأتي بها بينهما.

وَمِلْتَ (**بإلا الله إلى جانب اليسار**)، والقلب في جانبك اليسار، (**ورميت بها**) أي بكلمة **إلا الله** (**على القلب الصَنَوبري**)، وهو قطعة لحم معلقة في (**باطنك**) من جهة الجانب الأيسر، أولُ ما تظهر القوى الروحانية فيه، ثم تدب في جميع البدن عُلوَّه قبل سُفْلِهِ (**بقوة**) أي رمياً قوياً (**بحيث يظهر أثرها**)، أي أثر كلمة إلا الله، (**وتظهر حرارتها في سائر**) - أي جميع - (**الجسد**).

وبعد ذلك يميل (**الذاكر**) ب«محمد رسول الله» من (**جانب اليسار**) منه وهو جانب القلب (**إلى جانب اليمين، أي يأتي بها**) أي بكلمة محمد رسول الله (**بينهما**) أي بين اليسار واليمين، فالقلب في اليسار كالشمس، والنفس في اليمين كالقمر، واليسار مَشرِقُ البدن، واليمين مغربه، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾[1]، فالشمس آية أي علامة تعرف بها الحضرة الإلهية، والقمر آية أي علامة تعرف بها الحضرة المحمدية.

ونور القمر مستفاد من نور الشمس، على معنى أن نور الشمس انعكس في مرآة جِرم القمر، فظهر في جرم القمر خيالُ نورِ الشمس، ولم ينفصل[2] من نور الشمس شيء، ولا اتصل نور الشمس بالقمر، بل نور الشمس على حاله من الإشراق الحقيقي، وجِرمُ القمر على حاله من عدم النور من جهة نفسه، غير أنه ظهر فيه أثر نور الشمس فأعدم ظلمتَه الأصلية في عين الرائي. كذلك محمد ﷺ، خلق الله تعالى نورَه من نورِه، على هذا المعنى الذي ذكرنا في الشمس والقمر، وهو حكمة الميل بـ«محمد رسول الله» من جانب اليسار إلى جانب اليمين، وتكون بينهما، لأن محمداً ﷺ لم يلتبس عليه ما فيه من النور، حتى لم يدَّعِ ذلك لنفسه، بل كان بينهما.

---

(١) سورة فصلت آية: ٣٧.

(٢) ساقط من (ب).

ويقول بعد ذلك أيضاً: (إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي) يعني من هذا الذكر، مع توجهِ القلب على وجه يظهر أثرُه في القلبِ ويتأثرُ منه ويكونُ ذلك كله بحيث لا يظهر على ظاهره حركة ولا يشعر به من كان بقربه، وفي حبس نَفَسِه يذكر مرة أو ثلاثاً مراعياً للوتر.

(**ويقول**) الذاكر (**بعد ذلك بقلبه**) أيضاً (**إلهي**) أي يا إلهي، بمعنى معبودي (**أنت**) - لا سواك - (**مقصودي**) الذي أقصده، (**ورضاك**) عني (**مطلوبي**) الذي أطلبه [(**يعني**][1] **من هذا الذكر**) الذي ذكرتك به في قلبي ولم يطلع عليه أحد غيرك، (**مع توجه القلب**) أي مع إقباله على الله تعالى بالكلية وإعراضه عن كل شيء (**على وجه يظهر أثره**) أي أثر الذكر (**في القلب ويتأثر**) القلب، أي يصير فيه أثرٌ (**منه**)، أي من ذلك الذكر، (**ويكون ذلك**) الأمر المذكور (**كله**) على الكيفية المذكورة (**بحيث لا يظهر على ظاهره**) أي ظاهر الذاكر (**حركة**) في عضو من أعضائه مقصودةٌ له، (**ولا يشعر به من كان بقربه**) من الناس [فضلاً عمن كان بعيداً منه فإن مبنى هذه الطريقة على الستر والإخفاء وشعور الغير بذلك ينافيه، ولأنه أبعد للرياء وأحفظ للقلب من ملاحظة الأغيار، وأَعَوْنُ على الإخلاص في المعاملة الإلهية، وأقرب في تحصيل الصدق (**وفي حبس نفسه يذكر مرة أو ثلاثا مراعياً للوتر**)][2].

قال حضرة الخواجة النقشبند قدس سره في معنى هذه الكلمة الطيبة أن لا إله نفي الإلهية الطبيعية وإلا الله إثبات للمعبود الحق تعالى؛ ومحمد رسول الله معناه أنك أدخلت نفسك في مقام: ﴿ فَٱتَّبِعُونِى ﴾[3].

---

(١) ساقط من (أ).

(٢) عبارة مضطربة في (ب).

(٣) سورة آل عمران آية: ٣١.

(وقال حضرة الخواجة [النقشبند][1] **قدس سره)** [والحال أن **(في سرِّهِ)**، أي سر الذاكر][2] **(في معنى هذه الكلمة الطيبة)**، أي كلمة لا إله إلا الله، فإن المعنى هو المقصود دون اللفظ، وذلك أن **(لا إله)** أي كلمة لا إله إلا الله، معناه **(نفي الآلهة)** المتصورة المتكيفة **(عن الطبيعة)** الإنسانية، فإن العلم الإنساني ينقسم إلى تصور وتصديق، والتصديق تصور مع الحكم، فالعلم الإنساني كله تصور. ويجب[3] على كل إنسان مكلف أن يعلم الله تعالى، فإذا علمه صوَّره تعالى، وتصويره[4] تعالى ليس مطابقاً له[5]، فهو جهلٌ به لا علم، ولا يمكن الإنسانَ العالمَ إلا هذا المقدار، فالإله في الطبيعة ليس بالإله الحق، فلابد من نفيه[6] لأجل الإيمان الصحيح.

وقد تكلمنا على هذا البحث في كتابنا الرد[7] المتين على منتقص العارف محي الدين وفي كتابنا «المطالب الوفية» وغيرهما من كتبنا **(وإلا الله إثبات)** من العبد الذاكر **(للمعبود الحق)** الذي لا صورة ولا كيفية ولا مثلية، الذي يدرك ولا يُدرِكُ[8]، **(ومحمد رسول الله معناه أنك)** يا أيها الذاكر **(أدخلت نفسك)** طوعاً **(في مقام)** قوله تعالى للنبي ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ **(فَٱتَّبِعُونِى)** يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[9]، فمن اتبع النبي ﷺ إنما يتبعه في جميع أقواله وأفعاله ﷺ.

---

(١) ساقط من (ب) وبلفظ النقشبندية في (أ).

(٢) ساقط من (أ).

(٣) (ب): وأُجيب.

(٤) في (أ) تصوره، والمقصود تصور العبد لله تبارك وتعالى.

(٥) أي لله تعالى.

(٦) (ج): تعينه.

(٧) في (أ) در.

(٨) مضطربة في (أ) و (ج).

(٩) سورة آل عمران آية: ٣١.

[وأقواله ﷺ][1] اضطربت فيها المنقول عنه، ووقع الاختلاف [فيها][2] بين الأئمة المجتهدين الأربعة وغيرهم مما لم نطلع عليه من مذاهب السلف الماضين.

واختلفوا في الكيفية لاختلاف الروايات: فهيئة الصلاة على وجه السنة المحمدية مثلاً في مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه غير الهيئة التي في مذهب [الإمام][3] أبي حنيفة رضي الله عنه، وهكذا في باقي الأعمال، والبعض على الوفاق.

والاجتهاد ظن، فاتباع النبي ﷺ على الحقيقة[4] فيمن أخلص في عبوديته لله تعالى، وصدق في الرضا بالله تعالى رباً حتى لم يتحرك في باطنه وظاهره حركة بنفسه، وإنما وجوده بربه، وحركاته[5] كلها بربه. بحيث لو غفل عن ذلك لمحة أعدها ذنباً عظيماً وشركاً خبيثاً فيتوبَ منه، فإنه يتقيد في عبودية ربه ويصلح باطنه، فيقبل عليه ربُّه بربوبيته، ويُصلِحُ له ظاهره، فلا يخلُق له مادام في تلك الحالة إلا الأقوال والأعمال الموافقة للسنة المحمدية والطريقة المرضية، فيستغني بنقل ربه له ذلك عن نقل الرواة[6]، وتصير أفعاله وأقواله وخواطره التي بيد ربه عز وجل صدقاً وتحقيقاً رواه له في نقل سنة نبيه عن ربه،

فيحصل حينئذٍ مقام الإتباع الحقيني للنبي ﷺ من غير بدعة ولا زيغ. وإذا اتبع النبي ﷺ على وجه التحقيق كان ذلك الإتباع معنى قوله: محمد رسول الله، وإلا كان قوله ذلك على طريق التوهم لا التحقيق[7]، وبالله التوفيق[8].

---

(١) سقط من (أ) واستبدل بلفظة أقواله لفظة أحواله.

(٢) ساقط من (أ).

(٣) سقط من (أ).

(٤) في (أ): الحقيقي.

(٥) في (أ): حركته.

(٦) في (أ): الروات.

(٧) في (أ): التحقيقي.

(٨) في (ب): والله ولي التوفيق.

وبعض أكابر هذه السلسلة قالوا في معنى الكلمة الطيبة إن المبتدئ يتصور في قوله «لا إله» لا معبود، والمتوسط: لا مقصود، والمنتهى: لا موجود إلا الله.

(**وبعض أكابر هذه السلسلة**) النقشبندية من المشايخ المحققين (**قالوا في معنى**) هذه (**الكلمة الطيبة**) كلمة لا إله إلا الله (**إن المبتدئ**) في طريق السلوك إلى الله تعالى، وهو الذي مع نفسه لم يبرح عنها يتصور بقلبه في قوله (**«لا إله»**) ألا[1] معبود في الوجود إلا الله تعالى، وذلك لأنه في مقام الإسلام فيحتاج إلى نفي الشرك الجلي عن قلبه ووهمه. وكل شيء عبَدَ فليس هو اللهَ تعالى، فإنه تعالى ليس كمثله شيء.

والآلهة التي عُبدت من دون الله تعالى كثيرة منها الآلهة الحسية كالأصنام، ومنها الآلهة الوهمية كالتشابيه والتكاييف[2] والتماثيل في الخيالات الفاسدة، والإله الحق وراء ذلك كله لا يشبِهُ شيئاً ولا يشبهه شيء.

(**والمتوسط**) في الطريق وهو الذي مع قلبه لم يبرح عنه يتصور في الإله[3] أ(**لا**[4] **مقصود**) في الوجود إلا الله، وذلك لأن كل قاصد لشيء[5] إنما يقصده إما لنفعه

أو لضره أو لحصول العبث به، والنافع والضار هو الله وحده بلا تأثير شيء مطلقاً. وكذلك حاجةُ العابث فإن[6] حصولُ العبث له بيد الله تعالى، فالمقصود هو الله تعالى على كل حال عند صاحب القلب الصحيح والعقل الرجيح.

---

(١) في (أ) لا.

(٢) جمع تكييف، أي إثبات كيفية لله تعالى.

(٣) في (ب) بزيادة لفظة يلاحظ.

(٤) في الأصلين : لا، وما أثبتناه مستفاد مما قبله وأنسب للسياق.

(٥) في (أ) بشيء والمثبت من (ب).

(٦) (أ) و (ب): وهو، والمثبت من (ج).

(والمنتهي) في الطريق، وهو الذي مع ربه، يتصور في «إلا الله» أ(لا موجود) في الوجود (إلا الله)، وذلك لأن الوجود كله كلمح بالبصر، لأنه قائم بأمر الله، لقوله تعالى:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾[1]، وأمره تعالى كلمح بالبصر، قال:﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾[2]. والوجود الذي يكون كلمح بالبصر غير ثابت، فلهذا يقول المنتهي لا إله [أي][3] لا موجود في هذا الوجود إلا الله[4].

وقال الأكابر: ما لم ينته السير إلى الله تعالى ويضعُ القدمَ في السير إلى الله تعالى، تكونُ ملاحظتُه في «لا موجود» كفراً، وقيل معناه: لا متصرفَ في الملكِ و الملكوتِ إلا اللهُ تعالى.

(وقال) أيضاً بعض (الأكابر) من لصوفية: (ما لم ينته السير) أي سير المرشد الصادق من نفسه (إلى الله تعالى)، بحيث يعترف[5] بوجوده تعالى (ويضع القدم) - وهو الخاطر الروحاني- (في السير إلى[6] الله تعالى)، فإذا شهد الوجود كلمح بالبصر كما

---

(١) سورة الروم آية: ٢٥.

(٢) سورة القمر آية: ٥٠.

(٣) سقط من (أ).

(٤) هذا على مشرب سيدي عبد الغني النابلسي لا على مشرب المجددية الذين هم جل النقشبندية الآن، وهؤلاء يذهبون إلى أن في الانتهاء يكون مقام وحدة الشهود حيث يشهد العبد ألا موجود إلا الله دون أن يعتقد عدم الموجودات ذاتياً. وفي الأمر تفصيل يعلم من مكتوبات الإمام الرباني قدس الله سره. والمشرب الذي يتكلم منه سيدي النابلسي مشرب الصوفية بعامة وهو مشرب سيدي ناصر الدين عبيد الله أحرار في الطريقة النقشبندية، كما أثبته الإمام السرهندي في مكتوباته. والله تعالى أعلم. وممن خالف فيه كذلك سيدي عبد الوهاب الشعراني ﵁ إذا قال في ترجمة سيدي علي وفا قدس الله سره: جميع ما في هذه القولة مبني على مذهب أهل الوحدة المطلقة وهي مرتبة نقص بالنظر لمراتب المحققين فكان الشيخ فيها كالمغلوب على إظهار ما شهد بقرينة كلامه في مواضع من هذه الوصايا والله أعلم.

(٥) في (أ) يفترق.

(٦) في (أ) في.

ذكرنا، يشهد (**الحقيقة الثابتة التي وراء**) ذلك، وهي حقيقة الحق تعالى، فيؤمنُ بها بالغيب. ومن لم يكن شهوده كذلك (**تكون ملاحظته في لا موجود إلا الله كفراً**) وذلك لعدم شهوده الحقيقة الثابتة وراء هذا الوجود المتغير بها وهي حقيقة الله تعالى، وذلك مذهب الحسبانية[1]، وهو كفر بالله تعالى وتعطيل. (**وقيل معناه**) أي معنى «لا إله»: (**لا متصرفَ في الملكِ والملكوت إلا اللهُ تعالى**): المُلْكُ ظاهرُ العالَمِ، والملكوتُ باطنُه.

ولكلمة الشهادة معان أخرى ذكرنا بعضها في (**كتابنا الأنوار الإلهية شرح السنوسية**) عند تعرض الماتن لذلك، وكذلك في شرحنا لعينية الجيلي ﷺ.

وينبغي الاجتهاد في مداومة الذكر فلا تتركه في حال ولا وقت ولا في قيامك وقعودك ولا في حديثك ولا في نومك. وإن حصل لك في الذكر أو في مجالسة الشيخ لفتة فافرضها كالخط المستقيم

(**وينبغي الاجتهاد**) منك يا أيها الذاكر (**في مداومة الذكر**) إن كنت طالباً الوصول إلى معرفة ربك، (**فلا تتركه**)، أي الذكر (**في حال**) من الأحوال، إن كنت مسروراً أو محزوناً، صحيحاً أو مريضاً، منفرداً وحدك أو مع غيرك، (**ولا وقت**) من الأوقات، ليلاً أو نهاراً، في السفر وفي الإقامة، (**ولا في قيامك**)، ماشياً أو واقفاً، (**وقعودك**) ولو متكئاً أو مستنداً، (**ولا في حديثك**) مع إنسان كان، فتتحدث وأنت تذكر بقلبك، (**ولا في نومك**) فتنام وأنت تذكر.

(**وإن حصل لك في الذكر أو في مجالسة الشيخ لفتة**) في قلبك إلى شيء من الأشياء ولو إلى طاعة بحيث شغلتك تلك اللفتة عن التذكر أو عن ملاحظة جانب الشيخ، (**فافرضها**) أي افرض تلك اللفتة من قلبك (**كالخط المستقيم**) الخارج منك الواقع على ما أنت بصدده من الذكر في غير صورة ذكرك الأول، فإن الذكر وغيره مما التفت إليه

---

(١) طائفة تقول بتجدد العالم في كل زمان فرد كما ذكره الشيخ الأكبر في الفتوحات (٦/ ١٩٩).

قلبك متساويان في أنهما أثران لمن تذكره أنت. وكذلك شيخك وغيره أثـران متـساويان فيما تقصد بهما من الدلالة على الله تعالى.

فإن تَخُيُّلَ هذا المعنى وشغلَ الخيال بأمر واحد ممد للجمعية. وقال بعض الأكـابر إذا تغيرت شعرة من بدنك بواسطة الحال وتأثرت ينبغي أن تتبـع تلـك الـشعرة حتـى يحصل لك التعطل، كما قال بعض الأكابر: الشغل هو عدم التفاته إلى أنه شغل.

(**فإنَّ تَخَيُّلَ هذا المعنى**) الذي ذكرناه في اللفتة عن الـذكر وعـن ملاحظـة الـشيخ (**وشَغْلَ الخيالِ بأمر واحد**) كلما فر منك إلى أمر آخر بأن تتحقق في ذلـك الأمـر الآخـر فتجده عين ما أنت بصدده، تنوع عليك امتحاناً وتثبيتاً على طريقة واحدة، فـإن الـذكر يتنكر على الذاكر أحياناً للمحنة من الله تعالى. وكذلك الشيخ يتنكر على مريده بـأمر الله تعالى للفتنة[1] فيظهر في صورة ما التفت إليه مريده وهو هـو بعينـه في صـورةِ [غـيره][2] لتظهر فضيلة المريد بمعرفة الذكر.

والشيخ في جميع أطواره (**ممدٌّ**) في قلب المريد (**للجمعية**) وهي خلاف التفرقة].

(**وقال بعض الأكابر**) [من الصوفية][3] (**إذا تغيرت شـعرة مـن بـدنك بواسـطة الحال وتأثرْتَ، ينبغي أن تتبع تلك الشعرة حتى يحصل لك التعطل**).

(**كما قال بعض الأكابر**) من الصوفية: (**الشغل**) بالـذكر هـو (**عـدم التفاتـه**) أي التفات الذاكر[4] (**إلى أنه**) أي ذلك الشغل (**شغلٌ**)، لأن الالتفات إلى أن الذكر (**شُغلٌ**) هو الشغل عن الذكر.

---

(١) أي للاختبار والتمحيص.

(٢) سقط من (ب).

(٣) ساقط من (أ).

(٤) في (أ) الذكر.

قال المولى سعد الدين الكاشغري[1] سألني الشيخ عبد الكبير اليمني، فقال لي: ما الذكر؟ فقلت: (لا إله إلا الله)، فقال ما هذا ذكر؛ هذا عبارة. فقلت له: أفد أنت، فقال: الذكر أن تعلم أنك لا تقدر على وجدانه.

و(**قال المولى سعد الدين الكاشغري**) - منسوب إلى كاشغر، مدينة[2] من الهند[3]: (**سألني الشيخ عبد الكبير**[4]) اليمني وقال لي: ما الذكر؟ فقلت: لا إله إلا الله. فقال - أَيْ اليمني - (**ما هذا**)- أي قوله لا إله إلا الله بمجرد اللسان- (**ذكر**) حقيقي عند أهل الله تعالى، هذا - أي قول لا إله إلا الله - (**هذا عبارة**) عن الذكر، كما إذا قلت «بيت» فليس هذا نفس البيت بل هي [عبارة][5] معناها البيت (**فقلت**) - أي قال الكاشغري لليمني ﷺ :- (**أَفِدْ أنت**) يا مولانا واكشف لنا [عن][6] حقيقة الذكر! (**فقال**) اليمني ﷺ: (**الذكر أن تعلم**) يا أيها الذاكر (**أنك لا تقدر**) بنفسك (**على وجدانه**) أي وجدان الذكر فيك، بل المذكورُ بالذكر هو القادر على وجدانه فيك إذا أراد، وفي الوقت الذي يريد.

وقال السيد الطائفة الجنيد التصوف هو أن لا تجلس ساعة متعطلاً من ملاحظة شيء.

وقال سيد الطائفة الصوفية (**الجنيد**) البغدادي ﷺ: (**هو**) أي الذكر (**أن لا تجلس**) يا أيها الذاكر (**ساعة**) - أي لمحة- (**متعطلاً**) أي خالياً (**من ملاحظة شيء**) من

---

(١) من شيوخ الملا عبد الرحمن الجامي قدس الله سرهما. توفي في أثناء صلاة الظهر سنة ٨٦٠ هـ.

(٢) (أ): طريقة؛ (ج): بلدة.

(٣) قوله من مدن الهند تسامح وإلا فهي إلى سمرقند أقرب.

(٤) (أ): عبد الكريم.

(٥) ساقط من (أ).

(٦) ليس في (أ).

الأشياء مطلقاً، **فإن الأشياء كلها على اختلافها ذكرُ الله تعالى نَفسَه** بنفسِه لنفْسه، فإذا لاحظت شيئاً كنت ذاكراً لله تعالى بذكر الله نفسَه. وهذا بعدَ معرفة الأشياء المعرفة التامة وإلا كانت ملاحظة الشيء غفلة لا ذكراً.

وقال شيخ الإسلام: في ملاحظة ذلك يحصل الوجدان بغير تفتيش والرؤية بلا نظر، ومقصود هذه الطائفة العلية الصوفية[1] أن يحصل لهم مشهد «أن تعبد الله كأنك تراه»[2].

و(**قال شيخ الإسلام**) الخواجة عبد الله محمد الأنصاري الهروي: (**في ملاحظة ذلك**) المذكور في كل شيء (**يحصل**) للذاكر (**الوجدان**) في نفسه للحق تعالى (**بغير تفتيش**)، أي تعب في الطلب، (و) يحصل له أيضاً (**الرؤية**) لله تعالى (**بلا نظر**) مقصود منه لرؤية الله تعالى، وهو مقام الصديق الأكبر ﷺ فإنه قال:«ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله تعالى فيه»، مراده أن كل شيء مظهر لله تعالى من حيث إنه أثر له تعالى لا الظرفية، وهذا هو الذكر الحقيقي وما سواه عبادة لا ذكر.

(**ومقصود هذه الطائفة العلية الصوفية**) قدس الله تعالى أرواحهم السنية في مجاهداتهم وسلوكهم (**أن يحصل لهم مشهد**) أي شهود مقام الإحسان الذي أخبر عنه النبي ﷺ بقوله:«الإحسان (**أن تعبد الله**)» بالإيمان والإسلام اللساني والقلبي وبأنواع الطاعات الحاصلة بالجوارح وأنت ملاحظ له تعالى في عين عبادتك المذكورة فيك وفي كل شيء تراه، لأنه متجلٍ عليك في كل شيء، وكل شيء أثر تجليه عليك، وأنت أيضاً من جملة تلك الآثار.

(**كأنك تراه**) دخلت الكاف هنا للتشبيه، أي تشبيه حالتك وأنت لا تراه بحالتك وأنت تراه، والأصل في ذلك وجود الإنسان الكامل على الصورة الإلهية التي هي عبارة

---

(١) في (ب) العلية.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤٨)، ومسلم بنحوه (١٠)، وأبو داود (٤٠٧٥)، والترمذي (٢٥٣٥) وغيرهم.

عن ذات وصفات وأفعال، ومن جملة ذلك رؤية تلك الذات الإلهية لنفسها، وأنت أيضاً ترى نفسك، وكل شيء من حقيقة نفسك؛ فإذا رأيت كل شيء رأيت نفسك، وإذا رأيت نفسك فقد رأيت ربك من حيث أن نفسك ظل نفس ربك أي أثرها قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾[1]، وفي الحديث: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»[2].

ولم تر ربك لأنك حادث وهو قديم، والحادث لا يرى القديم، وإنما يرى مظهره، ومظاهره كلها حادثة فحادث يرى حادثاً، فهي رؤية وليست برؤية. ومن هنا قيل: «كأنك تراه» فالظاهر بكل شيء هو الله تعالى من حيث أنه الأول والظاهر الذي هو كل شيء غيره فهو الكون والآخر بعد ذهاب كل شيء في كل لمحة كما قدمناه هو الله تعالى الأول بعينه والآخر الذي هو كل شيء بعده الأول غيره وهو الكون، فالكون فارق بين الأول والآخر وبلا كون لا فرق بينهما.

وكذا الظاهر قبل كل شيء وبعد كل شيء هو الله تعالى، وكل شيء باطن في ظهوره، والباطن في وقت ظهور كل شيء فضلاً عن قبل وبعد هو الله تعالى، وكل شيء ظاهر في بطونه، فهو الظاهر الباطن وهو بكل شيء عليم.

وملكة الحضور يسمونها «مشاهدة»، وتكون بالقلب. أما الرؤية فتكون بعين الرأس.

(وملكة) أي القوة الراسخة في النفس على **(الحضور)** مع الله تعالى الحاصلة للسالك بكثرة الممارسة والرياضة بحيث متى شاء استعملها فحضر مع الله تعالى

---

(١) سورة الفرقان آية: ٤٥.

(٢) أورده صاحب «كشف الخفاء ومزيل الالباس» ٢/ ٣٦١ ونقل عن الإمام النووي عدم ثبوته، لكنه ذكر أن الشيخ محيى الدين بن عربي ﷺ قال (هذا الحديث وإن لم يصح من طريق الرواية فقد صح عندنا من طريق الكشف) وللحافظ السيوطي فيه تأليف لطيف سَمَّاه «القول الأشبه في حديث «من عرف نفسه فقد عرف ربه».

والجدير بالذكر أن الشيخ العجلوني ذكر في هذا الموضع أن شيخه الشيخ حجازي الواعظ شارح «الجامع الصغير» للسيوطي قد ذكر له أن الشيخ محيى الدين بن عربي معدود من الحفاظ رضي الله تعالى عنه وعنا به.

(يسمونها) أي السادة الصوفية (مشاهدةً) للحق تعالى، (وتكون) - أي توجد - (بالقلب) فقط لا بالعين.

وأما الرؤية فتكون (بعين الرأس)، احترز بذكر الرأس عن عين القلب، وعين الرأس هي العين المخلوقة في رأس الإنسان من جهة وجهه ذات الحدقة والأجفان. **وهذا هو الفرق بين المشاهدة والرؤية من حيث المحل، فمحل المشاهدة القلب، ومحل الرؤية العين**، وربما يطلق على المشاهدة بالقلب رؤية، كما قال تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾[1]، فضمير ﴿ رَأَىٰٓ ﴾ المستتر يرجع إلى الفؤاد وهو القلب، إلا إذا قيل إن فاعل ﴿ رَأَىٰٓ ﴾ محذوف والتقدير: ما كذب الفؤاد ما رأى البصر.

والفرق بين الرؤية والمشاهدة أنك في الرؤية لا تقدر أن تبعدها عنك، وفي المشاهدة أنت بالخيار.

(**والفرق بين الرؤية والمشاهدة**) من وجه آخر وهو (**أنك في الرؤية لا تقدر أن تبعدها**) أي تبعد الرؤية وترفعها (**عنك**) في وقت حصولها لك، (**وفي المشاهدة أنت بالخيار**) فيها: إن شئت أزلتها وإن شئت أبقيتها. وذلك لأن في الرؤية الانكشاف حاصل من جهة المرئي فلا تقدر أن تغطيه، وفي المشاهدة من جانب المشاهِد[2] فتقدر على التغطية.

والمشاهدة في الدنيا للمؤمنين لا الرؤية، ولهم الرؤية في الآخرة وإن جازت في الدنيا كما قررناه في كتابنا «المطالب الوفية» وغيره من كتبنا[3].

---

(١) سورة النجم آية: ١١.

(٢) (أ): المشاهدة.

(٣) فرق الإمام الشعراني ﷺ بين المشاهدة والرؤية من وجه آخر فقال في كتاب الميزان الذرية: **ومن هذا: الفرق أيضًا بين الرؤية والشهود** أن الرؤية لا يتقدَّمها علمٌ بالمرئيِّ، بخلاف المشاهدة يتقدَّمها علمٌ بالمشهود، وهو المسمَّى بالعقائد، ولهذا يقع الإقرار والإنكار في الشهود حين التجلي الأخروي، ولا يكون في الرؤية إلا الإقرار.... فما

الطريقة الثانية: في سبب الوصول وحصول المعرفة وهي أسهل الطرق وأقربها، وهي التوجه والمراقبة، وهو أن يلاحظ ذلك المعني المقدس الذي بغير كيف ولا مثال له، المفهوم من الاسم المبارك ،نعني «الله» بغير عبارة عربية أو عبرانية أو فارسية أو غيرها، تلاحظه وتحفظه في خيالك وتتوجه بجميع قواك ومداركك إلى القلب الصنوبري وتداوم على هذا الأمر بتكلف منك في ملازمته حتى تذهب الكلفة من البين ويصير هذا الأمر لك ملكة

(**الطريقة الثانية**) غير الطريقة الأولى (**في**) بيان (**سبب الوصول**) إلى الله تعالى (**وحصول المعرفة**) للمريد السالك، (**وهي أسهل الطرق**) على العبد، (**وأقربها**) عليه في حصول المطلوب، (**وهي التوجه**) بالكلية ظاهراً وباطناً إلى الله تعالى مع ترك الشواغل والموانع (**والمراقبة**) له تعالى على كل حال في السر والعلانية.

(**و**) بيان هذه الطريقة (**هو أن يلاحظ ذلك المعنى**) أي المقصود (**المقدس**) أي المطهر عن مشابهة الحوادث (**الذي**) هو موجود (**بغير كيف**) له

حتى يمكن أن يفهم، أو يعقل (**ولا مثال له**) في عالم الملك والملكوت والجبروت، (**المفهوم**) بطريق الغيب المطلق (**من الاسم المبارك**) العظيم، (**نعني**)- أي نقصد به- (**الله**) تعالى (**بغير**) واسطة (**عبارة عربية**) أي واردة في لغة العرب، (**أو عبارة عبرانية**) أي في اللسان العبرانية، وهي اللغة التي نطق بها إبراهيم ﷺ، حين عبر النهر فاراً من النمرود، وقد كان النمرود قال للذين أرسلهم خلفه: إذا وجدتم فتى يتكلم بالسريانية فردوه، فلما أدركوه استنطقوه، فحول الله تعالى لسانه عبرانياً، وذلك حين عبر النهر،

سُمِّي الشاهد شاهدًا إلا لأن ما رآه يشهد بصحة ما اعتقده، فكل مشاهدةٍ رؤيةٌ، وما كل رؤيةٍ مشاهدةٌ، قال تعالى:﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ﴾ (محمد:١٤). ومن هنا سأل موسى ﷺ الرؤية بقوله: ﴿ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ (الأعراف:١٤٣)، وما قال: (أشهدني)؛ فإنه تعالى كان مشهودًا له ما غاب عنه، وكيف يغيب عن رسولٍ من أولي العزم، ولا يغيب عن بعض الأولياء! فما طلب موسى إلا تعجيل التجلي الخاصِّ به في الآخرة، حين طلب مقامه سؤال ذلك في الدنيا.وأما شهوده تعالى الذي يشهد الأولياء فذلك خُبره وديدنُه من مقام ولايته.

فسميت عبرانية بذلك. والمراد بالنهر الفرات. وسميت سريانية لأن الله تعالى حين علم آدم الأسماء علمه سراً من الملائكة وانطقه بها حينئذٍ (أو) عبارة (**فارسية**) وهي لغة الفرس (**أو غيرها**) من اللغات المختلفة

والمراد أن لفظ (الله) علم على الذات الإلهية لا في مقابلة صفة مطلقاً، ولهذا يفهم منه ما وضع له من غير واسطة عبارة أخرى.

(**تلاحظه**) أي تلاحظ معنى اسم الله الذي لا كيفية له ولا شبيه ولا مثيل ملاحظةَ إقبال من الخاطر عليه، لا ملاحظة تكييف وتشبيه وتمثيل، (**وتحفظه**) أي ذلك المعنى المنزه (**في خيالك**) من غير تصوير له باق في الخيال، بل كلما ثبت له التصوير فيه تنفيه عنه فإن الخيال من ضرورية التصوير، وهو محال على الله تعالى.

(**وتتوجه**) أي تقبل (**بجميع قواك**) الباطنة والظاهرة، (**ومداركك**) أي جميع ما تدرك به (**إلى القلب**) الذي لك معلقٍ في باطنك في جانب الأيسر.

(**الصنوبري**) أي الذي على صورة الصنوبرة في الشكل، احترازاً عن (**القلب**) الذي هو روحاني، (**فإنه هو التوجه**) بجميع القوى كما ذكر. (**وتداوم**) أنت يا أيها الذاكر (**على هذا الأمر**) الذي ذكره هنا في كيفية الذكر (**بتكلف منك في ملازمته**)، فتحمل نفسك عليه كلما سئمت منه وتكاسلت فيه، (**حتى تذهب**) أنت، أي تضمحل رسوم نفسك وتزول وساوس أوهامك وحدسك (**من البين**) أي من الوسط، فلا يبقى بين الله تعالى من حيث أنه عالم من حيث أنه معلوم واسطة، (**ويصير هذا الأمر**) المذكور لك يا أيها الذاكر (**ملكة**) أي قوة راسخة فيك متى شئت استعملتها من غير كُلفة.

قال بعض الأكابر النقشبندية أن المعنى المقصود إن مر[1] عليك فتخيله بصورة نور بسيط محيط بجميع الموجودات العلمية والعينية.

(١) كذا في شرح سيدي النابلسي والأقرب إلى الصواب كما في بعض نسخ المتن: عسر، وهو ظاهر في المعنى.

(**وقال بعض الأكابر**) من الصوفية (**النقشبندية**) قدس الله أسرارهم وأرواحهم العليّة: (**إن المعنى المقصود**) بالذكر هو المنزه[1] عن مشابهة كل شيء، كما سبق (**إن مر عليك**) في خاطرك مرورَ ظهورٍ في أثر، (**فتخيله بصورة**)، أي تضبطه في خيالك متكيفاً بكيفية (**نور**)، أي موجود غير موصوف بلون ولا كون، فإن هذا حقيقة النور. وأما المتلون في الألوان كالنور الأبيض والأحمر ونحو ذلك فهو نور عالم الخلق، وذلك نور عالم الأمر (**بسيط**) أي غير مركب من شيئين؛ وأنوار عالم الخلق مركبة كلها غير بسيطة، لأنها موصوفة بصفة كالبياض ونحوه، فذاتُها مع البياض شيئان لا واحد، بخلاف نور عالم الأمر فإنه لا يصح أن يكون إلا بسيطاً (**يحيط**) ذلك النور بجميع (**الموجودات العلمية**) أي التي في حضرة [علم][2] الحق تعالى.

وهي في حضرة علمه تعالى غير مصورة ولا مكيفة، وإنما علمه تعالى على طريقة الحُكم بأن **تكون** في أعيانها مصورةً باسمه تعالى المُصَوِّر، مبتدعةً من غير مثال سبق لها في علمه تعالى من اسمه البديع، فهو يعلمها من غير أن يتصورها في علمه، وهي مصورة في أعيانها، موجودة في أزمانها، حاضرة عنده، لا يغيب شيء منها عن علمه وسمعه وبصره أزلاً وأبداً. ومع هذا هي كلها معدومة في أعيانها بالنسبة إليه تعالى. هكذا يجب أن تعلم حضرة علم الحق تعالى المنزه عن مشابهة علمنا.

(**و**) الموجودات (**العينية**) الثابتة في أعيانها، المنتقلة في الأطوار بحسب أزمانها كلها معدومة العين كما هي أزلاً وأبداً، غير أن الحق تعالى متجلٍ عليها، يشرق نوره الحقيقي على كل ذرة منها.

ومنها علم الحادث بنفسه وغيره أنه موجود ثابت في عينه علماً معدوم العين كباقي الأشياء لكنه مترتب التعلق على معلومات قبله. فإذا ثبتت في علمٍ آخرَ ثبتَ هو؛

---

(١) كذا بالأصول ولعلها: التنزيه.

(٢) سقط من (أ).

والوجود للحي القيوم لا لغيره، يقرن[1] العلم الحادث بينه وبين هذه المعلومات العينية فتظهر موجودة، فهو عِلْمٌ وليس بعلم كما قال تعالى:﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] فلو تبدل علماً حقيقياً وجد الأشياء كما هي في العدم، والوجود للحي القيوم لا إله إلا هو.

وتجعله في مقابلة البصيرة، ومع حفظ ذلك تتوجه إلى القلب الصنوبري المودع والمدارِك، إلى أن تقوي البصيرة وتذهب الصورة ويترتب على ذلك ظهور الأمر المقصود.

(**وتجعله**) أي ذلك النور يا أيها الذاكر (**في مقابلة البصيرة**) حتى لا يغيب عن بصيرتك في كل حال، (**ومع حفظ ذلك**) المذكور كله أي الاحتفاظ عليه والملازمة له (**تتوجه**) أنت (**إلي القلب الصنوبري المودع**) في جانب الأيسر منك، بجميع القوى التي فيك (**والمدارك**) أي الآلات التي تدرك بها في نفسك إلى (**أن تقوى البصيرة**) التي لك على إدراك الحقائق الإلهية والمعارف الربانية (**وتذهب**) عنك (**الصورة**) النورية التي تصورتها أولا في الابتداء باستيلاء أنوا، الحق عليك بحيث تنطمس رسومك (**ويترتب على ذلك**) المذكور من تقوى البصيرة و ذهاب الصورة (**ظهور الأمر المقصود**) لك وهو تجلي الحق تعالى القديم الأزلي.

حقيقة المراقبة وكيفيتها عند الإمام العارف سيدنا عبيد الله أحرار ﷺ

وقال حضرة الشيخ الجليل عبيد الله أحرار: إن المراقبة من المفاعلة، فلابد من الفعل من الجانبين، فعلى هذا لابد أن يكون مراقباً لإطلاع الحق على أحواله ويدوام على

---

(١) (أ) يفرق.

(٢) سورة البقرة آية: ٢١٦.

ذلك، أو يكون مراقَباً لإطلاعه على مُوجده بدون تصور ولا تشتت خاطر.

(**وقال حضرة الشيخ**) الجليل (**عبيد الله الأحرار**) النقشبندي قدس الله تعالى روحه ونور الله ضريحه: (**إن المراقبة**) مشتقة (**من صيغة المفاعلة**)، يقال راقبه يراقبه مراقبةً، (**فلابد**) حينئذ فيها من كون (**الفعل من الجانبين**) أي جانب العبد وجانب الرب تعالى، (**فعلى هذا لابد أن يكون مراقِباً**) بكسر القاف.(**لاطلاع الحق**) سبحانه وتعالى (**على جميع أحواله**) الظاهرة والباطنة. قال تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾[1].

(**ويدوام على ذلك**) في السر والجهر في غير غفلة عنه، وكلما غفل عنه يعود إليه، (**أو يكون**) العبد (**مراقَباً**) - [بفتح القاف][2]- (**لإطلاعه على موجده**) فقط، وإن لم يطلع على اطلاعه[3] على أحواله، لكن يراقبه (**بدون تصور**) منه للحق تعالى (**ولا تشتت خاطر**) فإنه تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[4] ولم يكن له كفواً أحد[5].

والطريق الآخر أن يكونَ مراقباً لقلبه الصنوبري ولا يترك الخواطرَ تحل فيه حتى يتيسر له الربط بقلبه الحقيقي من غير ملاحظة معنى المفاعلة.

(**والطريق الآخر**) من طرق المراقبة (**أن يكون**) العبد (**مراقباً لقلبه الصنوبري**)، أي محافظاً عليه لا يغفل عما يقع فيه من المعاني، (**ولا يترك الخواطر**)، جمع خاطر، وهو ما يخطر أي يمر ولا يقف في القلب (**تَحِل**) أي تبقى وتسكن (**فيه**) أي في القلب، بل

---

(١) سورة الفجر آية: ١٤.

(٢) سقط من (أ).

(٣) الضمير يعود على الحق تعالى.

(٤) سورة الشورى آية: ١١.

(٥) في هذه الفقرة وسابقتها اضطراب وتغير كبير بين النسخ، ونكاد نجزم أن سيدي النابلسي عدل في بعض عبارات الكتاب بعد أن انتشرت عنه نسخته الأولى.

كلما خطر له خاطر في شيء دفع ذلك الخاطر عنه (**حتى يتيسر**) أي يحصل (**له**) أي لذلك المراقب (**الربط**) أي ربط نفسه الوهمية الجامدة[1] (**بقلبه الحقيقي**) السائل مع الأنفاس، المتغير المتقلب مع الأوقات، الذي هو من أمر الله تعالى وأمر الله تعالى كلمح بالبصر، (**من غير ملاحظة**) منه لذلك (**معنى المفاعلة**) من الجانبين كالطريقة الأولى، فلا يطلع على اطلاع الله تعالى على جميع أحواله، بل يشتغل بمراقبته هو في نفسه دون مراقبةِ الله تعالى له. وهاتان الطريقتان من قول النبي ﷺ في مقام الإحسان «أن تعبد الله كأنك تراه»[2] أي مراقباً لله تعالى بمراقبة باب حضرته الذي هو قلبك، وهي الطريقة الثانية.

ثم قال النبي ﷺ: «فإن لم تكن تراه» أي في وقت ترائيك له ومراقبتك لحضرته تعالى، «فإنه يراك» لأنه رقيب عليك وهي الطريقة الأولى وهي أعلى، لأن فيها المفاعلة من الجانبين، ففي الحديث تَرَقٍ، لأن التقدير: فإن لم تكن تراه، أي فإن علمت بأنك حين كنت في المقام الأول كأنك تراه لم تكن تراه لترقيك بظهور عظمته لك وتحققت بعجزك عن رؤيته أكثر من العجز بالتشبيه[3] برؤيته في الأول[4]، فأنت حينئذٍ كأنك تراه على ما أنت عليه في الأول، ومع ذلك لم تكن تراه، فالمراقبة كائنة منك له؛ ومراقبتُه لك في قوله «**فإنه يراك**»، وجَمْعُ **العبدِ** بين المراقبتين في الشهود أكملُ من مراقبته فقط، لوجود الغفلة معها عن مراقبة الله تعالى [له][5]، والحالة الأولى لا غفلة معها فهي أتم.

---

(١) (أ): الخامدة.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) (أ) بلا تشبيه.

(٤) أي يفوق إدراك السالك لعجزه عن رؤية الحق سبحانه معنى التشبيه بالكاف الواقع في قوله ﷺ: «كأنك تراه».

(٥) سقط من (أ).

[وطريق المراقبة أعلى من طريق النفي والإثبات، وأقربُ للجذبة الإلهية من غيرها.

(وطريقة المراقبة) في القسمين **(أعلى من طريق النفي)** بـ«لا إله» **(والإثبات)** بـ«إلا الله»، أو النفي لما يخطر في البال عند ذكر الله تعالى في حق الله تعالى والإثبات لله تعالى بعده، ثم النفي لكل لما يخطر له عند هذا الإثبات، وهكذا حتى يصل إلى الله تعالى في السير الروحاني برفع قدم ووضع أخرى.

وإنما كان طريق المراقبة أعلى من هذا الطريق لأن في المراقبة تقليل السير وترك تعب النفي والإثبات، وترك انتظار ما لا يدرك، فالوهم والطبع باق مع النفي والإثبات لا مع المراقبة، **(و)** لأن المراقبة **(أقرب)** على العبد **(للجذبة الإلهية)** الواجبة عليه بقلبه **(من غيرها)** من بقية الطريق باعتبار أنها أدب معه تعالى بخلاف النفي والإثبات.

ومن طريق المراقبة يمكن الوصول إلى الوَزارةِ والتصرفِ في الملك والملكوت

(و) لأنه **(من)** بركة **(طريق المراقبة)** المذكور بقسميه[1] **(يمكن الوصول)** للمراقب إلى حصول **(الوزارة)** **أي النيابة عن** [سيدنا][2] **محمد ﷺ بمعنى الخلافة عن صاحب الوقت في الظهور**[3].

---

(١) قوله: بقسمين، أي بطريقتي المراقبة السابق ذكرهما، وهما مراقبة العبد لله تعالى، ومراقبته لاطلاع الله تعالى عليه.

(٢) زيادة من عندنا اقتضاها تعظيم حضرة النبي ﷺ بما يجب له.

(٣) أقول: وقد تحقق شيخنا وجدنا سيدنا الشيخ جوده إبراهيم الحسني الحسني النقشبندي (١٢٦٤هـ - ١٣٤٦هـ) بمرتبة الوزارة المحمدية فكان من أشهر ألقابه (وزير النبي ﷺ) وههنا تأصيلها علمياً. وقد أخبرني شيخنا الشيخ عيسى جوده نجله وخليفته > بأن مريدا لسيدنا الشيخ جوده سأله: يا مولانا الشيخ جودة بأن للنبي وزراء؟؟ فقال له: نعم، وقد اختارني وزيراً له رضي الله تعالى عنه وعنا به في الدارين آمين.

(والتصرف) بيان لما قلناه (في) عالم (الملك)، و(الملكوت) زيادة على عالم الملك، الذي هو[1] رتبة الوزارة المذكورة، فيكون هو صاحب الوقت الذي بخواطره تتصرف الملوك في ممالكها، والرعية في أملاكها، لاستيلائه بسبب المراقبة المذكورة على القلوب الحيوانية، بحيث يملك خواطرها بهمته وعزمه المؤيد من جهة الله تعالى. وإذا كان الشيطان يمكنه الاستيلاء بالوسواس على بعض قلوب الناس وهو مُمَّدٌ من حضرة اسمه (الضار المضل)، فكيف المَلَكُ المُمَدُ من حضرةِ اسمه تعالى (النافع الهادي) والرحمة تسبق الغضب؟!

ويمكن بها الإشراف على الخواطر، والنظر منه إلى الغير بنظر الموهبة، وتنوير باطنه، ومن ملكة المراقبة تحصل الجمعية ودوام قبول القلوب، وهذا المعنى يسمى جمعاً وقبولاً.

(**ويمكن بها**) أي بالمراقبة المذكورة (**الإشراف**) أي اطلاع العبد على الخواطر التي تخطر لجليسه وغيره (**والنظر منه إلى الغير**) القاصر عن مرتبة الكمال بنظر الموهبة للكمال، (**وتنوير باطنه**) - أي باطن ذلك الغير- بأنوار المعرفة الإلهية، فإن صاحب المراقبة يصير نظره إكسيراً إذا ألقاه على غيره من أهل الحجاب والغفلة والغرور سرى ذلك النظر بقبول ذلك الغير في باطن الغير، استحال ذلك الغير إلى ما هو عليه صاحب المراقبة من الكمال وزال عنه النقصان.

(**ومن ملكة**) أي قوة المراقبة الراسخة في النفس بالرياضة والتكرار، (**تحصل**) للمراقب (**الجمعية**) التامة التي هي شهود وحدة الوجود على الوجه المشروع؛ ويحصل له أيضاً دوام (**قبول القلوب**) له، بحيث لو رآه الكافر أقبل عليه بقلبه فضلاً عن المؤمن، وذلك لجماله الباطني الذي تتعشقه القلوب والأرواح بإحساسها به وإدراكها له.

---

(١) أي التصرف.

(**وهذا المعنى**) الحاصل للعبد من ملكة المراقبة يسمى عند الصوفية (**جمعا**) لكونه مزيلاً للتفرقة الحاصلة من قَصْرِ النظر على ظواهر الأمور دون العبور على بواطنها وحقائقها، (**وقبولاً**) لكونه جمالاً روحانياً مشرقاً على صفحات القلوب طامساً قُبْحَ النفوسِ وظلمةَ الطبيعة، يلوح للناظر على الوجوه السوافر فيُظْهِرُ سرَّ قول النبي ﷺ: «من أسر سريرة ألبسه الله رداءها»[1].

الطريقة الثالثة: الربط بالشيخ الذي وصل إلى مقام المشاهدة وتحقق بالصفات الذاتية، فإن رؤيته بمقتضى «هم الذين إذا رؤوا ذُكِر الله»[2] تفيد فائدة الذكر، وصحبته بموجب أنهم جلساء الله تتيح صحبة المذكور، وإذا تيسر لك صحبة مثل هذا العزيز ورأيت أثره في نفسك فينبغي لك أن تحفظ ذلك الأثر الذي تشاهده فيك بقدر الإمكان.

(**الطريقة الثالثة**) من طرق النقشبندية: (**الربط**) أي ربط المريد قلبه (**بالشيخ**) الكامل (**الذي وصل**) بروحه وقلبه إلى مقام المشاهدة - وقد سبق بيانها- (**وتحقق**) في نفسه (**بالصفات الذاتية**) المنسوبة إلى ذات الله تعالى من غير كيف ولا كيفية، على التنزيه المطلق بحيث اضمحلت صفاته في صفات الحق تعالى كاضمحلال الظلال بالشخوص لاستقبال النور، فإن الظل لا يظهر إلا إذا كان النور وراء الشاخص فإذا صار قدامه انعكس الظل إلى ورائه.

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفاء وقال: رواه ابن أبي الدنيا في الإخلاص عن عثمان بلفظ «ما من عبد يسر سريرة إلا رداه الله رداءها علانية إن خيراً فخير وإن شراً فشر»، ورواه أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني وأبو نعيم عن أبي سعيد بلفظ لو أن أحدكم عمل في صخرة صماء لا باب لها ولا كوة لأخرج الله عمله كائنا ما كان، قال النجم وسنده حسن.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٢٦٤)، والطبراني في الكبير (١٩٩٠٠)، والبيهقي في الشعب موقوفاً على سيدنا ابن مسعود بلفظ «إن من الناس مفاتيح ذكر الله إذا رؤوا ذكر الله» (٧١٨) ورواه مرة أخرى عن سيدنا ابن عمر مرفوعاً بلفظ «خيار الناس الذين إذا رؤوا ذكر الله بهم» وأبو نعيم في معرفة الصحابة برقم (٤١٨٨) «خيار عباد الله من هذه الأمة الذين إذا رؤوا ذُكِرَ الله».

وفي الآية ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴾[1] فلهذا ظهرت الظلال، فإذا توجهه العبد بوجهه إلى ربه كما قال الخليل ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[2] انعكس الظلال إلى وراء العبد وانمحقت هويته في هوية الحق تعالى فصار يسمع به ويبصر به كما ورد في حديث التقرب بالنوافل.

(**فإن رؤيتهم**) أي رؤية من هذا شأنهم من المشايخ المحققين (**بمقتضى**) أي بحسب ما ورد في أثر عنهم «هم الذين إذا رؤوا» أي رآهم أحدٌ من الناس لكثرة ما يظهر عليهم من أنوار الصلاح والدين (**ذُكِرَ**) بالبناء للمفعول (**الله**) أي ذكر ذلك الرائي اللهَ.

(**تفيد**) تلك الرؤية (**فائدة الذكر**) من الوصول إلى مقام الغيبة والفناء في شهود الحق تعالى (**وصحبتهم**) أي المشايخ المذكورين بملازمة الجلوس معهم والمشي والكلام في أكثر الأوقات مع مراعاة الآداب ظاهراً وباطناً (**بموجب**) أي بسبب ما جاء في الإخبار عنهم من أنهم (**هم جلساء الله**) تعالى على معنى أنهم لم يبرحوا عن شهود الحق والمناجاة معه تعالى في الخلاء والملاء، (**تتيح**) للمريد الصادق (**صحبة المذكور**) وهو الله تعالى الذي قصد بالذكر.

(**وإذا تيسر**) أي يسر الله تعالى بمحض فضله عليك ونعمته (**لك**) يا أيها المريد الصادق في طلب معرفة الله تعالى (**صحبة مثل هذا**) الشيخ الكامل (**العزيز**) أي الذي لا يذل لشيء من الأكوان مطلقاً بسبب عزته بربه؛ أو: مِنْ عَزَّ الشيءُ إذا قلَّ وعُدِمَ نظيرُه (**ورأيت**) يا أيها المريد الصادق في إرادته (**أثره**) أي أثر هذا الشيخ العزيز بمعنى تأثيره، على معنى إظهار الأثر، بأن تغيرت عليك عادتك من الحجاب والغفلة التي

---

(١) سورة البروج آية: ٢٠.

(٢) سورة الأنعام آية: ٧٩.

كانت في زمان جاهليتك فرأيت شواهد الحق ولوائح الجمع (**في نفسك**) وبرقت لك بوارق الإقبال ولمعت لك أوائل أنوار الأحوال (**فينبغي لك**) أي يتأكد في حقك (**أن تحفظ ذلك الأثر**) المذكور (**الذي تشاهده**) أنت (**فيك بقدر الإمكان**)، أي مقدار ما يمكنك وعلى حسب طاقتك، فتحضر له قلبك وتفرغ لفهمه سِرَّك[1] وتعيه بعقلك ولبك، ولا تتركه يمر عليك ويمضي وأنت غافل عنه غير محتفل به.

وإن يحصل لك في ذلك المعنى فتور فراجع مصاحبته، حتى يرجع لك ببركته ذلك الأثر، وهكذا تفعل مرة بعد أخرى حتى تصيرَ تلك الكيفيةُ ملكةً لك.

(**وإن**) كان (**يحصل لك**) أي يوجد عندك (**في**) حفظ (**ذلك المعنى**) الذي حصل في نفسك وهو الأثر الظاهر لك من نتيجة صحبة ذلك الشيخ العزيز بعض (فتور)، أي ضعف وتكاسل، (**فراجع**) في الحال بعزمك وهمتك (**مصاحبته**) أي ذلك الشيخ المذكور، واستدرك خاطره لعله تغير عليك من تقصيرك في القيام بآداب صحبته (**حتى لك يرجع ببركته**) وبركة صحبته التي هي سبب لنجاتك وخلوصك من المهالك (**ذلك**) المعنى الذي حصل لك فتور منه وهو (**الأثر**) المذكور، **فإن المشايخ قلوبهم أقلام بيد الحق تعالى يكتب بها على ألواح نفوس المريدين ما يريده الله تعالى**، فمتى ذهب صفاء اللوح وصِقَالِه امتنعت الكتابة فيه، وإذا رجع إلى الصقال والصفاء جرت فيه الأقلام بقدرة الملك العلام (**وهكذا تفعل**) كلما عرض لك الفتور عن لوامع طوالع ذلك النور (**مرة بعد**) مرة (**أخرى حتى تصير تلك الكيفية**) التي هي ذلك الأثر المذكور (**ملكة لك**) قوة راسخة في نفسك لا تتكلف لاستحضارها.

وإن لم يحصل لك من صحبة ذلك الوزير أثر، ولكن حصلت به محبة وجذبة فينبغي لك أن تحفظ صورته في الخيال وتتوجه بالقلب الصنوبري حتى تحصل الغيبة

---

(١) (أ): ليفهم سترك.

والفناء عن النفس.

وإن لم يحصل لك يا أيها المريد من صحبته أي ملازمة (**ذلك الوزير**) النائب عن [سيدنا] محمد ﷺ وهو الشيخ الكامل (**أثر**) أي نتيجة وفائدة (**ولكن حصلت**) لك (**به**) أي بذلك الشيخ (**محبة**) إلهية وجذبة ربانية فينبغي لك (**أن تحفظ صورته**) أي صورة ما حصل لك[1] وتضبط ذلك في الخيال ولا تغفل عنه وتتوجه (**بـ**) ذلك (**القلب الصنوبري**) الذي في صدرك حتى تحصل لك بسبب **ذلك** التوجه وتكراره على القلب (**الغيبة**) عن العقل والحس (**والفناء**) أي الانطماس (**عن**) عالم (**النفس**) بحيث لا يبقى لك عقل ولا حس ولا نفس، فيظهر لك الحق حينئذٍ بالتجلي على التنزيه المطلق.

وإن وقفت عن الترقي، فينبغي أن تجعل صورة الشيخ على كتفك الأيمن، وتفرض من كتفك إلى قلبك أمراً ممتداً، وتأتي بالشيخ على ذلك الأمر الممتد وتجعلُه في قلبك، فإنه يرجي لك حصول الغيبة والفناء.

وإن (**وقفت**) يا أيها المريد (**عن الترقي**) في مراتب الكمال لوقوع هفوة منك في حق شيخك في الظاهر أو في الباطن حجبت بها عن المزيد وإن لم تشعر بذلك فينبغي لك (**أن تجعل صورة**) الشيخ الذي أنت سالك بصحبته إلى الله (**على كتفك الأيمن**) [**في خيالك**][2] لأنه جانب النفس، ووقوفك إنما كان بسبب من جهتها (**وتفرض من كتفك**) الأيمن (**إلى قلبك**) الذي هو في جانب الأيسر (**أمراً ممتداً**) أي قوة روحانية ظاهرة من نفسك إلى قلبك (**وتأتي بالشيخ**) من كتفك الأيمن إلى قلبك ماشياً (**على ذلك الأمر الممتد**) حتى يصل إلى قلبك، (**وتجعله**) أي الشيخ ثابتاً في قلبك فإنه يُرْجَي -

---

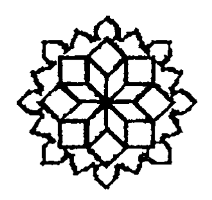
(١) الأظهر في العبارة أي يكون الضمير عائداً على صورة الشيخ، وهذا أولى من أن تكون الصورة تتناول المحبة والجذبة، كما يلي في عبارة صاحب المتن التالية.

(٢) سقط من (ب)، (ج).

بالبناء للمفعول - (**لك بذلك**) الفعل المذكور (**حصول**) مقام (**الغيبة**) والفناء الذي هو نتيجة التوجه الحاصلة لك بقوة روحانية شيخك الذي صَحِبَتْهُ نفسُك حتى وصلت صحبته منها إلى قلبك، فَكُوِّرَتْ شمسُ القلبِ حتى جُمِعَتْ مع قمرِ النفس، وتبدلتْ حينئذٍ أرضُ طبيعتِك غيرَ الأرض، وسماواتُ عقلِكَ، فحصلتَ على المقام المقصود وشربت من حوض روحانيتك المورود وصرت [تتقلب][1] في أطوار الشهود.

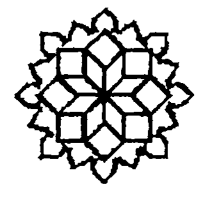
---

(١) سقط من (ب).



الفصل الثالث

مبنى طريق السادة النقشبندية على الكلمات الإحدى عشر القدسية



[قال الإمام العارف الشيخ تاج الدين النقشبندي قدس الله سره]:

فصل في الكلمات القدسية المأثورة عن حضرة الخواجة عبدالخالق العجدواني وهي إحدى عشر كلمة، مبنى طريق السادة النقشبندية عليها وهي هذه: بادكرد، بازكشت، نكاه داشت، ياد داشت، هوش دَرْ دم، سفر دَرْ وطن، نظر بر قدم، خلوة دَرْ انجمن، وقوف قلبي، وقوف زماني، وقوف عددي.

(**فصل**) أي هذا كلام مفصول عما قبله (**في**) جميع (**الكلمات القدسية**)، منسوبة إلى القدس وهو الطهارة، لعدم تلوثها بدنس الأوهام بحيث لا يتحققها إلا الطيب من الإفهام (**المأثورة**) أي المنقولة (**عن حضرة الخواجة**) أي الشيخ (**عبد الخالق الغجدواني**) السابق ذكره قدس الله سره (**وهي إحدى عشر كلمة**) جامعة لأسرار الحقائق الإلهية وأنوار المعارف الربانية (**مبنى طريق السادة النقشبندية**) قدس الله أرواحهم العلية (**عليها**) أي على هذه الكلمات الإحدى عشر. وقد وردت ثمانية منها من قائلها الشيخ عبد الخالق المذكور باللغة الفارسية فبقيت كذلك تبركاً بألفاظه ﷺ ويأتي شرحها إن شاء الله تعالى.

(**وهي هذه**) الكلمات الإحدى عشر:

الأولى: (**يادكرد**) بالياء التحتية، «ياد» هو التذكر و«كرد» هو التكرار أي افعل ذلك

الثانية: (**باز كشت**) بالباء الموحدة والزاء والكاف الفارسية، «باز» هو المضي، و«**كشت**» صار.

الثالثة: (**نكاه داشت**) بالنون والكاف الفارسية وفتح الدال المهملة وسكون الشين المعجمة؛ «**نكاه**» هو النظر، «**داشت**»: **أمسك.**

الرابعة: (**ياد داشت**) بالياء التحتية وسكون الدال المهملة وفتح الدال الثانية وسكون الشين المعجمة و«**ياد**» هو التذكر، «**داشت**» أي **أمسك ذلك.**

الخامسة: (**هوش در دم**) بضم الهاء وبالشين المعجمة ولفظة «هوش»معناه العقل واللب، ولفظة «در» معناها: في، و«دم»، بمعنى النَفَس وهو الهواء الداخل إلى الفم والخارج منه يعني العقل في كل نفس يدخل أو يخرج.

السادسة: (**سفر در وطن**) لفظة «در» معناها: في، كما ذكرنا، يعني: سفر في وطن.

السابعة: (**نظر بر قدم**) لفظة «بر» بفتح الباء الموحدة وسكون الراء معناها: على، يعني نظرٌ علىَ قَدم.

الثامنة: (**خلوة در انجمن**) «در» بمعنى: في، «انجمن»: في الجماعة.

التاسعة: (**وقوف قلبي**).

العاشرة: (**وقوف زماني**).

الحادية عشرة: (**وقوف عددي**).

وهذه الكلمات الثلاث باللغة العربية فلا تحتاج إلى ضبط.

وحيث كان حضرة الخوجة عبد الخالق رأسَ حلقة هذه الطائفة لَزِمَ بيانُ ألفاظِه المصطلحِ عليها، ولنشرحْها مقتصدين بين الإجمال والتفصيل، وها أنا أشرع في ذلك:

(**وحيث كان حضر في الخواجة عبد الخالق الفجدواني**) المذكور قدس الله سره (**رأس حلقة**) أي كبير الجماعة (**هذه الطائفة**) النقشبندية عمرهم الله تعالى بذكره وقدس أرواحهم.

وكان ذكرهم جهراً من قبل الشيخ عبد الخالق ثم إن الشيخ عبد الخالق صحب الخضر فلقنه الذكر خِفيةً فمن ذلك اليوم صار ذكرهم خفية، فهو مُكَمِّلُ آداب هذه الطريقة ومساعدُ السالكين بكلماته الدالة على أنه فارس ميدان الحقيقة.

(**لزم**) علينا معاشر الخدام لهذه العصابة الطاهرة القلوب المشتغلة بعبادة علام الغيوب (**بيان ألفاظه**) المذكورة (**المصطلح**) بكسر اللام أي التي اصطلح هو (**عليها**)،

اعتناءً منا بصحيح كلامه الدال على شهامة مقامه، أو بفتح اللام أي التي اصطَلَحَ عليها مشايخُ النقشبندية اقتداءً به قدس الله سره، لأنه إمامهم في هذه الطريقة فلزم بيانها لذلك.

(**ولنشرحها**) بمعونة الله تعالى (**مقتصرين**) أي مختصرين في شرحنا لها على وجه التوسط بين الإجمال المخل (**والتفصيل**)[1] الممل. (**وها**)، أي تنبيه، (**أنا**) الآن (**أشرع في ذلك**)، اشرع للكلمات المذكورة بالتحقيق والله ولي التوفيق.

---

(١) (أ): التطويل.

(ياد كرد) وهي عبارة عن ذكر الله باللسان أو القلب، يعني: كن دائماً في تكرارِ الذكر الذي استفدته من الشيخ. إلى أن يحصل لك حضور على الدوام مع الحق.

(**ياد كرد**) هذه الكلمة الأولى ومعناها (**هو عبارة**) أي حاصل المراد منها أي مفصحة (**عن ذكر الله تعالى**) بآلة اللسان والقلب كما سبق (**يعني**) بقصد بذلك إنك (**كن**) يا أيها المريد (**في تكرار الذكر الذي استفدته من الشيخ**) بلسانك أو بقلبك ولا تغفل عنه، (**إلى أن يحصل لك**) بسبب ذلك التكرار حضور القلب على الدوام (**مع الحق تعالى**)

وطريق تعليم الذكر للمريد أن الشيخ أولاً يذكر بقلبه الكلمة الطيبة والمريدُ يُحضِرُ قلبَه في مقابلة قلب الشيخ ويفتح عينيه ويطبقُ فاه كما مر بيانه؛ قال حضرة الخوجة بهاء الدين قدس سره: المقصود من الذكر أن يكون القلب دائماً حاضراً مع الحق تعالى بوصف المحبة والتعظيم لأن الذكر طرد الغفلة.

(**وطريق تعليم الشيخ**) الذكر (**للمريد**) أن الشيخ (**أولاً يذكر بقلبه الكلمة الطيبة**) وهي (**لا إله لا الله**) والمريد يحضر قلبه في مقابلة قلب الشيخ أي يلاحظ بقلبه قلب الشيخ وهو جالس بين يديه على ركبتين ولا يجعل منه شيئاً في غير مجلس شيخ كما نقل ابن العربي قدس سره في كتابه «روح القدس» أن من بعض مشايخه فاطمة بنت المثنى بإشبيلية وكانت من العارفات بالله تعالى قدس الله روحها وكانت تقول لا يعجبني أحد ممن يدخل علي إلا ابن العربي فيقال لها لم ذلك فتقول ما منكم أحد يدخل علي إلا ببعض وبترك بعضه في أغراضه من داره وأهله إلا محمد بن العربي بن العربي ولدي وقرة عيني إذا دخل علي دخل بكله وإذا قام قام بكله وإذا قعد قعد بكله لا يترك من نفسه خلفه شيئاً. انتهى[1].

---

(١) انظر: روح القدس في مناصحة النفس للإمام محيى الدين بن عربي بتحقيق د/ حامد طاهر ص٣٥٩.

فهكذا ينبغي للمريد أن يكون بين يدي شيخه ويفتح أي المريد عينه في صورة الشيخ التي هي قبالة وجهه لعله يجد لها هيئة مخصوصة في حالة الذكر أنتجها الذكر القلبي فيتعلمها المريد من شيخه في حالة ذكره.

(**ويطبق فاه**) حتى لا يخرج من فمه الذكر سهواً لاشتغاله بملاحظة قلب شيخه، فيتخالف في ذلك شيخه حيث جهر بالذكر (**كما مر بيانه**) في كيفية الذكر الخفي. قال حضرة الخواجة أي الشيخ (**بهاء الدين النقشبندي**) قدس سره [العزيز][1] عن أدناس الأغيار: (**المقصود من الذكر**) في الحقيقة (**أن يكون القلب**

دائماً حاضراً) مع الحق تعالى بحيث لا يغفل عنه تعالى (**بوصف المحبة**) له تعالى (**والتعظيم**) فإذا حصل هذا المعنى في قلب المريد أغناه عن الذكر (**لأن الذكر طرد الغفلة**) عن القلب فإذا طردت الغفلة كان ذلك المقصود.

---

(١) ساقطة من (أ).

شرح الكلمة الثانية

باز كشت يعني أن الذاكر كلما ذكر بقلبه الكلمة الطيبة قال عقبها بذكر اللسان: (إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي) يعني من هذا الذكر لأن هذه الكلمة تفيد نفي كل خاطر من مليح وقبيح

(**باز كشت**) وهذه هي الكلمة الثانية معناها ما أشار إليها بقوله (**يعني أن الذاكر**) لله **تعالى** (**كلما ذكر بقلبه الكلمة الطيبة**) وهي لا إله إلا الله (**قال عقبها بذكر اللسان**) بحيث يسمع نفسه (**إلهي**) بحذف حرف النداء والتقدير: يا إلهي أي يا معبودي أنت لا سواك من جميع العوالم (**مقصودي**) من هذا الذكر وغيره من أعمالي وأقوالي وسائر أحوالي، (**ورضاك**) عني لا غيره (**مطلوبي**) في كل حال وذلك لأن رضاء الله تعالى عن العبد أمر راجع إلى إيثار مراد الله تعالى على مراد عبده. وما عداه من النجاة منه تعالى ومن عذابه ولذائذ الجنة والثواب الجزيل وحصول الحاجات ونحوه ففيه إيثار مراد العبد على مراد ربه، وهو لا ينبغي يعني أي يقصد، بقوله ذلك في الكلمتين مقصودي ومطلوبي أي (**من هذا الذكر**) الذي أنا مشغول به لأن (**هذه**) الكلمات المذكورة تفيد المريد (**نفي كل خاطر**) بخطر في قلبه وقت الذكر (**من**) [خاطر][1] (**مليح**) وخاطر (**قبيح**). وكلا الخاطرين مذموم في ساعة الذكر لأن في ذلك شغل القلب عن الذكر وإعراضه عن الحق تعالى.

حتى يخلص الذكر ويتفرغ الذاكر[2] عما سوى الحق عز وجل، وإن لم يجد الذاكر له إخلاصاً في هذا الكلام قاله على سبيل التقليد من المرشد فإنه يحصل له ببركة ذلك الإخلاص إن شاء الله تعالى.

---

(١) ساقط من (أ).

(٢) عند ابن علان: السر

(**حتى يَخلُص**) أي يصير خالصاً (**الذكر**) من شوب أكدار الأغيار، (**ويتفرغ الذاكر عما سواي الحق عز وجل**) بالكلية فلا يعيقه عائق عن الطيران في فضاء الأزل ولا يمنعه مانع في الجولان في عالم الملكوت إقبالاً على حضرة من لم يزل.

(**وإن لم يجد الذاكر له**) في نفسه (**إخلاصاً في هذا الكلام**) لعدم قدرته على ضبط قلبه وحفظ سره من ضعف روحانيته وغلبة جسمانيته (**قاله**) أي قال ذلك الكلام بلسانه (**على سبيل التقليد**) لا الاستقلال متلقناً ذلك (**من**) شخص (**المرشد**) الكامل (**فإنه يحصل له**) أي لذلك المريد (**ببركته**) أي ببركة ذلك الكلام (**ذلك الإخلاص**) الذي هو نتيجة ذكره (**إن شاء الله**)، فإن الأمور كلها بمشيئته وهو على كل شيء قدير.

شرح الكلمة الثالثة

نكاه داشت وهو عبارة عن مراقبة الخواطر إذا كرر الكلمة الطيبة في نفسه مراراً، يراعي أن لا يخطر بباله خاطر ويجتهد أن لا يخطر له خاطر الغير في ساعة أو ساعتين، فإن ذلك أمر مهم عند الأكابر وبعض كمل الأولياء حتى يتم لهم هذا المعنى.

(**نكاه داشت**) وهذه هي الكلمة الثالثة وحاصلها أن معناها هو عبارة مفصحة (**عن مراقبة الخواطر**)، جمع خاطر، وهو ما يمر على القلب من المعاني في الخير والشر يعني (**إذا كُرِرَت كلمة الطيبة**) لا إله إلا الله (**في نفسه مراراً، يراعي**) أي يلتزم (**أن لا يخطر بباله**) أي لا يمر في ذهنه (**خاطِرُ الغير**) أيِّ غير كان، فإن القلب لا يسع أكثر من شيء واحد، فإذا اشتغل بالذكر غفل عن غيره، وإذا اشتغل بغيره غفل عنه، (**في ساعة**) زمانية (**أو ساعتين**) حتى يعتاد على نفي خاطر الغير عن قلبه فيتهيأ لأنوار الجمال والجلال، (**فإن ذلك**) الأمر المذكور وهو مراقبة الخاطر على كل حال أمر مهم لازم (**عند الأكابر**) من المشايخ في طريق الله (**وبعض كمل**) جمع كامل (**الأولياء**) والبعض الآخر يرى أن المهم ذكر الله تعالى لا مراقبة الخواطر لأنها تنتفي عند الذكر فلا حاجة إلى الالتفات إليها نفياً أو إثباتاً؛ (**حتى يتم لهم**) أي للمريدين (**هذا المعنى**) المذكور وهو انتفاء خاطر الغير من القلب فيدخلون في عالم الجذبة الإلهية

شرح الكلمة الرابعة

ياد دشت هو عبارة عن دوام الحضور مع الحق سبحانه وتعالى على سبيل الذوق.

(**ياد داشت**) وهي الكلمة الرابعة وحاصل معناها انه (**هو عبارة عن دوام الحضور**) بالقلب مع الحق سبحانه وتعالى (**على سبيل الذوق**) أي الوجدان والتحقيق، لا العلم به تعالى على طريق التخيل.

واعلم أن الحضور معه تعالى والشهود له لا يكون أبداً إلا في الأشياء الموجودة معقولة كانت أو محسوسة، فإذا دامت الأشياء مشهودة مع الحضور فالعبد في مقام شهود أفعال الله تعالى، فإن كانت الأشياء غير مشهودة مع الحضور بل المشهود نور واحد كالبرق اللامع فالعبد في مقام شهود صفات الله تعالى، وإن لم يكن شيء من الأشياء مشهوداً مع الحضور فالعبد في مقام شهود ذات الله تعالى، والمحمدي الكامل تعتريه الأحوال الثلاثة ولا يقف معها فهو ينتقل فيها ويتقلب معها أبداً على اختلاف الحضرات والتجليات وليس له مقام مخصوص، وإلى ذلك إشارة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ﴾[1]، ويثرب من أسامي مدينة النبي ﷺ، وهذا كله في الحضور والشهود بالذوق والوجدان.

وأما صاحب العلم الخيالي والحضور الذهني من هذه المقامات الثلاثة، والشهود الفكري فهو بعيد جداً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾[2]

(١) سورة الأحزاب آية: ١٣.

(٢) سورة فصلت آية: ٤٤.

[شروح أخرى للكلمات الأربع]

قال بعض الأكابر قال في شرح هذه الكلمات الأربع :

(ياد كرد) كن دائماً في الذكر

(باز كشت) ارجع إلى الله سبحانه على وجه الانكسار

(نكاه داشت) حافظ ولازم على هذا الرجوع

(ياد داشت) يعني ارسخ في هذه المحافظة.

(**وقال بعض الأكابر**) من المشايخ المحققين (**في شرح هذه الكلمات الأربع**) المذكورة التي هي قوله (**ياد كرد**) يعني (**كن دائما في الذكر**) بلا فتور عنه، باز كشت يعني (**ارجع**) يا أيها المريد (**إلى الله سبحانه**) بأن تشهد نفسك فعلاً من أفعاله تعالى تتقلب بقدرته في أطوارها، ولا تشهدها خارجة عن ذلك مستقلة، واترك دعواها أنها ذاتٌ على حدةٍ موصوفةٍ لها أسماءٌ وأفعال، فإنها فعل من أفعاله تعالى، واحذر من تكبرها على الحق بسبب شهودها ما أدعته مما ذكرناه، وليكن رجوعك بنفسك إلى الحق تعالى (**على وجه الانكسار**) والتذلل والافتقار، فإن هذه أوصاف النفس الأصلية وما عدا ذلك فهو طارئ عليها ليس من أوصافها، كما يُنْقَل عن أبي يزيد قدس الله سره أنه ناجي الله تعالى فقال (**يا رب بماذا يتقرب إليك المتقربون فقال بما ليس لي**[1]: **الذلة والافتقار**).

(**نكاه داشت**) يعني (**حافظ ولازم على هذا الرجوع**) إلى الحق تعالى، فإنه لابد من الرجوع إليه تعالى إما طوعاً في الدنيا أو كرهاً في الآخرة: قال تعالى:﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

(١) هذه العبارة محل نظر، لأن النص في كتاب «النور من كلمات أبي طيفور» للسهلكي ص ١٦٢ ضمن كتاب «شطحات الصوفية» للدكتور عبد الرحمن بدوي هو (فناداني الحق: يا أبا يزيد إنه لن يُتقربَ إليّ فتقربْ بمثل من يأتيني بما ليس لي).

﴾[1]، ﴿يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾[2] ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[3] الآية.

(ياد داشت) يعني **(ارسخ)** يا أيها المريد واثبت **(في هذه المحافظة)** على الرجوع إليه تعالى، فإنه حقيقة الأمر وما عداه وهم محضٌ لابد من زواله، فكن من الراسخين في العلم لا الوهم، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين: والأحسان أن تعبد الله كأنك تراه كما سبق.

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٤٥.

(٢) سورة هود آية: ١٢٣.

(٣) سورة الفجر آية: ٢٧- ٢٨.

شرح الكلمة الخامسة

(هوش در دم) يعني كل نفس يخرج يكون مع الحضور من غير غفلة.

(هوش در دم) وهي الكلمة الخامسة، وحاصلها **(يعني كل نفَس)** بالتحريك وهو الهواء الداخل في الفم والخارج منه كما مر، **(يخرج)** من فم المريد، ولم يذكر النفس الداخل لأنه جديد لم يصحب المريد بعد فلا حق له عليه، فلا هو يلزم الحضور معه بخلاف الخارج **(يكون)** ذلك النفس الخارج **(مع)** مصاحبة الحضور والشهود لله تعالى **(من غير غفلة)** عنه تعالى لأنه إذا فارقه يسأل عنه كيف تركه في غفلة أمر في حضور ويقضي بشهادته عليه فيكتب من الغافلين عنه الله تعالى أو من الحاضرين معه

قال حضرة الخواجة بهاء الدين النقشبندي قدس سره إن بناء الأمر في هذا الطريق على النَفَسِ فينبغي أن يجتهدَ في حفظِ ما بين النفسين حتى لا يدخلَ بغفلة ولا يخرجَ بغفلة.

(قال حضرة الخواجة بهاء الدين النقشبندي قدس سره) العزيز: **(إن بناء الأمر)** كله **(في هذا الطريق)** المستقيم الموصل إلى الله تعالى **(على)** الحضورمع **(النفس)**، **(فينبغي أن يجتهد في حفظ ما بين النفسين حتى لا يدخل بغفلة ويخرج بغفلة)**. بفتح الفاء، **(فينبغي أن يجتهد)** المريد كل الاجتهاد **(في حفظ ما بين النفسين)**: النَفَس الداخل والنفس الخارج فيحضر مع الله تعالى بينهما حتى لا بين يخرج النفس الداخل من فمه إلا مع الحضور كما ذكرنا **(حتى لا يدخل)** عليه نفسٌ **(بغفلة ولا يخرج بغفلة)**، من غير حضور مع الله تعالى.

شرح الكلمة السادسة

«سفر در وطن» يعني أن سفرَ السالكِ إنما يكونُ في الطبيعةِ البشرية يعني بتنقله من الصفات الذميمة إلى الصفات الحميدة[1].

(**سفر در وطن**) وهي الكلمة السادسة وبيان ملخصها (**يعني أن سفر السالك**) إلى الله تعالى من نفسه إنما (**يكون في الطبيعة البشرية**) لا في غيرها، ثم بَيّنَ ذلك السفر بقوله: (**يعني بتنقله**) أي المريد (**من الصفات الذميمة**) أي القبيحة التي انطبعت عليها النفس كالشح والحرص والبخل والحسد والمكر والبغي ونحو ذلك (**إلى الصفات الحميدة**) كالإيثار والسماح والكرم والعفو والصفح وسلامة الصدر والعدل والتوكل والزهد والورع والتقوى ونحو ذلك.

فإذا انتقلت من صفاتها الذميمة إلى صفاتها الحميدة صارت قلباً، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ** ﴾[2] ذلك لمن يكن له قلب يعني لا نفس، لأن النفس لا بصيرة لها ﴿ **أَوْ أَلْقَى** ﴾ ترك وأعرض عن ﴿ **ٱلسَّمْعَ** ﴾ الذي له لأن الله تعالى صار سمعه الذي يسمعه به كما ورد في حديث التقرب بالنوافل ﴿ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ أي مشاهد لله تعالى حيث صار تعالى سمع الذي يسمع به وهو مقام المقربين والأول مقام الأبرار.

كما قال بعضُ الأكابر إن الشخصَ إذا تنقلَ إلى أي محل، لا تفارقه الصفات الخبيثة ما لم تنتقل عنه، وقيل رؤية الغيب في الشهادة

---

(١) وقريب منه قول سيدي ابن عطاء الله في حكمه: الطي الحقيقي أن تطوي مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب إليك منك. وأخص منه قول سيدي أبي العباس المرسي: ليس الشأن أن تطوى لك الأرض فإذا أنت بمكة أو غيرها، وإنما الشأن أن تطوى أوصاف نفسك فإذا أنت عند ربك.

(٢) سورة ق آية: ٣٧.

(**كما قال بعض الأكابر**) من الصوفية المحققين: (**إن الشخص إذا انتقل**) أي تحول في مراتب علمه بالله تعالى (**إلى أي محل**) مكان من ذلك، (**لا تفارقه الصفات الخبيثة**) التي في نفسه من أصل الطبيعة البشرية (**ما لم تنتقل عنه**) بأن تنصرف في مصارفها، ولا يمكن أن تذهب بالكلية لأن في ذلك ذهاب البشرية، وهو ممتنع في البشر، وإنما ينصرف الشح في الدنيا إلى الشح على الطاعة والقربات، وينصرف الحرص على اللذائذ الجسمانية إلى الحرص على اللذائذ الروحانية، وينقلب البخل بالدنيا بخلاً بالدين، والحقد على المؤمنين حقداً على الكافرين من أهل الحرب، ويصير الحسد على المال والجاه غبطة على الدين والتقوى، ويتبدل المكر والبغي بين المؤمنين بالمكر والخديعة في سبيل الله تعالى.

وهكذا صفات النفس المذمومة تنصرف إلى أمور تحمد فيها فتصير بسبب ذلك محمودة قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1]، ولم يقل بذل شح نفسه لأن شح النفوس لا يزول، وإنما يُوقّاه الإنسان فينجو منه، وهكذا سائر الأخلاق.

(**وقيل**) معنى «سفر در وطن» يعني (**رؤية الغيب**) وهو الله كما قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[2]، إن الغيب هو الله تعالى أو المراد رؤية عالم الغيب وهو عالم الآخرة (**في**) عالم (**الشهادة**) من هذه المعقولات والمحسوسات، فيرى الله تعالى في كل شيء يشهد في معقول أو محسوس على الأول، أو يرى جميع ما أخبرت بالأنبياء عليهم السلام من أمور الآخرة في كل معقول أو محسوس على الثاني فتكون الدنيا هي ظهور الآخرة للقاصرين على حسب شهودهم، فإذا كملوا بأحوال الموت والبرزخ شهدوا حقائق ما كانوا يسمونه دنيا؛ وشهود ذلك في هذا العالم رؤية الغيب في الشهادة.

---

(١) سورة الحشر آية: ٩.

(٢) سورة البقرة آية: ٣.

شرح الكلمة السابعة

«نظر بَر قدم» يعني أن المريدَ ينبغي أن ينظرَ إلى قدِمه مُطأطأً رأسَه في مشيهِ في البلد والصحراء حتى لا يتفرقَ نظرُه ولا يبصرُ ما لا ينبغي فيتفرقَ عليه قلبُه. ويمكنُ أن يكون المراد بالنظر إلى القدم أن يكون نظر السالك في أول وهلة إلى نهاية السلوك يعني إلى حضرة الذات الإلهية المقدسة فقط .

(نظر بر قدم) وهي الكلمة السابعة، وحاصلها (**يعني أن المريد ينبغي أن ينظر إلى قدمه مطأطأً رأسِه في مشيه في البلد والصحراء**) ولا يرفع رأسه (**حتى لا يتفرق**) أي يذهب يميناً وشمالاً (**نظرُه**)، فلا يجتمعَ على شيء واحد فلا يتحققَ بشيء من الأشياء، ويكون ممن قال الله تعالى فيهم ﴿ يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ ﴾[1]، (و)حتى (**لا يبصر ما لا ينبغي**) من أفعال الناس (**فيتفرق عليه قلبه**)، ويصعب عليه جمعه، فيهلِكَ مع الهالكين، فإن النظر إلى أهل الغفلة يورث الغفلةَ، كما أن النظر إلى أهل اليقظة يورث اليقظة.

ويمكن أن يكون المراد بالنظر على القدم (**أن يكون نظر السالك في أول وهلة**) أي عند ابتدائه في سلوكه (**إلى نهاية السلوك**) بأن يرفع همته من ابتداء شروعه عن إرادة شيء مما في الدنيا أو في الآخرة، ولا يُرِيد غيرَ من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، يعني يكون نظره (**إلى حضرة الذات الإلهية المقدسة**) أي المطهرة. عن مشابهة الأكوان (**فقط**)، ولا ينظر إلى غيرها مطلقاً فلا يلتفت إلى دنيا وإلى آخرة، ولا يفرح بنجاة ولا يحزن بهلاك، ولا يغتر بما حصل له من أحوال الطريق، ولا يلتفت إلى ما هو فيه من

---

(١) سورة الروم آية: ٧.

التقوى والورع والتوكل والاعتصام والزهد وغير ذلك. ولله در القائل وهو الشيخ علي وفا[1] المصري قدس سره:

تجـرد عـن مقـام الزهـد قلبـي ... فأنت الحـقُ وحـدك في شـهودي

أأزهـدُ في سـواك ولـيس شيءٌ ... أراه سـواكَ يـا سِرَ الوجـودِ

ولهذا ذكر الشيخ محي الملة والدين ابن العربي قدس سره في كتابه «الفتوحات المكية» «باب التوبة» بعده «باب ترك التوبة» وقال إن ترك التوبة أعلى من التوبة، لأن ترك التوبة عبارة عن عدم الالتفات إليها للاشتغال بالله تعالى لأنه عَدِم وجودَها، وأنشد على ذلك قولَ القائل:

يـا ربـة العـود خـذي في الغِنـا ... وحركـي مـن صـوته مـا وَنَـى

فـإن مُـسْوَدَّ قمـيص الدجـى ... لوَّنَـه الفجـرُ بـها لونـا

وفـاز بالتوبـة قـوم ومـا ... تـابَ عـن التوبـة إلا انـا

ثم ذكر «باب التقوى» وبعده «باب ترك التقوى» وهو أعلى من التقوى على حسب ما ذكرناه، وكذلك «باب الورع» و«باب ترك الورع»، و«باب الزهد» «وباب ترك الزهد»، إلى غير ذلك مما هنالك.

قال فارس بن عيسى البغدادي: سألت الحلاج فقلت له من المريد؟ فقال هو الرامي بأول قصده إلى الله تعالى فلا يعرج إلى شيء حتى يصل، ويحتمل أن يكون هذا المعنى الذي قاله الشيخ رُوَيم: أدب السالك في أن لا تجاوزَ همتُه قدمَه.

كما قال فارس بن عيسى البغدادي رحمه الله عليه: **(سألت)** الإمام المنصور الحلاج البغدادي عفي الله عنه **(فقلت له)** من المريد لله تعالى **(فقال هو)** الرامي نظره

---

(١) أبو الوفاء في (أ)، وما أثبتناه في (ب)، وهو سيدي علي بن سيدي محمد وفا الشاذلي المتوفى سنة ٨٠٧ رضي الله عنهما ونفعنا بهما.

وعزمه وهمته (**بأول قصده**)، أي في أول سلوكه ودخوله في طريق الإلهيـة إلى الله تعـالى وحده، بحيث لم يكن له قصد سواه تعالى، (**فلا يعرج**) أي يميـل بظـاهره وباطنـه (**إلى شيء**) من أمور الدنيا والآخرة (**حتى يصل إليه تعالى**)، وتفتح على قلبه أبـواب المعرفـة سبحانه في كل شيء، فعند ذلك لا يبقى في بصره ولا بصيرته سـواه تعـالى، فـإذا قـصد الأشياء كان في قصده كماله وصارت جميع الأمور التي تضر أهل الغفلة والحجاب تنفق وانقلب داؤه دواء كما سئل بعض العارفين متى يصير داء النفس دواءها فقال إذا تركت هواها صار داؤها دواها.

(**ويحتمل أن يكون**) معنى قوله نظر بر قدم (**هذا المعنى الـذي قالـه الـشيخ**) أبـو محمد (**رويم**) ابن أحمـد البغـدادي رحمه الله (**أدب الـسالك**) إلى الله تعـالى (**في أن لا تجـاوز همته**) أبداً (**قدمه**) ، وهو كناية عن زوال الهم[1] بالأشياء عن قلبه مطلقاً فلا يهتم[2] بشيء أبداً، وإنما هو مشغول بربه تعالى، فإن حرك الله تعـالى قـدم بالمشي إلى مـا يريـده تعـالى كانت همته في قلبه إلى ما أراده الله تعالى لا ما حرك قدمه به. كما نقل عن أبي يزيد قـدس الله سره أنه نودي في سره ماذا تريد يا أبا يزيد؟ فقال أريد أن لا أريد.

---

(١) في (أ)، (ب)، و(ج): الهمة والمثبت من (د) وهو أجود والله تعالى أعلم.

(٢) (أ)، و (د): يهم.

شرح الكلمة الثامنة

«خلوت دَرْ انجمن» يعني ينبغي للسالك أن يكون ظاهراً مع الخلق باطناً مع الحق: اليد بالشغل والقلب بالحق.

(**خلوة در انجمن**) وهى الكلمة الثامنة ومعناها ما أشار إليه بقوله (**يعني**) يريد بذلك أنه (**ينبغي للسالك**) في طريقه تعالى (**أن يكون ظاهراً**) أي بحسب الظاهر (**مع الخلق**) مساوياً لهم في الكلام والأكل والشرب والمجالسة وجميع ما هم فيه من الأفعال المباحة والأقوال التي لا يأثم قائلها وفي جميع الطاعات من غير أن يتميز عنهم بملبس أو نحو ذلك.

(**و**) يكون (**باطناً**) أي بحسب الباطن وحقيقة الأمر (**مع الحق**) تعالى مستغرقاً في شهوده سبحانه لا يتحرك في باطنه أو ظاهره إلا به تعالى ولا يسكن كذلك إلا به ولا يتكلم إلا به معه ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[1]

(**اليد**) ظاهرة (**بالشغل**) في صنعته وخدمته لاكتساب الحلال وفي التناول بالأخذ والإعطاء وكذلك الرجل وسائر الأعضاء فيما تشتغل به الناس كما قال تعالى بطريق الإشارة بعد الفراغ من الموقف على عرفات المعرفة الإلهية ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

والاستغفار منا للظهور في أطوار الغفلة مراعاةً للعالم البشري وهو الغين الذي قال النبي ﷺ: «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة»[3] وفي رواية:

---

(١) سورة الأنعام آية: ٩١.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٩٩.

(٣) رواه مسلم (٤٨٧٠)، وأبو داود (١٢٩٤)، وأحمد في المسند (١٧٥٧٥)، والنسائي في الكبرى (١٠٢٧٧)، والطبراني في الكبير (٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥) (١/ ٣٨٣)، من رواية سيدنا الأغر المزني ﷺ، كلهم بلفظ «مائة مرة٢»،

«مائة مرة»[1]، لأنه ﷺ بشر مثلنا بدليل قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾[2] ... الآية، فبكونه بشراً يغان على قلبه محافظة على البشرية، واستغفاره من ذلك نظيره الاستغفار منا في آية الإفاضة كما ذكرنا.

(**والقلب**) باطن (**بالحق**) أي مع الحق لا يفارق شهود حضرته تعالى ولا يشتغل عنه بشاغل مطلقاً.

وما أحسن ما قيل:	
فمن داخلٍ كن صاحياً غيرَ غافلٍ	**ومن خارج خالط كبعض الأجانب**

(**وما أحسن ما قيل في ذلك**) المذكور من الشعر: (**فمن داخل**) أي في سرك (**كن**) يا أيها المريد الصادق (**صاحياً**) لشهود ربك مستيقظاً له (**غير غافل**) عنه في جميع أحوالك (**ومن خارج**) أي في جوارحك وما يظهر منك، (**خالط**) الناس وشاركهم في جميع أحوالهم المباحة وكن معهم كبعض الناس (**الأجانب**) أي الغافلين عن الله تعالى المتجنبين عن شهوده، والمراد أن يكون مع الله تعالى بلا ناس ومع الناس بالله فتخالطهم وتباينهم، كما قالوا: إن العارف كائن بائن، أي موجود مع الناس ولكنه مفارق لهم، ومنه قول القائل:

ورواية السبعين ليس فيها «يغان على قلبي»، وعليه فالحديث كما ذكره الإمام النابلسي يشبه أن يكون مركباً من حديثين. ولعله يجمع بينهما بأن يكون استغفار النبي ﷺ مائة مرة حال الغين، والسبعين في غير ذلك، وقد فسره سيدي أبو الحسن الشاذلي بأنه غين أنوار لا غين أغيار. ومن الفوائد ما أخرجه الطبراني عند روايته قال: **حدثنا محمد بن محمد الجذوعي القاضي، قال: سمعت العباس بن الوليد النرسي، يقول: سألت أبا عبيدة معمر بن المثنى، عن تفسير قوله إنه ليغان على قلبي، فلم يفسره لي، وسألت الأصمعي عنه فلم يفسره**. وحديث السبعين رواه البخاري (٥٨٣٢)، والترمذي (٣١٨٢)، وأحمد في مسنده (٧٤٦١)، من حديث سيدنا أبي هريرة ﷺ.

(١) خرجه صاحب (راموز الأحاديث ص١٤٠) عن الإمام أحمد وعبد بن حميد والإمام مسلم وأبي داود والنسائي وابن حبان وغيرهم.

(٢) سورة الكهف الآية: ١١٠.

فكن مع الناس حيث كانوا ودر مع الدهر حيث دارا

وإنما ناسنا حديث كمثل كسرى ومثل دارا[1]

قال أكابر الطريق إن في هذه الطريقة الجمعية في الملأ والتفرقة في الخلوة.

(**قال أكابر الطريق**) من أهل الله تعالى إن هذه الطريقة النقشبندية حصول الجمعية بالحق تعالى في وجود المريد في الملأ، أي فيما بين جماعات الناس لاجتماع الروحانيات واقتصارها على النظر والاغتناء بشيء واحد مسارعة إليه مخافة فواته بمسارعة غيرها إليه وحصول التفرقة بالغفلة عن الجمعية (في)[2] حال وجود المريد (في الخلوة) وحده لانتشاء روحانيته بالطمأنينة في عدم المزاحمة على المقصود فخلوة من هذا شأنه في الله تعالى في الاجتماع بالناس وخلوته بنفسه في الانفراد عن الناس، فالخلطة خير من العزلة وهو المقام المحمدي الجامع.

---

(١) كسرى ودارا من ملوك الفرس.

(٢) حرف الواو في (ب).

شرح الكلمة التاسعة

«وقوف زماني» يعني تحاسب نفسك على الأوقات فتنظر هل مَرَّتْ بأعمال الخير فتشكر أو بأعمال الشر فتستغفر وذلك على حسب مراتبهم، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين

(**وقوف زماني**) وهي الكلمة التاسعة، وحاصل معناها: تحاسب نفسك يا أيها المريد على الأوقات التي مرت عليك في اليوم والليلة، فتنظر هل مرت عليك بأعمال الخير كالصلاة والصوم والصدقة والتسبيح ونحو ذلك من الطاعات، فتشكر الله تعالى على توفيقك إليها وتيسيرها لك، أو مرت عليك بأعمال الشر كالمعاصي والمخالفات فتستغفر الله تعالى من ذلك وتتوب إليه.

قال تعالى: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾[1]، هذه الآية أصل في محاسبة النفس، «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»[2].

(**وذلك**) أي الاستغفار بمعنى التوبة من أعمال الشر (**على حسب**) أي مقدار (**مراتبهم**) أي مراتب أهل الله تعالى في ذلك فقد يكون فعل من الأفعال ذنباً في مرتبة، وطاعةً في مرتبة أدنى منها، ومباحاً في مرتبة وسط، كما سُئل ذو النون المصري رحمه الله عن التوبة فقال: توبةُ العوامِ من الذنوب وتوبة الخواص عن الغفلة.

[وقال أبو الحسن النوري رحمه الله : أن تتوب عن كل شيء سوى الله][3].

وقال محمد التميمي رحمه الله شتان بين تائب يتوب من الزلات وتائب يتوب من الغفلات وتائب يتوب من رؤية الحسنات.

---

(١) سورة الحشر آية: ١٨.

(٢) رواه الترمذي (٢٣٨٣)، وابن أبي شيبة (٨/ ١٤٩).

(٣) سقط من (ج)

وسئل رويم رحمه الله تعالى عنه التوبة فقال التوبة من التوبة.

(**فإن**) من المشهور بين الجمهور (**أن حسنات الأبرار**) جمع بَر بالفتح وهو القائم بنفسه لله تعالى بالأوامر والنواهي ظاهراً وباطناً (**سيئات**) أي ذنوب (**المقربين**) وهم القائمون بالله تعالى لا بأنفسهم في الأوامر والنواهي لله تعالى لا لأنفسهم فإن طاعات الأبرار بأنفسهم ذنوب عند المقربين الذين طاعتهم بربهم وقد علم كل أناس مشربهم.

شرح الكلمة العاشرة والكلمة الحادية عشرة

«وقوف عددي» وهو عبارةٌ عن رعايةِ العددِ في الذكرِ القلبي لجمع الخواطر المتفرقة

(**وقوف عددي**) وهي الكلمة العاشرة (**وهو عبارة عن رعاية**) أي ملازمة المريد لمقدار (**العدد**) الذي مر بيانه (**في الذكر القلبي**) فإن مراعاة ذلك (**لجمع الخواطر المتفرقة**) فتصير خاطراً واحداً العدد الذي مر بيانه في بسبب ملازمة عدد واحد من الذكر فتبقى النفس مطمئنة به ساكنة إليه غير مترددة في مقدار منه غيرِ متعين لها، ولهذا ورد تعين عدد مخصوص في التسبيحات عقيب الصلاة كما جاء في الحديث.

«وقوف قلبي» هو عبارة عن اليقظة وحضور القلب مع جناب الحق سبحانه وتعالى على وجه لا يكون للقلب غرضٌ غير الحق عز وجل.

(**وقوف قلبي**) وهي الكلمة الحادية العشر وحاصل معناها (**هو عبارة عن اليقظة**) في الأمور كلها بنفي الغفلة والسهو، (**وحضور القلب**) كمال الحضور من غير التفات إلى شيء آخر من الأشياء (**مع جانب الحق سبحانه وتعالى**) بحيث يشهد الله تعالى في شهوده كل شيء لان كل شيء فعل من أفعال الله تعالى يشهد في فعله كما ورد ويشهد في صفاته وفي ذاته ولكن يجب أن يكون حضور ذلك (**على وجه لا يكون للقلب غرض**) في شيء من الأشياء مطلقاً (**غير الحق عز وجل**) بأن لا يقصد بذلك الحضور ثواب الله تعالى والنجاة من عقابه والمرتبة العالية عنده ونحو ذلك وإنما الذي يتبقى له أن يقوم بالله لله لا لنفسه.

وقيل أيضاً في معناه: إن الذاكرَ ينبغي له أنْ يكونَ واقفاً على قلبه، يعني في أثناء الذكر، ويتوجه إلى القلب الصنوبري الذي يقال له بالفارسية «دل» وهو في الجانب الأيسر محاذياً للثدي ويجعله مشغولاً بالذكر ولا يتركه يغفل عن الذكر ولا عن مفهومه،

وحضرة الخواجة نقشبند لم يجعل حبسَ النّفس و [لا][1] رعاية العدد لازماً في الذكر

وقيل أيضاً في معناه، أي معنى الوقوف القلبي، (**إن الذاكر ينبغي أن يكون له واقفاً**) أي مطلعاً (**على قلبه**) مراقباً لما يخطر فيه (**يعني في أثناء الذكر**) فكلما ذكر الله تعالى نظر ما يقع في قلبه حالة الذكر من المعاني التي تخطر فيضبطها ويفرق بين حسنها وقبيحها (**ويتوجه**) بهمته وعزمه الصحيح (**إلى القلب الصنوبري**) الشكل الذي (**يقال له بالفارسية دِل**) بكسر الدال المهملة وهو في الجانب الأيسر من البدن كما مر (**محاذياً**) أي مقابلاً ومقارناً من جهة الداخل (**للثدي**) الظاهر، (**ويجعله**) أي ذلك القلب (**مشغولاً بالذكر**) على كل حال (**ولا يتركه يغفل**) عن الذكر في حال من الأحوال مطلقاً ولا عن مفهومه أي مفهوم الذكر، بل يبقى مستحضراً معنى الذكر في كل مرة غير غافل عنه لينتج له شهود المذكور، وتتم رياضته في الشهود.

وحضرة الخواجة أي الشيخ بهاء الدين (**النقشبندي**) ﷫ وقد سبق بيانه (**لم يجعل حبس النفس**) من الذكر (**ولا رعاية العدد**) أمراً لازماً في الذكر، فله أن يحبس نفسه وأن لا يحبسه وأن يلتزم عدداً مخصوصاً من الذكر وأن لا يلتزمه، وإن الحبس والالتزام أولى عنده لكنه غير لازم.

وأما الوقوف القلبي فهو لازم عنده في أثناء الذكر والمرابطة وغيرهما، فالمقصود من الذكر الوقوفُ القلبي. وما أحسنَ ما قيلَ في ذلك المعنى:

بيض قلبك كُنْ كأنك طائرٌ ... فَمِنْ ذلكَ الأحوالُ فيك تُوَلَّدُ[2]

وأما الوقوف القلبي المذكور (**فهو لازم عنده**) أي عند الخواجة النقشبندي ﷫ (**في أثناء الذكر**) على حسب ما سبق من معنى ذلك.

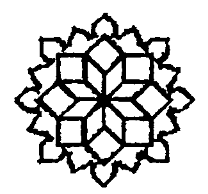
---

(١) ساقط من (ب).

٢) بالبيت كسر في الوزن ولعل صوابه:

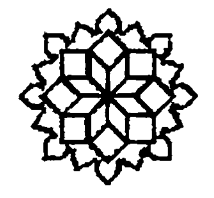
بيض فؤادك كن كأنك طائر ... من ذلك الأحوالُ فيك تُوَلَّد

(والمراقبة) القلبية على الذكر أي المحافظة عليه والمداومة لازمة عنده أيضاً، وكذلك غيرهما من آداب الذكر كالوقوف الزماني وباقي الكلمات بحالها، فالمقصود من الذكر إنما هو الوقوف أي الإطلاع القلبي وهو الشهود لحقائق الوجود، **(وما أحسن ما قيل في ذلك)** المعنى من الشعر **(بيض قلبك)** يا أيها المريد كن أنت كأنك طائر في جهة الحفظ والتربية والاعتناء بالمداراة، فإن الطائر يحصر بيضه متحفظاً عليه ليستنتج منه ما يأنس به مما يجانسه من الفرخ، وكذلك أنت يا أيها المريد احرص على قلبك واحتفظ عليه من دخول الأغيار كيلا يفسد عليك، حتى تستخرج منه ما تستأنس به من معرفة الله تعالى، فمن ذلك أي من القلب، **(الأحوال)** الإلهية والمعارف الربانية **(فيك)** يا أيها المريد اى في نفسك **(تُوَلَّدُ)**، بالبناء للمفعول وتشديد اللام أي يولدها قلبك **(فيك)** والله أعلم.



الفصل الرابع

في آداب الطريق في الظاهر والباطن



إذا وقعَ لكَ في أثناء الذكرِ والاشتغال تفرقـةٌ أو وسوسـةٌ أو قـبضٌ فينبغـي لـكَ أنْ تغتسلَ بالماء البارد، وإن لم تقدر لعدم مساعدة المزاج فبالحـار، وبعـد ذلـك تـدخل الخلوة وتصلي ركعتين مع التضرع والاستكانة، وتستغفر من ذنوبك.

(**إذا وقع لك**) يا أيها المريد (**في أثناء الذكر**) والاشتغال به - حتى لا يكون سـببُ ذلك غفلتَك عن الذكر فيزول بعودك إليه- (**تفرقة**) أي رجوع من كـشف الـشهود إلى لبس الوجود، أو (**وسوسة**) بإلقاء الخاطر بتردد في النفس شيء من الأشياء، (**أو قبض**) يربط على القلب فيمنعه من التوسع في الأمور واحتمال المقدور (**فينبغي**) لـك أن تبـادر إلى الطهارة الظاهرة لترجع إليك الطهارة الباطنـة وذلـك أن تغتـسل أي تغـسل جميـع بدنك مع المضمضة والاستنشاق وإدخال الماء في صماخ الأذنين وتحت الإبطين وبـاطن الركبتين وباطن السرة وطيات البطن وداخل اللحية والشاربين والحاجبين والاستنجاء في القبل والدبر والوضوء الكامل قبل ذلك، وأن يكون (**بالماء البارد**) لبقائه على أصـل خلقته من غير تصنع فيه يمزجه بحرارة النار، (**وإن لم تقـدر عـلى ذلـك**) أي عـلى المـاء البارد (**لعدم مساعدة**) المزاج لك في ذلك لبرودة طبعك أو برودة الوقت أو عدم العادة أو خوف المرض منه (**فبالحار**) أي بالماء المسخن بالنـار لا بالـشمس، لكراهـة ذلـك في مذهب بعض العلماء إلا عند الضرورة.

وبعد ذلك أي بعد تمام الاغتسال تدخل يا أيها المريد (**الخلـوة**) الطـاهرة الحـلال الخالية من أحد وتصلي فيها (**ركعتين**) أول دخولك مع التضرع إلى الله تعـالى في هـاتين الركعتين أي التوسل (**و**) الدعاء، ومـع الاسـتكانة أي الـذل والانكـسار إلى الله تعـالى وتستغفر (**من**) جميع (**ذنوبك**) ما علمت منها وما لم تعلم نادماً على جميع ما صدر منـك مما لم تشعر به من المخالفات وما شعرت به عازماً على أن لا تعود إلى شيء من ذلك،

وتتوجه لحالك ووقتك، وإن لم تجد وقتـك واسـتمرت التفرقـة معـك، فأحـضِر في خيالك صورةَ الشيخ المربي لك، فإنه يرجي لك ببركته تبدل التفرقة بالجمعية.

(**وتتوجه**) بصميم قلبك (**لحالك**) لزوال الوسوسة أو القبض (**و**) عود (**وقتك**) إليك وهو جمعيتك بربك. (**وإن لم تجد وقتك**) بعد هذا العمل كله (**واستمرت التفرقة**) بشهود الأغيار عند تحول الأحوال معك أي في قلبك ولم تزل عنك، (**فأحضر**) أي فاجعل بمنزلة الحاضر (**في خيالك صورة الشيخ المربي لك**)، لأنك كنت تشهده بابَ الإمدادات الإلهية كما بيناه فيما سبق، فاجعله قُبالةَ وجهك حتى تبقى مقبلاً على باب الحق تعالى، لعله أن يفتح لك فتدخل إلى حضرته تعالى على مقتضى مرادك، (**فإنه يُرجى**) بالبناء للمفعول (**لك ببركته**) أي ببركة الشيخ المذكور (**تبدُّلُ**) (**التفرقةِ**) التي حصلت لك (**بالجمعية**) مع الحق تعالى وتقدس.

وإن بقيت التفرقة أيضاً مع ذلك فقل: يا فعال، بالشَّدِّ والمدِّ، وإن لم ترتفع التفرقة بذلك، فقل: إن هذه التفرقةَ منه سبحانه وتعالى، وافْنَ في ذلك المُفرِّقِ واستغرق فيه فتصيرَ في عين الجمع حينئذ. وقَلَّ أن تبقى التفرقة مع هذه الملاحظة.

وإن بقيت التفرقة (**أيضاً مع ذلك**) فقل بقلبك أو بلسانك (**يا فعّال بالشَّدِّ**) أي بتشديد العين المهملة (**والمد**) على الألف مداً لازماً مخففاً، فإن قولك ذلك بنية قولك على كونه تعالى فاعلاً كل شيء وحده لا شريك له، فتنتقل في الغفلة بشهود الفواعل الكثيرة إلى شهود الفاعل الواحد، وتدخل في حضرة جمعيتك.

(**وإن لم ترتفع**) عنك (**التفرقة**) أيضاً (**بذلك**) القول المذكور (**فقل**) في نفسك (**جازماً إن هذه التفرقة**) التي حصلت لك إنما هي (**منه سبحانه وتعالى**) لا من غيره

(**وافْنَ**) أي اضمحل وأذهب نفسك وامحق وجودك (**في**) وجود (**ذلك المفترق**) لك وهو الله سبحانه وتعالى بأن تشهد أمره تعالى الذي هو كلمح البصر الذي قامت به السموات والأرض (**واستغرق**) أي غب عن هذا الوجود الفاني (**فيه**) أي في الحق تعالى المفترق لك (**فتصير**) في (**عين الجمع**) به عز وجل الذي هو مطلوبك (**حينئذٍ**) وتذهب عنك التفرقة.

(**وقل**) في جلب الجمعية (**أن تبقى التفرقة**) التي في شهودك على ما هي عليه (**مع هذه الملاحظة**) المذكورة بأن التفرقة منه تعالى فانياً في ذلك المفرق مستغرقاً فيه.

وحيثُ كانت الخطرةُ منكَ متعلقةً بالأعمال كمثل الميل إلى شراء فِراش[1] أو نحوِه مما يباحُ شرعاً فليبادرْ لفعله، أو يخرجها من قلبه حتى تكونَ تلك الخطرةُ له كعدوٍ يبذلُ جُهدَه في دفعِه.

(**فحيث كانت الخطرة منك**) في قلبك (**متعلقة بالأعمال**) المعاشية (**كمثل الميل**) من قلبك (**إلى شراء فراش**) تجلس عليه (**أو نحوه**) من ثوب تلبسه أو إناء تأكل فيه (**مما يباح**) لك (**شرعاً**) من غير كراهة (**فليبادر**) ذلك المريد (**لفعله**) أي بشراء ما يحتاج (**أو يخرجها**) أي **تلك** الخطرة المذكورة من قلبه لعلها كانت سبب التفرقة (**حتى تكون تلك الخطرة**) المذكورة (**له**) أي عنده في حالة دفعه لها (**كعدو يبذل**) ذلك المريد (**جهده**) أي قدرته وطاقته (**في دفعه**) عنه مخافة شره.

ونفيُ ثلاثةِ خواطرَ أمرٌ لازمٌ على المريد: الخاطرِ النفساني، والخاطرالشيطاني والخاطر الملكي، ويُثْبِت الخاطر الحقاني.

(**ونفي ثلاثة خواطر**) في القلب (**أمر لازم**) أي متعين في طريق الله تعالى (**على المريد**):

الأول، (**الخاطر النفساني**) وهو الذي يكون من قبل النفس وهو خاطر اللذائذ والشهوات العاجلة من حل أو حرمة.

(**و**) الثاني، الخاطر (**الشيطاني**) أي الذي من قِبَل الشيطان وهو خاطر العقائد الفاسدة والذنوب والمخالفة.

---

(١) في متن ابن علان: فرس.

(و) الثالث، الخاطر (المَلَكي) أي الذي من قِبَل المَلَك، وهو خاطرُ الإلهام بالخير والنصيحة.

أما نفي الخاطر النفساني فإنه متعين لأنه يشغل المريد عما هو بصدده من حصول المعرفة بالله تعالى ويمنعه من النهوض إلى أوْج مقصوده ويعمي بصره وبصيرته عن الشهود.

وأما الخاطر الشيطاني فنفيه استبقاء الإيمان والعدالة وإلا لكفر أو فسق فيطرد عن حصول ما هو بصدد من القرب الإلهي.

وأما الخاطر الملكي فينفيه رفعاً للهمة عن التلقي من غير الله تعالى واحترازٌ عن التفرقة في مقام الجمعية.

و يثبت في قلبه (الخاطر الحقاني) أو الذي من قبل الحق تعالى وصيغته صيغة الأمر وعلامته أن القلب لا يجد قدرة على مخالفته ولا يكون إلا بالخير.

ومعرفةُ الخواطرِ وتمييزُها عسيرٌ جداً. ولنبينْها بعضَ بيانٍ فنقول: فإن حصولَ خاطر النفس من أرض القلب يعني من تحت القلب.

(**ومعرفة الخواطر**) متنوعة (**وتمييز ها**) عند النفس (**عسير جداً**) لأن المعرفة من جملة الخواطر، ومعرفة الشيء نفسه أصعب من معرفة غيره لبساطة الخاطر وعدم تركيبه، (**ولنبينها**) أي الخاطر بعض بيان فنقول وبالله المستعان.

(**إن حصول خاطر النفس**) للمريد إنما هو (**من أرض القلب**) أي قلب ذلك المريد (**يعني من تحت القلب**) لأنه إنما يكون بالشهوات العاجلة واللذائذ الفانية وذلك من مقتضيات الجسمانية وهي سُفلية.

وخاطرُ الشيطان من يسار القلب، والذي من المَلَكِ إنما يكون من يمين القلب، والذي من جهة الحق يكون من فوق القلب.

(وخاطر الشيطان) حاصل (**من يسار**[1] **القلب**) لأن الشيطان جالسٌ قبالة القلب ينقلب بأنواع الصور الخبيثة كصورة الزنا وشرب الخمر وأنواع الكفر ويزين ذلك، والقلب صاف كالمرآة، فينطبع فيه كل ما قابله.

(و) الخاطر (**الذي**) يقع في القلب (من) جهة (**المَلَك إنما يكون من يمين القلب**)، ويمين القلب مظهر الروح والملك مظهر الروح، فلهذا خاطره يكون من جهة اليمين.

(و) الخاطر (**الذي**) على القلب (**من جهة الحق**) سبحانه (**يكون من فوق القلب**) لأن القلب من أمر الله تعالى فوق كل شيء.

وهذا يصح معرفته لمن تحلى بالتقوى والزهد والورع وأكل الحلال الطيب، وكان دائماً مراقباً خواطره، لا يترك خاطر الغير يمر بباله، والمقصود أن يكون مراعياً لوقته، فليس شيء أعزَ من الوقت، فإن الوقت سيفٌ قاطع إذا فات لا يُتَدارك.

(وهذا) الأمر المذكور إنما (**يصح معرفته**) ذوقاً وشهوداً (**لمن تحلى**)، بالحاء المهملة، أي تزين (**بالتقوى**) عن الكفر وهي تقوى العامة، وعن الذنوب وهي تقوى الخاصة، وعما سوى الله تعالى وهي تقوى خاصة الخاصة.

(والزهد) في الدنيا وهو زهد العامة، وفيما سواه تعالى وهو زهد الخاصة، وفي الزهد وهو زهد خاصة الخاصة.

(والورع) عن المحرمات والمكروهات وهو ورع العامة، وعن المباحات وهو ورع الخاصة، وعن العبادات والطاعات وهو ورع خاصة الخاصة، (**وأكل**) الجسمانية للطعام وشربها للشراب، والروحانية للمعاني وشربها للحكمة (**الحلال**) من المأكل الذي في ملكك بوجه شرعي، ومن المعاني الذي فتح به عليك لا على غيرك من الحكمة: الصحيح الموافق، (**الطيب**) اللائق بالمزاج، ومن المعاني المناسبة للوقت ومن الحكمة المطابق للحال.

---

(١) ساقط من (ب).

(**وكان دائماً**) في جميع أطواره (**مراقباً خواطره**) لا يغفل عنها (**ولا يترك خاطر الغير**) أي الخاطر الذي يخطر له في الغير بنفيه عنه فلا يدعه (**يمر بباله**) بل يغيب عليه بخاطر الشهود والحضور.

(**والمقصود**) من المريد أن يكون دائماً (**مراعياً**) أي محافظاً ضابطاً (**لوقته**) الذي هو فيه فلا ينظر إلى ما قبله ولا إلى ما بعده كما قال الشاعر:

ما مضى فات والمؤمل غيب ... ولك الساعة التي أنت فيها

فإن من نظر إلى الماضي والمستقبل اشتغل عما هوفيه من الزمان الحال، فلا يقدر مع ذلك أن يستكمل النظر في زمان الحال فيفوت منه آداب وقته ذلك، فلا يجد ثمرة الوقت ويضيع عليه، فيصير الوقت عليه مُقتا، ولهذا قالوا (**الصوفي ابن وقته**)، لمراعاته حقوق الوقت الذي ولد فيه كمراعاة حقوق الأب، وهو في كل وقت يولد من العدم إلى الوجود بأمر الله تعالى الذي هو كلمح بالبصر. (**فليس شيء**) عند العارف (**أعز من الوقت**)، لأن فيه يرقى من حضيض نقصه إلى أوج كماله، ومن شهود نفسه إلى شهود ربه، (**فإن الوقت سيف قاطع**) لاستعداد الكمال وقابلية ظهور الأحوال، فإنه (**إذا فات**) الوقت (**لا يُتدارك**) - بالبناء المفعول - أي لا يمكن أن يُتدارك ما فَرط منه وقد قُطع عليك استعدادك وقابليتك فيه للكمال.

ويمكن حفظ الأوقات بالذكروالمراقبة والصلاة والتلاوة. وأكابر السادة النقشبندية اختاروا من جملة وظيفة تلاوة القرآن في الليل: الفاتحة وقل يا أيها الكافرون وسورة الإخلاص والمعوذتين وخواتيم سورة الحشر وخاتمة سورة البقرة.

كيفية حفظ الأوقات:

(**ويمكن**) للمريد (**حفظ الأوقات**) من الفوت مع الغفلة (**بالذكر**) حتى لا يمر عليه وقت إلا هو حاضر فيه مع ربه عز وجل كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾[1].

(١) سورة المعارج آية: ٢٣.

وهي الصلاة الروحانية لقيام السر قارئاً للقرآن بلا حرف جسماني ولا صوت نفساني راكعاً بفناء النفس ساجداً بفناء القلب وساجداً ثانياً بفناء الفناء ومسبحاً بلسان التنزيه الوجودي في المقام الشهودي، جالساً في حضرة العلم القديم على بساط الأزل، تالياً يشهد الصفات الإلهية على الذات الغيبية، مسلماً على جانبيه لحضرت قبضتيه بيديه.

(والمراقبة) كما مر بيانها، **(والصلاة)** ذات الركوع والسجود بعد فهم إشاراتها والحضور في جميع حركاتها وسكناتها، فرفع اليدين إشارة إلى ترك الكونين، والقيام الوقوف في طور الروح الكُلِّيِّ، ولهذا فيه قراءة القرآن لأنه أمام الوجود في حضرة المشهود، والركوع الدخول في عالم الملائكة لأنهم منه غير أن حركتهم علوية فصورتهم سماوية والنصف الأسفل ثابت بلا تغير فلا صورة لهم فيه إلا ظهور الروح الكلي.

والسجود الأول الدخول في عالم النبات لدخوله في الأرض ثم ظهوره منها. والثاني في الدخول في عالم الحيوان وهو بعد النبات لدخوله في الأرض ثم انفصاله عنها. والقعود الدخول في عالم الجماد لسكونه. والسلام الأول هو التحقق بجميع ذلك وهو الدخول في عالم الإنسانية. والسلام الثاني هو ترك ذلك كله وهو التحقق بالحضرة الإلهية ولهذا كان النبي ﷺ يقول إذا فرغ من صلاته قبل قيامه إلى السنة بعد السلام الثاني **(اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يرجع السلام)** إلى آخره قاصداً بسلام القوم المقتدين به والحفظة، أو إشارة الصلاة إلى أن كل ركعة منها صورة كتابة اسم الله تعالى فالقيام الألف والركوع حركة الألف، حتى تصير همزة لأنه لا يمكن الابتداء بالساكن، والسجدتان هما اللامان والقعود هو الهاء فكل ركعة كتابة اسم الله تعالى في لوح الوجود، فالصلاة ذكر بالفعل وهي من نطق الوجود. وللصلاة إشارات أخرى ولكن هذا مقدار ما فتح علينا في وقت كتابتنا لهذا المحل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(والتلاوة) أي تلاوة القرآن العظيم باللسان الجسماني بحروف وأصوات وباللسان الروحاني بشهود الأحياء والأموات.

(وأكابر) السادة **(النقشبندية)** قدس تعالى أرواحهم وأعظم أنوارهم **(اختاروا)** للمريد السالك **(من جملة وظائفه تلاوة القرآن بالليل)** لأنه وقت النوم والغفلة عن العبارة، فلهذا كثرت وظائف القرآن فيه، قراءة **(سورة الفاتحة)** أولاً **(و)** قراءة سورة **(قل يا أيها الكافرون)** ثانياً **(و)** بعده قراءة **(سورة الإخلاص والمعوذتين)** أي سورة قل أعوذ برب الفلق وسورة قل أعوذ برب الناس، وقراءة **(خواتيم)** أي الآيات التي هي أواخر (**سورة الحشر**) وذلك قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ﴾[1] إلخ وقراءة **(خواتيم سورة البقرة)** وهو قوله تعالى:﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ)[2] إلى آخر السورة.

ومن جملة وظائفه تلاوة القرآن بالنهار: سورة يس. قال حضرة الخواجة علي الراميتني[3]: إذا اتفقت ثلاثة قلوب على إيجاد أمر واحدٍ حصل مراد العبد: بذلك قلب القرآن يس، وقلب العبد المؤمن، وقلب الليل، يعني إذا قرأت قلب القرآن في التهجد حصل ذلك المعنى.

(ومن جملة وظائفه تلاوة القرآن بالنهار) لأنه وقت اليقظة والانتشار في الأرض فكانت وظيفته فيه قراءة **(سورة يس)** فقط، لأنها قلب القرآن كما ورد في الحديث،

---

(١) سورة الحشر الآية: ٢٢.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٨٤.

(٣) هو الشيخ العارف: سيدي علي الراميتني - نسبة إلى قرية (راميتن) على بعد فرسخين من (بخاري) - وهو من أعلام السادة النقشبندية، أخذ الطريقة عن سيدي محمود الإنجير فغنوى وصار من أكابر أهل السلسلة النقشبندية، وتوفي سنة خمس عشرة وسبعمائة وقد عمر مائة وثلاثين سنة رضي الله تعالى عنه وعنا به (انظر الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية ص١٢٢ ط/ السعادة).

واستحضار القلب بالنهار من المهمات لأنه وقت التفرقة، فإذا اجتمع قلب القرآن مع قلب الإنسان أنتج له الجمعُ والعَيان.

(وقال حضرة الخواجة على الراميتني) وقد سبق ذكرُه: **(إذا اتفقت ثلاثة قلوب على إيجاد أمر واحد حصل)** ذلك الأمر وهو **(مراد العبد المؤمن)** وهو شهود الحق تعالى حصولاً كائناً **(بذلك)**.

والاتفاق الأول قلب العبد المؤمن ولم يذكره لكونه معلوماً.

(و) الثاني **(قلب القرآن)**][1] وهو سورة **(يس)**، وإنما كانت قلبَ القرآن لاشتمالها على ما هو أصل لجميع القرآن وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾[2] الآية، ليس في القرآن مثلها تُعْلِمُنا بكيفية الوحي، وذلك أن الشعر مأخوذ من الشعور هو الإدراك بالنفس والفكر والحواس. والإدراك على هذا الأسلوب ليس بوحي ولا يليق لنبي من أنبياء الله تعالى في وقت التكلم بكلام الله تعالى.

ففي هذا المعنى قلب القرآن، لأن القرآن يخرج من قلب موصوف بضد ذلك الشعور المذكور وهو قلب النبي ﷺ.

(و) الثالث **(قلب الليل)** وهو وسطه فإنه أهدأ للأصوات، وأهضم للطعام، وأرْوَح لبدن نائم إذا قام، وأقرب إلى النشاط. فيقرأ المريد في صلاته ليلاً بقلب لقلب في قلب. كما ورد «إن الله تعالى وتر يحب الوتر»[3]، وورد «اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا»[4] والوتر ضد الشفع، والثلاثة وتر وهي القلوب الثلاثة **(يعني إذا قرأت)** سورة

---

(١) ساقط من (أ).

(٢) سورة يس الآية: ٦٩.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه البخاري (٩٤٣)، ومسلم (١٢٤٥)، وأبو داود (١٢٢٦)، وأحمد في مسنده (٤٤٨٠).

يس التي هي (**قلب القرآن**) كما ذكرنا (**في**) صلاة (**التهجد حصل**) لك (**ذلك**) أي مرادك، لاستعانتك عليه بالقلوب الثلاثة المذكورة، والمعنى أقلُّ الجمعِ ثلاثةٌ: إمام وهو قلب القرآن، ومقتدٍ على اليمين وهو قلبك، ومقتد على الشمال وهو قلب الليل.

ومن جملة وظائف المريد صلاة النوافل: صلاة التهجد والإشراق والاستخارة والضحى؛ والتهجد اثنتا عشرة ركعةً، ثم إن أمكن قرأ في كل ركعة سورةَ يس، وإلا أتمها في ثمان [ركعات][1] على هذا الترتيب: وهو أن يقرأ في الركعة الأولى إلى قوله تعالى:﴿ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾، وفي الركعة الثانية إلى قوله تعالى:﴿ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾، وفي الثالثة إلى قوله تعالى:﴿ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾، وفي الرابعة إلى قوله تعالى:﴿ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾، وفي الخامسة إلى قوله تعالى:﴿ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾، وفي السادسة إلى قوله تعالى:﴿ صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾، وفي السابعة إلى قوله تعالى:﴿ فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴾، وفي الثامنة إلى آخر السورة. وفيما بقي يقرأ سورة الاخلاص بعد الفاتحة ثلاثاً ثلاثاً.

(**ومن جملة وظائف المريد**) في الليل والنهار (**من صلاة النوافل**) الزائدة على الفرائض وعلى سننها المرتبة ومستحباتها (**صلاة التهجد**) بعد النوم (**و**) **صلاة** (**الإشراق**) في وقت إشراق الشمس وانتشارها على الأرض، **وهي غير صلاة الضحى** كما ذكره الشيخ ابن حجر الهيتمي رحمه الله في «شرح الشمائل» (**و**) **صلاة** (**الاستخارة**) أي طلب ما هو الخير والصواب (**و**) **صلاة** (**الضحى**) وهي من طلوع الشمس إلى زوالها.

(**فالتهجد**) بالليل في أي وقت شاء وأفضله جوف الليل بعد النوم وهو صلاة (**اثنتي عشرة ركعة**) كل ركعتين بتسليمة وهو أفضل عند الشافعي رضي الله عنه، أو كل أربع ركعات بتسليمة مع الصلاة على النبي ﷺ في القعدة الأولى، والاستفتاح بالثناء في أول

---

(١) في (ب) ركعة.

الركعة الثالثة وهو الأفضل عند أبي حنيفة ﷺ، والواجب[1] أن يقرأ في كل ركعة الفاتحة وسورة أو ثلاث آيات فصاروا آية طويلة، **(ثم إن أمكن)** من غير كلفة **(قراءة في كل ركعة)** من اثني عشر **(سورة يس)** ليحصل في كل ركعة اجتماع القلوب الثلاث وتكرار السورة في ركعتين أو أكثر لا يكره في النوافل وإنما يكره في الفرائض.

(وإلا) أي وإن لم يمكن ذلك بأن عسر عليه وأراد التسهيل على نفسه **(أتمها)** أي سورة يس **(في ثمان ركعات)** يقرأ في كل ركعة شيئاً منها **(على هذا الترتيب)** الذي يذكره **(وهي أن يقرأ في الركعة الأولى)** من الركعات الثمان كل ركعتين بتسليمة واحدة وهو جائز عندنا وأفضل عند الشافعي رحمه الله، أو كل أربع ركعات بتسليمه كما ذكرنا وهو جائز عنده وأفضل عندنا والثمان ركعات بتسليمه واحدة وهو جائز عندنا من غير كراهة من أول السورة إلى قوله تعالى فيها: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾[2]، **(و)** يقرأ **(في الركعة الثانية)** في قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[3]، ويقرأ في الركعة **(الثالثة)** من قوله تعالى: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾[4] إلى قوله تعالى: ﴿مُحْضَرُونَ﴾[5]، **(و)** يقرأ **(في)** الركعة **(الرابعة)** من قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾[6]. إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[7].

---

(١) أي عند الأحناف، والقراءة بعد الفاتحة هيئة تحسينية فقط عند الشافعية.

(٢) سورة يس آية: ١١.

(٣) سورة يس آية: ٢١.

(٤) سورة يس آية: ٢٢.

(٥) سورة يس آية: ٣٢.

(٦) سورة يس آية: ٣٣.

(٧) سورة يس آية: ٤٠.

ويقرأ (في) الركعة (الخامسة) من قوله تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ﴾[1] إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾[2]، (و) يقرأ (في) الركعة (السادسة) من قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ﴾[3] إلى قوله تعالى عز وجل: ﴿ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[4]، ويقرأ (في) الركعة (السابعة) من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ﴾[5] إلى قوله تعالى: ﴿ فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴾[6]، ويقرأ (في) الركعة (الثامنة) من قوله تعالى: ﴿ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ ﴾[7] (إلى آخر السورة)، هذا إذا كان حافظاً سورة يس، (وفيما بقى من الاثنتي عشرة) ركعة المذكورة والباقي أربع ركعات (يقرأ سورة الإخلاص).

وإن لم يحفظ سورة يس فليقرأ في كل ركعة من الاثنتي عشرة بعد الفاتحة سورة الإخلاص ثلاثاً ثلاثاً، ولا يصلي التهجد أقل من أربع ركعات. ووقت التهجد من الليل الثلثُ الأخير منه كما قال الله تعالى: ﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾[8] . قال صاحب «قوت القلوب»: قال الله عز وجل: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾[9]، وقال الله تعالى: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾[10] والهجوع هو النوم، والتهجد القيام، فلا يكون التهجد إلا بعد النوم.

---

(١) سورة يس آية: ٤١.

(٢) سورة يس آية: ٥٠.

(٣) سورة يس آية: ٥١.

(٤) سورة يس آية: ٦١.

(٥) سورة يس آية: ٦٢.

(٦) سورة يس آية: ٧١.

(٧) سورة يس آية: ٧٢.

(٨) سورة المزمل الآية: ٢-٣-٤.

(٩) سورة الإسراء الآية: ٧٩.

(١٠) سورة الذاريات آية: ١٧.

(وقال الله تعالى) فإن قيام الليل في وصف المتقين ﴿ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾[1] أي هجوعهم، وما مصدرية أو زائدة أو موصولة أي الهجوع الذي يهجعون. ولا يجوز أن تكون نافية لأن ما بعدها لا يعمل فيما قبلها، **(والهجوع هو النوم)**، وكذلك الهجود بالدال المهملة. **(والتهجد القيام)** من النوم وهو ترك الهجود فلا يكون التهجد حينئذ **(إلا بعد النوم)** في الليل بخلاف صلاة الليل فإنها أعم من النهي لحصولها قبل النوم دونه.

(وإن) لم يحفظ سورة يس **(فليقرأ في كل ركعة)** من الاثنتي عشرة ركعة المذكورة بعد الفاتحة سورة الإخلاص وهي ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ بعد الفاتحة ثلاثا ثلاثا ذلك لأنه ورد في فضل سورة الإخلاص أنها ثلث القرآن[2]، قال البيضاوي في تفسيره: ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الإلهية والرد على من ألحد. جاء في الحديث أنها تعدل ثلث القرآن. فإن مقاصده محصورة في بيان العقائد والأحكام والقصص، ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك.

ولا يصلي المريد **(التهجد)** - الصلاة بالليل - بعد النوم **(أقل من أربع ركعات)** بتسليمه واحدة لأنها على صورة أكمل الفرائض الظهر والعصر والعشاء **(و)** أول وقت التهجد من الليل الثلث الأخير منه في النصف الثاني، **(كما قال الله تعالى)** في القرآن العظيم في سورة ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾، أصله المتزمل من تزمل بثيابه إذا تلفف بها، ﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ ﴾[3] أي قم إلى الصلاة بالليل ﴿ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[4] منه، استثناء من الليل، يعني قد

---

(١) سورة الذاريات آية: ١٧.

(٢) ورد في هذا المعنى أحاديث كثيرة منها ما رواه مالك في الموطأ والبخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد يرددها فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له وكأن الرجل يتقالها فقال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن.

(٣) سورة المزمل آية: ٢.

(٤) سورة المزمل آية: ٢.

سمحنا لك بقليل من الليل أن تنام فيه لراحة بدنك، ﴿ نِّصۡفَهُۥٓ ﴾ بدلٌ من الليل، مِن بعد استثناء القليل منه بياناً لما هو المراد من ذلك، أي قم نصف الليل ونم نصفه ﴿ أَوِ ٱنقُصۡ ﴾ أنت ﴿ مِنۡهُ ﴾ أي من النصف قليلاً حتى يصير ثلث الليل، لا كثيراً حتى يصير ربع الليل، ﴿ أَوۡ زِدۡ ﴾ أنت عليه أي على النصف حتى ثلثين من الليل فيكون المطلوب منه أن يقوم نصف الليل أو ثلثه أو ثلثين.

فإن قلت قوله: ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ يقتضي أن المطلوب منه قيام الأكثر من الليل، والنصف ليس أكثر فكيف صح أن يكون بدلاً منه، قلت يحتمل أن يكون المراد بقوله ﴿ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ أي لا نصفاً منه وسمى النصف الذي لم يقم فيه قليلاً لعدم قيامه فيه بسبب وجود النوم، والصلاة خير من النوم على العموم ومحل الشاهد من هذه الآية أن الله تعالى أمر النبي ﷺ أن يقوم نصف الليل فالمراد النصف الثاني بدليل القيام فإنه يكون بعد النوم في النصف الأول، أو ثلث الليل فالمراد به الثلث الأخير بعد نوم الثلثين الأولين منه ﴿ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ في قيامك ذلك ﴿ تَرۡتِيلًا ﴾ أي قراءة على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها.

(قال) الإمام أبو الفتح المكي[1] رحمه الله صاحب **(قوت القلوب)** وهو مختصر[2] الإحياء للغزالي: **(قال الله عز وجل)** في كلامه القديم مخاطباً لنبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ ﴾[3] أي بعض الليل، والبعض صادق بالنصف

---

(١) بل هو (أبو طالب المكي) محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب: واعظ زاهد، فقيه من أهل الجبل بين بغداد وواسط نشأ واشتهر بمكة ورحل إلى البصرة فاتهم بالاعتزال، وسكن بغداد فوعظ فيها، فحفظ عنه الناس أقوالا هجروه من أجلها، وتوفي ببغداد سنة ٣٨٦هـ.

(٢) المعنى أن الإحياء قام عليه، إذ الإحياء أوسع منه، ولا يمكن أن يكون اختصر من الإحياء لأن أبا طالب المكي متقدم الوفاة على الإمام الغزالي. وفي (ج): مختصرة، أي نسخة مختصرة وهو أقرب للمعنى. ولعل صوابها في جميع الأحوال: وشرحه الإحياء للغزالي، والله تعالى أعلم.

(٣) سورة الإنسان آية: ٢٦.

والثلث والثلثين، ولعل الآية السابقة تفسر هذه ﴿فَتَهَجَّدْ﴾ أي فصل ﴿بِهِ﴾ أي بالقرآن ﴿نَافِلَة﴾ زائدة على الصلوات المفروضة ﴿لَّك﴾ تلك النافلة لا تكميلاً لنقص فرائضك فإن فرائضك تامة لا تحتاج إلى تكميل، فنوافلك لك بخلاف غيرك من القاصرين فإن نوافلهم مكملات لنقص فرائضهم، أو نافلة أي فريضة زائدة على الصلوات المفروضة لك تلك الفريضة الزائدة لا لغيرك فإن قيام الليل كان مفروضاً على النبي ﷺ وحده ثم نسخ.

وفي كتاب المبتغَى: لا يكون التهجد إلا بعد النوم، والتهجد صلاة النوم. وقد روي عن النبي ﷺ هذا الأمر: «قم من الليل ولو قدر حلب شاة»[1].

وقال في كتاب «**المبتغَى**» بالغين المعجمة مصرحاً بذلك (**لا يكون التهجد إلا بعد النوم**) ولو بيسير كما هو المتبادر من الإطلاق. وذكر الوالد ﷺ في شرحه على «شرح الدرر»: وقال شيخ الإسلام أبو السعود في تفسيره: التهجد إزالة أو إلقاء الهجود وهو النوم، فإن صيغة التفعل تجيء للإزالة كالتخرج والتحنث والتأثم ونظائرها. وفي «المدارك» للنسفي أنه ترك الهجود للصلاة، انتهى.

(**والتهجد**) في اصطلاح الشرع (**صلاة**) النافلة (**بعد النوم**) في الليل (**وقد روي**) في الحديث (**عن النبي ﷺ**) هذا الأمر وهو قوله ﷺ («**قم من الليل ولو قدر حلب شاة**») يعني أن التهجد هو الصلاة بعد النوم، وكان ﷺ يفعل ذلك.

وإذا صلى الصلاة المذكورة، جلس جلوساً متوجهاً للقبلة إلى الصبح، ويشتغل في حال توجهه بالمراقبة أو الذكر، وإن غلَبَه النوم نام لكنه يقوم قبل الصبح ويتوضأ ثم يصلي سنة الصبح

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ١٧٣)، والطبراني في الكبير بنحوه (٨٧٥)، والأوسط (٤٢٦٤)، بنحوه كذلك، والبيهقي في الشعب (٣٠٦٧)، وأبو يعلى في مسنده (٢٦١٦).

(**فإذا صلى**) المريد هذه (**الصلاة**) التي هي ثمان ركعات (**المذكورة**) على الوجه المذكور جلس على ركبتيه أو متربعاً (**جلوساً متوجهاً**) فيه (**للقبلة**) من حين فرغ من صلاته (**إلى**) أن يشرع في صلاة (الصبح، **ويشتغل في حال توجهه**) ذلك (**بالمراقبة**) للحق عز وجل على حسب ما مر، أو (**الذكر**) لله تعالى خفية أو جهراً بمقدار ما يسمع نفسه (**وإن غلَبَه النوم نام**) ولا يجهد نفسه مخافة الملل والسآمة في طريق الله تعالى، فإن النفوس مطايا القلوب في قطع المسافة إلى علام الغيوب، والمطايا بهائم وربما اعتراها الكسل، فتحتاج إلى سياسة عظيمة لئلا تشرد عن الله تعالى شرود البعير.

لكنه إذا نام (**يقوم**) في نومه (**قبل**) وقت (**الصبح**) آخر الليل (**ويتوضأ**) ثم إذا دخل وقت الصبح (**يصلي سنة الصبح**) في أول الوقت في بيته لا في المسجد. واعلم أن سنة الصبح لها أربع سنن: الأولى أن يصليها في أول الوقت لما روى نافع أن ابن عمر ﵄ أخبره عن حفصة ﵂ زوج النبي ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا سكت المؤذن من صلاة الصبح ركع ركعتين خفيفتين قبل أن تقوم الصلاة[1]. والثانية: أن يصليها في بيته قال النبي ﷺ: «من صلى سنة الفجر في بيته يوسع له رزقه وتقل المنازعة بينه وبين أهله ويختتم له بالإيمان»[2] ذكر الحديث في الكافي. والثالثة: أن يخفف القراءة فيها لحديث حفصة المذكورة ولما روى عن عائشة ﵂، «كان النبي ﷺ يخفف الركعتين قبل صلاة الصبح حتى إني لأقول هل قرأ أم الكتاب»[3]. والرابعة أن يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة (**قل يا أيها الكافرون**) وفي الثانية (**سورة الإخلاص**) لما خرج الترمذي عن ابن عمر ﵄ قال: «رمقت النبي ﷺ شهراً فكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد»[4].

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٢٦٠)، والبخاري (١١٠٢)، ومسلم (١١٨٤).

(٢) لم أجده، والصحيح فيه ما رواه مسلم عن السيدة عائشة ﵂ «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها».

(٣) رواه البخاري (١٠٩٥)، وأبو داود (١٠٦٤)، وأبو عوانة (١٧١٧).

(٤) رواه الترمذي (٣٨٢)، وابن ماجة (١١٣٩)، وأحمد في المسند (٥٤٣٣)، والنسائي في الكبرى (١٠٦٤).

ويشتغل المريد بعد ذلك بالاستغفار بطريق الخفية كما هو طريق هذه السلسلة، ويذهب إلى المسجدِ مستغفراً في طريقه، وإذا صلى الصبحَ مع الجماعة جلس في موضعه مشتغلاً بوظيفة الباطن إن وجد الجمعية، وإلا أتى بيتَه واشتغل فيه بوظيفته إلى أن تطلع الشمس. وبعد ذلك يصلى ركعتين بنية صلاة الإشراق، ويقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الإخلاص ثلاثاً، ثم يصلي بعد ذلك ركعتين بنية الاستخارة، ثم يدعو بالدعاء المعروف.

(**ويشتغِل**) المريد بعد ذلك (**بالاستغفار**) أي طلب المغفرة لذنوبه من الله تعالى (**بطريق الخفية**) لا الجهر (**كما هو طريق هذه السلسلة**) النقشبندية، فإن مبناها على الخفية وستر الحال، (**ويذهب**) بعد ذلك (**إلى المسجد**) حال كونه (**مستغفراً**) بالخفية (**في طريقه**) أي المسجد، ويخطر في باله وقت الاستغفار جميع ما وقع منه من الذنوب والمخالفات تفصيلاً وإجمالاً، ولا يعتقد في نفسه أنه لا ذنب له، فإن هذا الاعتقاد من أكبر الذنوب قال تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾[1].

ولله در القائل:

وإن قلتُ ما ذنبي إليكَ أجبتني وجودُك ذنبٌ لا يقاسُ به ذنبُ

والتوبة في كل نَفَسٍ من كل نَفَسٍ معراجُ السالكين إلى الله تعالى فمتى غفلوا عنها وقف بهم السير، قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[2].

وإذا صلى ذلك المريد فرض (**الصبح مع الجماعة**) في المسجد (**جلس في موضعه**) ذلك (**مشتغلاً بوظيفة الباطن**) فيه وهي المراقبة فالذكر بالخفية (**إن وجد**) في قلبه وهو في المسجد (**الجمعية**) الإلهية من تفرقة كونية (**وإلا**) أي وإن لم يجد ذلك أتى ذلك المريد

---

(١) سورة النجم آية: ٣٢.

(٢) سورة النور آية: ٣١.

(بيته واشتغل فيه بوظيفته) المذكورة **(إلى أن تطلع الشمس وبعد ذلك يصلي ركعتين بنية)** صلاة **(الإشراق ويقرأ في كل ركعة)** منها **(بعد الفاتحة سورة الإخلاص)** ثلاثاً، ولا يُكره تكرار السورة في النفل بخلاف الفرض كما سبق

قال الوالد ﷺ في شرحه على «شرح الدرر»: ولو قرأ السورة في الركعة الأولى ثم كررها في الثانية يكره إلا في النفل، انتهى. ولا شك أن صلاة الإشراق ونحوها نافلة فلا يكره فيها ذلك.

بيان صلاة الاستخارة

(ثم يصلي بعد ذلك) المذكورة من الأعمال **(ركعتين بنية)** صلاة **(الاستخارة، ثم يدعو بالدعاء المعروف)**، وهي معروفة مشهورة، وقد بسطت الكلام عليها في كتاب «نهاية المراد في شرح هداية ابن العماد». وحاصلها أن يصلي صلاة أي صلاة كانت ولو من السنن الرواتب أو تحية المسجد أو سنة الوضوء ونحو ذلك من غير الفرائض، وإن صلى ركعتين مستقلتين لذلك كان أفضل في وقت غير مكروه. وأوقات الكراهة وقت طلوع الشمس، وغروبها، ومستواها، وبعد طلوع الفجر ما عدا سنة الفجر، وبعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس، وبعد صلاة العصر إلى الغروب، وبعد الغروب إلى صلاة المغرب.

روى البخاري عن جابر ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة في القرآن يقول: إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين في غير الفريضة ثم ليقل «اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال عاجل أمري وآجله، فاقدُره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌ لي في ديني

ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال عاجل أمري وآجله، فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به». وقال ويسمي حاجته[1].

قال العلماء يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة قل يا أيها الكافرون وفي الثانية سورة الإخلاص وقيل يقرأ في الأولى بعد الفاتحة ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾[2] إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3] و(**قل يا أيها الكافرون**) وفي الثانية ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[4] وقل هو الله أحد، وقيل يقرأ في الأولى بعد الفاتحة آية الكرسي وسورة الإخلاص سبع مرات، وفي الثانية آية الكرسي مرة وسورة الإخلاص اثنتى عشرة مرة ثم يمضي لما ينشرح صدره ولما يسبق إلى فهمه فإن الخير فيه ويصلي على النبي ﷺ في أول الدعاء وآخره ويحمد الله تعالى.

وإذا كان له بعد ذلك أمر مهم دنيوي كاكتساب معيشته توجه إليه مع الحضور واليقظة، وليقرأ هذا الدعاء: اللهم كن وجهتي في كل جِد ومقصدي في كل قصد، وغايتي في كل سعي، وملجئي في كل شدة، وملاذي في كل هم ووكيلي في كل أمر، وتولني فيّ تولي محبةٍ وعناية في كل حال. ويكون دائماً متوجهاً للقلب الصنوبري كما قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[5].

(**وإذا كان له**) أي المريد (**بعد ذلك**) كله (**أمر**) مهم (**دنيوي**) منسوب إلى الدنيا (**كاكتساب معيشة**) إن كان من أصحاب الحرف (**توجه إليه**) أي إلى أمره ذلك (**مع**)

---

(١) رواه البخاري (١٠٩٦)، (٥٩٠٣)، وأبو داود (١٣١٥)، والترمذي (٤٤٢)، والنسائي (٣٢٠١).

(٢) سورة القصص آية: ٦٨.

(٣) سورة الروم آية: ٤٠.

(٤) سورة الأحزاب آية: ٣٦.

(٥) سورة النور الآية: ٣٧.

مصاحبة (**الحضور**) بقلبه في شهود الحق تعالى منزهاً عن مشابهة كل شيء (**واليقظة**) بجلاله تعالى وجماله.

(**ويقرأ**) في حالة توجهه (**هذا الدعاء**) وهو (**اللهم**) معناه يا الله (**كن وجهتي**) أي اظهر لي مواجهاً عند مواجهتي لكل شيء بحيث يصير ذلك الشيء مقدار رؤيتي لك وأنت أنزه وأعلى من مقدار ما ظهر لي في تلك المواجهة (**في كل جدٍ**) أي اجتهاد على شيء من الأشياء مطلقاً (**و**) كن (**مقصدي**) حتى لا أرى غيرك فلا أقصد إلا أنت وتصير الأشياء كلها في بصري وبصيرتى مقدار ما ظهر لي منك عند تجليك عليَّ وأنت لا شيء معك يشاركك في الوجود (**في كل قصد**) أقصده لشيء مطلقاً.

(**و**) كن (**غايتي**) أي آخر ما أريده من النتيجة (**في كل سعى**) أسعاه على كل حال (**و**) كن (**ملجئي**) موضع التجائي (**في**) وقت هجوم (**كل شدة**) ومصيبة عليَّ في الدنيا و الدين والآخرة (**و**) كن (**ملاذي**) أي منقذي ومجيري (**في كل هم**) أي حزن وكربة دنيا وآخرة (**و**) كن (**وكيلي**) أي النائب عني (**في كل أمر**) أمرتني به من فعل أو كف حتى تقوم أنت عن نفسي بجميع ما أردت منها على حسب ما تريد، فتبقى نفسي بمنزلة الآلة، والفاعل أنت والفعل فعلك، فإن أثبتَّ نفسي فبفضلك، وإن عاقبتَ فبعدلك.

(**وتولني**) أي كن والياً علي بحيث لا يبقى تصرف معك في نفسي ولا في غيري ويصير تصرفي هو تصرفك (**فيّ تولي محبة**) لي منك تبتدئني بها حتى أحبك كما قال تعالى: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[1] (**وعناية**) لي (**في كل حال**) من أحوالي.

ويكون ذلك المريد (**دائماً**) في شغله الدنيوي والأخروي (**متوجهاً**) بالذكر الخفي للقلب الصنوبري الذي في صدره يزعجه به عن سكونه إلى طبعه وجموده على مألوفه وعادته (**كما قال الله تعالى**) فيمن يشتغل بأمر المعاش ولا يغفل عن الله تعالى

---

(١) سورة المائدة آية: ٥٤.

سبحانه: ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ ﴾[1] أي لا تشغلهم ﴿ تِجَٰرَةٌ ﴾ أي معاملة رابحة ﴿ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾، بل هم في ذكر الله إن باعوا وإن اشتروا وهكذا سائر معاملاتهم لشهودهم الحق تعالى في كل شيء، فهم يتكلمون به تعالى معه رمزاً دائماً ولا يشعر بهم أحد، والناس يحسبون أنهم يتكلمون معهم وهم على كل حال معه لا مع أحد.

الخلوة والرابطة

وإذا فرغَ من مهماته الدنيوية توضأ وضوءً جديداً ودخل خلوتَه، وأول ما يجلس يستحضر صورة الشيخ، ثم يشتغل بوظيفته من المراقبة والذكر.

(**وإذا فرغ**) ذلك المريد (**من مهماته الدنيوية**) التي لابد منها بقدر الحاجة (**توضأ وضوءً جديداً**) غير وضوء الأول لتدنسه بالشغل الدنيوي ولو في الظاهر فقط (**ودخل خلوته**) على عادته من قبل (**وأول ما يجلس**) في خلوته (**يستحضر**) في قلبه (**صورة الشيخ**) على أكمل الأحوال ليحصل له المدد، فإن شيخَه بابُه إلى حضرة الله تعالى ووسيلةٌ إليه كما قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[2]، وقال: ﴿ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[3]، ولا قدرة للسالك في ابتداء سلوكه أن يعرف ربه حتى يسقط الواسطة بينه وبينه، وإذا لم يعرف ربه لا يمكنه أن يشهد بقلبه إلا مخلوقاً حادثاً، فمن شهده على أنه ربه تعالى فهو من الكافرين. فالواجب عليه أن يشهد شيخَه ويتصورَ صورته حتى يمتد[4] من الله تعالى بسبب تعظيم صورة شيخه المُمَدةِ منه تعالى ويبقى على ذلك حتى يحصل الفتح الإلهي بشهود شيخه.

---

(١) سورة النور آية: ٣٦.

(٢) سورة التوبة آية: ١١٩.

(٣) سورة المائدة آية: ٣٥.

(٤) أي يستمد.

نحن لا ننكر أن إسقاط الواسطة للمريد واستحضاره ربه تعالى هو الأكمل ولكننا نعلم عن يقين علماً ذوقياً وجدانياً، بحسب ما كنا عليه من قبل، أن هذا لا يمكن للمريد في ابتدا ء سلوكه أبداً بالضرورة، فإن جميع الخواطر وجميع المقاصد لا تقع إلا على مخلوق حادث يعرفه العارف ويجهله الجاهل وذلك المخلوق الحادث هو الرب عند الجاهل لعدم المعرفة ولا عذر في الكفر فيجب عليه اتخاذ الوسيلة ليفرق بين الحادث المقدور على إدراكه والقديم المعجوز عن إدراكه فرقا شهودياً وذوقياً لا خيالياً ثم بعد ذلك يسقط الواسطة.

ولهذا قالوا (**من لا شيخ له فشيخه الشيطان**) كما سبق، ومتى كان شيخه الشيطان كان في الكفر حتى يتخذ له شيخاً متخلقاً بأخلاق الرحمن. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾[1].

(**ثم يشتغل**) بعد ذلك (بوظيفته) على عادته (من) قبل من بيان الوظيفة (**المراقبة**) لله تعالى والذكر له تعالى على حسب ما سبق.

وأما صلاة الضحى فاثنتا عشرة ركعة، يقرأ في كل ركعة الفاتحة وسورة الإخلاص ثلاثاً ثلاثاً، ولا يصليها أقل من أربع ركعات، ولا ينبغي أن يصليَها في أول وقتها بل يؤخرها إلى أن يمضي ربع النهار كما في كتاب المشكاة عن زيد بن الأرقم ﷺ أنه رأى قوماً يصلون الضحى فقال قد: علموا أن الصلاة في غير هذا الوقت أفضل لأن رسول الله ﷺ قال:«صلاة الأوابين حين ترمض الفصال»[2] رواه مسلم. ومعنى الرمض شدة الحر في الصيف من وقع الشمس على الرمل ونحوه، أي إذا وجد

---

(١) سورة الزخرف آية: ٣٦.

(٢) رواه مسلم (١٢٣٧)، وأحمد في المسند (١٨٤٧٠) عن زيد بن أرقم أنه زيد بن أرقم رأى قوما يصلون من الضحى فقال «أما لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل، إن رسول الله ﷺ قال صلاة الأوابين حين ترمض الفصال».

الفصيل حرَّ الشمس انفصل عن أمه، والفصيل ولد الإبل. وبعد صلاته إذا حضر الطعام تناوله.

أما صلاة الضحى فاثنتا عشرة ركعة، يعني هذا أكثرها إن شاء، كل أربع ركعات بتسليمة يصلي على النبي ﷺ في التشهد الأول ويثني إذا قام إلى الثالثة وهو الأفضل كما مر وإن شاء كل ركعتين بتسليمة (**ويقرأ في كل ركعة**) من الاثنى عشر [(**بعد** قراءته][1] الفاتحة وسورة الإخلاص ثلاث مرات. وقال الفقهاء يقرأ فيها سورة ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴾ وسورة ﴿ وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ في كل ركعة شيئاً من ذلك (**ولا يصليها**) أي الضحى (**أقل من أربع ركعات**) لأن أقلها أربع ركعات، وقيل أقلها ركعتان، قال فى الغزنوية أقلها ركعتان.

وأكثرها اثنتا عشرة ركعة بثلاث تسليمات وإن شاء بست. وفى شرح الدرر: وندب أربعاً فصاعدا فى الضحى. قال الوالد ﷺ فى شرحه لما روت عائشة رضي الله عنها كما أخرجه مسلم وذكره في الإحياء وغيره أنه ﷺ كان يصلي الضحى أربع ركعات ويزيد ما يشاء[2].

(**ولا ينبغي**) للمريد (**أن يصليها**) أي الضحى أي أول وقتها وهو من ارتفاع الشمس إلى زوالها (**بل يؤخرها**) عن ذلك الأول (**إلى أن يمضي ربع النهار**) ويبقى منه ثلاث أرباعه، والمراد عند الابتداء شدة الحر كما جاء في كتاب المشكاة أي «مشكاة الأنوار» عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أنه أي زيد بن أرقم (**رأى قوماً من الناس يصلون**) صلاة الضحى بعد طلوع الشمس (**فقال**) رضي الله عنه (**قد علموا**) أن الصلاة أي صلاة الضحى (**في غير هذا**) الوقت أفضل ثم قال رضي الله عنه لأن رسول الله ﷺ قال صلاة الأوابين جمع أواب

---

(١) ساقط من (أ).

(٢) رواه مسلم (١١٧٥)، وأحمد في المسند (٢٣٤٩٧).

من آب إذا رجع أي الراجعين من أنفسهم إلى الله تعالى وهي التوبة الحقيقية من جميع الذنوب، قال الله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾[1] ولو سموا أوابين لرجوعهم إلى حقيقة الأمر بزوال الوهم عن بصائرهم فإن نفوسهم من أصل خلقتها لله تعالى لا لهم، فإذا كانوا في جاهليتهم زعموا أنهم مستقلون بنفوسهم فإذا سلموا لله تعالى رب العالمين سلموا أنفسهم له تعالى فكانوا أوابين فيغفر لهم ما سلف منهم. وتسمى سِتُّ الركعاتِ التي بعد صلاة المغرب صلاةَ الأوابين أيضاً، ولا تخصيص لها بهذه التسمية، فإن حديثها لا يقتضي ذلك، وهو ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى بعد المغرب ست ركعات كتب من الأوابين»[2] (و) من للتبعيض

(حتى ترمض) تدخل في الرمض، **(الفصال)** جمع فصيل **(رواه)** الإمام **(مسلم)** في صحيحه، ولفظ الحديث فيما أخرجه مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه من قوله ﷺ: «صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال»، قال ابن الملك في «شرح المشارق»: أي احترقت أخفافها، وفيه إشارة إلى مدحهم بصلاة الضحى في الوقت الموصوف، لأن الحر إذا اشتد عند ارتفاع الشمس تميل النفوس إلى الاستراحة فيرد على قلوب الأوابين المستأنسين بذكر الله تعالى أن ينقطعوا عن كل مطلوب سواه وإنما عبر عن ذلك الوقت بقوله: إذا رمضت الفصال لرقة جلود أخفافها لأنها تنفصل عن أمهاتها عند ابتداء شدة

---

(١) سورة الإسراء آية: ٢٥.

(٢) لم نجده بهذا اللفظ، وإنما ورد هذا اللفظ في صلاة الضحى لا المغرب كما رواه عبد الرزاق في مصنفه (٤٨٧٨) عن سعيد بن جبير ومجاهد موقوفاً: من صلى الضحى ثمان ركعات كتب من الاوابين (إنه كان للاوابين غفورا). والمأثور في الركعات الست التي تلي المغرب ما رواه ابن ماجة (١٣٦٤)، والطبراني في الكبير (٣٢٩)، أنه ﷺ قال: من صلى ست ركعات بعد المغرب لم يتكلم بينهن بسوء عدلت له عبادة اثنتي عشرة سنة. واللفظ لابن ماجة. وفي أوسط الطبراني (٨٣١)، وصغيره (٩٠١)، بلفظ: من «صلى بعد المغرب ست ركعات غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر».

الحر فتتركها (**ومعنى الرمض شدة الحر**) في الصيف من وقع أي انبساط شعاع الشمس على الرمل ونحوه معنى التراب أو الصخر، ومنه سُميَ رمضان لأن صومه فرض في شهر شديد الحر أي إذا وجد الفصيل حر الشمس لرقة جلد خفه انفصل عن أمه كما ذكرنا. والفصيل هو ولد الإبل أي الناقة من الإبل، والإبل اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى وليس له واحد من لفظه وإنما يقال في الواحد جمل أو بعير وفي الأنثى ناقة أو مطية.

(**وبعد صلاته**) أي أدائه صلاة الضحى (**إذا حضر الطعام**) عند تناوله بقصد التقوية على طاعة الله تعالى وامتثالاً لأمره تعالى بقوله:﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ ﴾[1]. ومن سنن الطعام البسملة في أوله والحمد في آخره إذا كان من حِلٍّ. أما إذا كان من حرام فنصوا على أنه يكفر. فإن نسي البسملة في أوله فليقل إذا تذكر: «بسم الله على أوله وآخره»، بجميع ذلك ورد الأثر وهو شُكْرُ المؤمنِ إذا رُزق. قال ﷺ «إن الله تعالى يرضى من عبده المؤمن إذا قدم إليه طعام أن يسمي الله تعالى في أوله ويحمده في آخره»[2].

ومن سننه أن يغسل يديه إلى الرسغين قبله وبعده، ولا يكفي في إقامة السُنَّة غسلُ يدٍ واحدة ولا غسلُ أصابع اليدين إلى الرسغين. قال ﷺ «الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم ويُصِحُ البصرَ»[3]. والمراد بالوضوء غسل اليدين وباللمم صغار الذنوب. والأدب أن يبدأ بالشباب قبله وبالشيوخ بعده لأنه إذا ابتدأ بالشيوخ احتاجوا إلى انتظار الشباب للأكل وانتظار الشباب لهم أولى وإذا غسل يديه قبل الطعام لم يمسح

---

(١) سورة البقرة آية: ٦٠.

(٢) لم نجده بهذا اللفظ والصحيح فيه ما رواه مسلم (٤٩١٥)، والترمذي (١٧٣٨) وأحمد في المسند (١١٥٣٥) عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها». وفي التسمية عنه ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل بسم الله أوله وآخره. رواه أبو داود (٣٢٧٥)، والترمذي (١٧٨١) بنحوه.

(٣) رواه الشهاب القضاعي (٣٠٠).

بالمنديل لكن يتركه حتى يجف ليكون أثر الغسل باقياً وقت الأكل ويمسحها بعده ليزول أثر الطعام بالكلية. ومن السنن أن لا يأكل الطعام من وسطه ابتداء. ومن السنن أن يلعق أصابعه قبل أن يمسحها بالمنديل، ومن السنن أن يلعق القصعة وأن يبدأ بالملح ويختم به، كذا في الخلاصة وغيرها، نقل ذلك كله والدي رحمه الله في شرحه على شرح الدرر عن كتب عديدة تركنا ذكرها لقصد الاختصار.

ونقل أيضاً أن من قدر على الكسب لزمه أن يكتسب، وإن عجز لزمه السؤال فإنه نوع إكساب من الكسب لكن لا يحل إلا عند العجز. قال ﷺ: «السؤالُ آخرُ كسب العبد فإن تركه حتى مات أثم»[1] لأنه ألقى نفسه للتهلكة، فإن السؤال يوصله إلى ما تقوم به نفسه في هذه الحالة كالكسب. ولا ذل في السؤال في هذه الحالة فقد أخبر الله تعالى عن موسى وصاحبه أنهما أتيا أهل قرية استطعما أهلها، وقال ﷺ لرجل من أصحابه: «هل عندك شيء نأكله»[2]. ومن كان له قوت يومه لا يحل له السؤال.

وإن أكل مع الأصحاب كان حسناً، وإلا فمع أهله وأولاده، ولا يأكل وحده بقدر الإمكان.

(**وإن أكل**) **ذلك المريد** (**مع الأصحاب كان حسنا**) لأن ذلك نوع إيثار وعدم تخصيص نفسه **بأكل شهوته وحده** وبعداً عن كراهة السكوت حالة الأكل (**وإلا**) أي وإن لم يأكل مع الأصحاب لعدم تيسر ذلك (**فمع أهل بيته**) أي زوجته أو أحد محارمه (**وأولاده**) الذكور والإناث (**ولا يأكل وحده بقدر الإمكان**) فإن البركة بأيدي المؤمنين وفي الأثر «إن يد الله مع الجماعة»[3].

---

(١) ذكره السرخسي في المبسوط (٣/ ٤٠٣) دون لفظ فإن تركه...، ولم نجده في سواه.

(٢) لم نهتد إليه في شيء من كتب السنة وهو في بعض كتب الشيعة بلا إسناد.

(٣) رواه الترمذي (٢٠٩٢)، والبيهقي في الشعب (٧٢٥٣)، وابن حبان (٤٦٦٠).

وبعد ذلك يقَيِّلُ، ثم يحضر المسجد أول وقت الظهر لصلاة الجماعة، ثم إن كان له شغل قضاه إلى صلاة العصر، ثم يحضر المسجد في أول الوقت أيضاً لصلاة العصر جماعة، ويجلس بعد صلاة العصر في مكانه ويشتغل بوظيفته الباطنية، ولا يضيع هذا الوقت بقدر الإمكان ويحاسب نفسه فيه.

(**وبعد**) ذلك الأكل المذكور (**يقيل**) أي ينام في وقت القيلولة وهي شدة الحر فإن فيها راحة البدن (**ثم**) إنه (**يحضر إلى المسجد**) في أول وقت الظهر لصلاة الظهر مع الجماعة ثم إن كان له شغل من أمر الدنيا أو الدين (**قضاه**) من بعد صلاة الظهر إلى أول وقت صلاة العصر، ثم إذا دخل وقت صلاة الظهر (**إلى**) أول وقت (**صلاة العصر ثم**)، إذا دخل وقت صلاة العصر (**يحضر**) إلى (**المسجد**) في أول (**الوقت أيضاً لصلاة العصر مع الجماعة ويجلس بعد صلاة العصر في مكانه**) ذلك (**ويشتغل بوظيفته الباطنية**) التي هي المراقبة والذكر الخفي. (**ولا يضيع هذا الوقت**) الذي هو بعد أدائه الصلاة الوسطى صلاة العصر إلى الغروب بل يشتغل فيه بإكمال ما عنده من الوظيفة المذكورة (**بقدر الإمكان**) أي ولو بعض هذا الوقت (**ويحاسب نفسه فيه**) على ما فرط منه من الذنوب والمخالفات بأن يتذكرها واحدة واحدة ويتوب عنها. قال تعالى: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[1] وقال النبي ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»[2].

وحفظ ما بين العشائين عندهم من أهم المهمات وبعد صلاة العشاء الأخيرة يقرأ في إثرها (قل يا أيها الكافرون) وسورة الإخلاص والمعوذتين وآخر سورة الحشر وآخر سورة البقرة مع الحضور، وينام مشتغلاً بالذكر، ويقول قبل نومه هذا الاستغفار ثلاثاً: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه.

---

(١) سورة الحشر آية: ١٨.

(٢) تقدم تخريجه.

(وحفظ ما بين العشائين) أي بين المغرب والعشاء على سبيل التغليب كالقمرين الشمس والقمر، والعمرين لأبي بكر وعمر ﵄ **(عندهم)** أي عند السادة النقشبندية **(من أهم المهمات)**. قال بعض العلماء ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾[1] هي ما بين المغرب والعشاء. وعن عائشة ﵂ عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى بين المغرب والعشاء عشرين ركعة بنى الله تعالى له بيتاً في الجنة»[2] رواه ابن ماجة. وقال ﷺ «من صلى بعد المغرب ست ركعات كتب من الأوابين وتلا قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا﴾[3]». وهذه الست ركعات صلاة الأوابين إن شاء حسب منها ركعتين سنة المغرب وإن شاء صلاها ست ركعات مستقلة وإن شاء بتسليمة واحدة وإن شاء كل ركعتين بتسليمة كما بينته في كتاب «نهاية المراد».

(وبعد صلاة العشاء الأخيرة يقرأ في إثرها) أي عقبها من غير فصل والمراد بعد صلاة الركعتين سنة العشاء المؤكدة سورة **(قل يا أيها الكافرون وسورة الإخلاص والمعوذتين)** وهما سورة قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس **(وآخر سورة الحشر)** وهو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾[4] إلى آخر السورة **(وآخر سورة البقرة)** وقوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[5] إلى آخر السورة **(مع)** ملازمة **(الحضور)** والخضوع والسكينة في القلب والجوارح.

(و) بعد ذلك **(ينام مشتغلاً بالذكر)** الخفي والمراقبة لله تعالى على عادته في اليقظة **(ويقول قبل نومه)** بلسانه **(هذا الاستغفار ثلاثا)** أي ثلاث مرات متواليات **(أستغفر**

---

(١) سورة المزمل آية: ٦.

(٢) رواه ابن ماجة (١٣٦٣) من حديث السيدة عائشة ﵂.

(٣) سورة الإسراء آية: ٢٥، والحديث تقدم تخريجه قريباً.

(٤) سورة الحشر الآية: ٢٢.

(٥) سورة البقرة الآية: ٢٨٤.

الله) أي أطلب المغفرة منه تعالى لجميع ذنوبي الظاهرة والباطنة (**الذي لا إله**) أي لا معبود بحق (إلا هو) الحي بحياة قديمة باقية (**القيوم**) الذي قام به كل موجود وثبت وتحقق به كل مشهود (**وأتوب إليه**) من جميع ذنوبي ما علمت منها وما لم أعلم.

وهذه أحوال الصوفية ذوي الشغل، لا الصوفِي الفارغ البال، فإن ذلك ينبغي له أن يكون في ليله ونهاره مستغرقاً في المشاهدة ومستهلكاً في الحق، كما قال الشيخ أبو العباس القصاب: عندي لا مساء ولا صباح، فإن باطنَه غارقٌ في لجة بحر الفناء، وظاهره حاضر لما يصدر له من الأحوال والأفعال.

أعمال الصوفي المتجرد

(**وهذه**) الأعمال المذكورة كلها من الأوراد وظائف العبادات (**أحوال الصوفية ذوي الشغل**) في الدنيا من حرفة أو معاملة مع الخلق أو سياسة عامة أو دعوة إلى الله تعالى بتقرير أحكامه الاعتقادية والعملية (**لا الصوفي الفارغ البال**) الذي أقامه الله تعالى في مقام التجرد عن كل ما ذكر وقطعه عن العلاقات جميعها (**فإن ذلك**) الصوفي المذكور (**ينبغي له أن**) لا يترك نفسه ملعبة للشيطان مع العافية وفراغ البال بل يكون في ليله ونهاره (**مستغرقاً**) في بحار (**المشاهدة**) الإلهية على التنزيه المطلق (**ومستهلكاً**) أي فانياً مضمحلاً في وجود (**الحق**) سبحانه وتعالى مع مراعاة أمره تعالى ونهيه على حسب قدرته وطاقته من ذلك (**كما قال الشيخ أبو العباس القصاب**) ﷺ أي بالنسبة إلي قد انطوى بساط الزمان لدخولي في شهود حضرة الأزل بحيث صار لا مساء موجودٌ في شهودي (**ولا صباح**) وتساوت الأنوار والظلم، ويرجع اللوح إلى حقيقة القلم.

(**فإنه**) أي أبا العباس المذكور صار (**باطنه**) أي بسبب شهوده ربه (**غارقاً في لجة**) أي وسط (**بحر الفناء**) عن الوجود في التوحيد المشهود (**وظاهره**) أي إدراك حواسه الظاهرة (**حاضر**) أي مستحضر مستيقظ (**لما يصدر له**) في اليوم والليلة (**من الأحوال**) كالرضا والغضب والحزن والفرح ونحو ذلك (**والأفعال**) كالعبادات والمباحات.

وهذه مرتبة الكاملين من الرجال: لا يشتغلون بشهود الحق عن شهود الخلق عن شهود الحق تعالى ولا بشهود الخلق عن شهود الحق فهم ورثة الأنبياء في العلوم والأحوال والقائمون بما هو المطلوب منهم على كل حال.

وأهل الفناء والبقاء بعد الطلب والمجاهدة تفردوا بالوصول إلى طمأنينة الوجدان والسرور والمشاهدة وهم في عين المراد، رجعوا عن ذلك المراد ورأوا المقامات والكرامات حجاباً، وأبعدوا مشرب القلب عن كل حظ جسماني وروحاني.

(**وأهل**) أي أصحاب (**الفناء**) في الشهود (**والبقاء**) بالوجود من حضرة الجود (**بعد**) كمال (**الطلب**) لمقامهم ذلك المشهود، (**والمجاهدة**) في نفوسهم على الوصول إليه بغاية المجهود.

(**تفردوا**) دون غيرهم بالوصول إلى طمأنينة الوجدان أي التحقق القلبي بوجود الحق تعالى، (**والسرور**) بذلك أي الفرح به ورؤية المنة بذلك عليه من الله تعالى فوق كل منة (**والمشاهدة**) أي الرؤية بعين القلب بجمال تجلي الرب.

(**وهم**) أي أهل الفناء والبقاء حاضرون (**في عين المراد**) أي المطلوب لهم (**رجعوا عن ذلك**) المراد إلى أحوالهم السابقة وأعمالهم المطابقة بغير مراد لهم فإنهم يشهدون الحق تعالى من غير غفلة عنه ولا يشهدونه بل هو الذي يشهد نفسه بنفسه في حضرة قدسه. فبعد أن جاهدوا في أنفسهم حتى عرفوه تركوا أنفسهم في معرفته فتركوه في تركهم أنفسهم فكان هو الشاهد والمشهود.

(**ورأوا المقامات**) كلها التي كانوا فيها كالزهد والورع والتوكل والتقوى والصبر والاعتصام ونحو ذلك (**والكرامات**) التي أكرمهم الله تعالى بها في الدنيا كطي مسافات المكان والزمان وإطاعة الوجود لهم ونحوه (**حجاباً**) لقلوبهم **عن** حضرة الله تعالى لأن تلك المقامات تقتضي ثبوت النفس مع الله فإن الزهد بغير زاهد لا يكون، وكذلك الورع بلا متورع، والتوكل بلا متوكل، والتقوى بلا متقٍ ونحو ذلك.

وثبوت النفس لضرورة قيام هذه المقامات بها يقتضي قيام الحجاب عن شهود الله تعالى والمقصود هو الله تعالى لا هذه المقامات وكذلك الكرامات تقتضي إفراد المكرم بها وهو النفس، والنفس خبيثة لا يليق بها الكرامة بل لا يليق بها الوجود مع الحق، فإذا زالت النفس زالت هذه الحجب كلها وهي الحجب النورانية، وحظوظ النفس هي الحجب الظلمانية وهي مقتضيات الجسم، وتلك المقامات مقتضيات الروح.

(وأبعدوا) أي أهل الفناء والبقاء **(مشرب)** أي موضع [تشرب][1] **(القلب)** عن حضرة الرب سبحانه وتعالى **(عن كل حظ)** أي نصيب ومطلوب **(جسماني)** أي منسوب إلى الجسم وهي الحظوظ النفسانية وهي الحجب الظلمانية **(و)عن كل حظ (روحاني)** أي منسوب إلى الروح وهي الحظوظ الروحانية وهي الحجب النورانية.

والوصول إلى مرتبة الفناء علامة الوصول إلى حقيقة محبة الذات، ومقام الفناء موهبة محضة واختصاص إلهي، والسنة الإلهية جارية على أن العطاء المحض الذي هو حقيقة الموهبة لا يكون عارِيَّةً[2]، فلذلك كان لا رجوعَ فيه، ولذلك قالوا: الفاني لا يرد إلى أوصافه. قال ذو النون المصري قُدِسُ سِرُه: ما رجع من رجع إلا من الطريق، وما وصل إليه أحد فرجع عنه[3].

(والوصول إلى مرتبة الفناء) عن نوعي الحظوظ المذكورة لشهود حضرة الحق تعالى إنما ذلك علامة الوصول إلى حقيقة محبة الذات الإلهية العلية ومقام الفناء **(موهبة)** من الله تعالى للمريد **(محضة)** أي خالصة لا تحصل بعمل ولا كسب فكم من سالك فاته معرضٍ أدركه **(واختصاص إلهي)** يحصل لمن أراد الله تعالى قال الله تعالى:﴿يَخْتَصُّ

---

(١) ساقط من (أ).

(٢) أي شيئاً معاراً يرد بعد حين إلى مالكه الأصلي.

(٣) ذكره أبو نعيم في الحلية وعزاه إلى سيدنا أبي سليمان الداراني (٤/ ١٧٥)، وعزاه مرة أخرى إلى مضاء بن عيسى (٤/ ٢٤٨)، ومدار الإسنادين على سيدي أحمد بن أبي الحواري.

بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾[2]،وذلك لأن الولي المرشد بيد الله تعالى، والله تعالى فعال لما يريد.

(**والسنة**) أي الطريقة (**الإلهية**) أي المنسوبة إلى الإله الحق عز وجل (**جارية**) في خلقه غير منقطعة (**على أن العطاء المحض**) أي الخالص من شائبة المكر وهو حصول مقام الفناء المذكور بخلاف مجرد اللوائح والروائح والطوالع والغوارب التي تكون للسالك في ابتداء سلوكه فإنها قد تكون عارية فتسلب منه

(**الذي هو**) أي ذلك العطاء (**حقيقة الموهبة**) الإلهية (**لا يكون عارية**) عند المريد أبداً بل هو عطية لزمه الله تعالى بدليل كمال التحقق في ذلك المقام (**ولذلك**) أي لكونه عطية لا عارية (**كان لا رجوع**) للحق تعالى (**فيه**) أي في ذلك العطاء (**ولذلك قالوا**) أي المشايخ المحققون (**الفاني**) في حضرة شهود الحق تعالى على التحقيق (**لا يُرد**) أي لا يرجعه الله تعالى بعد ذلك الفناء (**إلى أوصافه**) البشرية التي كان فيها من قبل، والمراد أنه تعالى لا يردُه رداً لا رجوعَ بعده، وإلا فالمحمديون الكاملون يفنون ويُردون إلى أوصافهم في اليوم والليلة مائة مرة تحقيقا لإرث النبي ﷺ حيث قال:«إنه ليغانُ على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» وفي رواية «سبعين مرة»[3] والمراد التكثير لا العدد.

(**وقال ذو النون**) المصري (**قدس سره**) فيما يؤيد ما ذكر (**ما رجع**) من السالكين إلى أوصافه (**من**) أي الذي (**رجع**) من الناس (**إلا من الطريق**) قبل الوصول إلى حضرة الشهود والتحقق بمقام الفناء التام (**ولو وصل**) ذلك الراجع إلى ما ذكرنا (**ما رجع**)

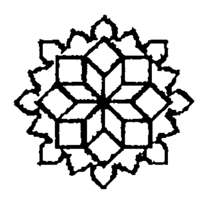
---

(١) سورة البقرة آية: ١٠٥.

(٢) سورة الأعراف آية: ١٧٨.

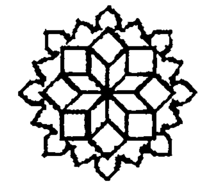
(٣) تقدم تخريج الروايتين.

عما كان فيه من الحقيقة لأن شهوده حينئذ يصير ضرورياً وإدراكه أمراً وجدانيا والضروري والوجداني من الإدراك لا يمكن الامتناع منه بخلاف الإدراك الاستدلالي والفكري فإنه إذا اشتغل عنه فاته.



الفصل الخامس

في بيان الفناء والبقاء



سألوا حضرة الخواجة نقشبند قدس الله سره عن الفناء على كم وجه؟ فقال: على وجهين، وإن قال الأكابر إنه أكثر من ذلك، لكن يرجع الكلُ إلى هذين الوجهين: الأول الفناء عن الوجود الظلماني الطبيعي، والثاني الفناء عن الوجود النوراني الروحاني.

(**فصل في**) بيان (**الفناء**) في الحق (**والبقاء**) بالحق تعالى (**سألوا**) أي المريدون (**حضرة الخواجة**) أي الشيخ بهاء الدين (**النقشبندي**) المذكور فيما سبق (**قدس الله سره عنه: الفناء على كم وجه؟**) – أي كم قِسمٍ – هوَ؟ (**فقال**): الفناء (**على وجهين**) فقط، (**وإن قال الأكابر**) من المشايخ (**إنه**) أي الفناء (**أكثرُ من ذلك**) أي من وجهين لكن يرجع الكل أي الجميع من الوجوه والأقسام التي ذكروها (**إلى هذين الوجهين**).

أما الوجه (**الأول**) فهو (**الفناء**) أي الاضمحلال والذهاب بالكلية (**عن الوجود الظلماني**) أي وجود ذات المريد الذي هو ظلمة بحيث لا يتبين فيه ظهور الحق تعالى بنظره إلى ما أدرك من ذاته من حيث أنها ذاته مع الغفلة عنه كونه كله فعلاً من أفعال الحق، فإذا ذهب المريد عن هذا الوجود المذكور بشهود الحق تعالى فيما كان يشهده من قبل من ذاته اضمحلت ذاته بالكلية فزال عنه الوجود الظلماني (**الطبيعي**) أي المنسوب إلى الطبيعة، وهي من الطبع بمعنى النقش اللازم على صورة واحدة في إدراك البصر والبصيرة، بحيث إن الطبيعي كلما أدرك ذاتَه أبصرها متكيفة بكيفية واحدة ملازمةً لها لا تنفك عنها على مرور الأوقات والأزمان فينتقش في ذهنه أن الذي أدركه من تلك الكيفية الملزمة بصورة واحدة ذاته فيجمد على إدراكها فيسمى ذلك طبعاً وينتمي وجوده وجود طبيعياً.

وفي حقيقة الأمر لا طبع وإنما ظهورٌ إلهي أنتج حقيقة روحانية رائحةً[1] من العدم إلى الوجود إلى العدم، متكررةً كلمح البصر، متشكلةً في صورٍ وكيفياتٍ مختلفةٍ،

---

(١) من راح أي ذاهب، والمعنى تنقل الروحانية بين العدم والوجود.

والإدراك كيفية من كيفياتها، يتبدل إلى كيفية في وقت العلم غير الكيفية في وقت الجهل، وهكذا جميع الوجود، فالتحقق بذلك هو الفناء عن الوجود الظلماني الطبيعي.

(و) أما الوجه **(الثاني)** فهو **(الفناء)** أي الاضمحلال والذهاب بالكلية وهو أعلى من الأول لأنه لا يكون إلا بعده فهو أرقى منه وهو فناء الفناء. فجميع ما يظهر لك من تجلي الحق تعالى في الفناء تفنيه في هذا الوجه الثاني حتى يفنى فناؤك الأول فتشهد ما فنيت عنه في ما فنيت فيه، وهذا هو البقاء بعد الفناء. وإنما سمى الفناء الثاني لأن فيه فناء الفناء الأول، وإن كان فناء الفناء بقاءً، كما أن نفى النفي إثبات.

(عن الوجود) الذي شهدته بعد ذهاب وجودك الظلماني الطبيعي وهو وجود الحق تعالى الظاهر لك من حيث أنت مشاهد له **(النوراني)** أي الذي لا تبقى معه في الوجود ظلمة شيء مطلقاً فهو الظاهر لك بعد ذهاب ظلمة طبعك عن عين بصيرتك كما ذكرنا، ففيه ترى الحق تعالى ظاهراً في جميع الوجود لا يخلو عنه ظهور شيء مطلقا، وفيه تفهم قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1] إلا به ونحو ذلك من مشكلات الأمور بلا تأويل لشيء من ذلك.

لكن ذلك كله ظهور منه بحيث أنت، لا من حيث هو الحق عز وجل فهو ظهور استعدادك من حيث إدراكك لظهور الحق تعالى، لا ظهور الحق تعالى من حيث ما هو عليه في أزله فلابد من فنائك عنه واضمحلاله فيك حتى يظهر لك الحق سبحانه وتعالى من حيث هو ظهوراً حقياً حقيقياً من غير تعمل منك من حيث وجودك **(الروحاني)** المنسوب إلى الروح الذي هو من أمر الله بلا واسطة وهو مخلوق فلابد من الفناء عنه لشهود الله بالله لا بالروح، فإن الروح لا يشهد من الله تعالى إلا على مقدار استعداده فالمشهود له استعداده حينئذ لا الله تعالى كما ذكرنا.

---

(١) سورة النور آية: ٣٥.

والحديث النبوي ناطق بهذين الوجهين: «إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة»[1].

وقال الجنيد ﷺ ما عرف الله إلا الله. وهذه هي المعرفة الصحيحة. (**والحديث النبوي**) الوارد عنه النبي ﷺ (**ناطقٌ**) أي مصرحٌ (**بهذين الوجهين**) المذكورين في الفناء وذلك قول النبي ﷺ: «إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة»، لعل السبعين للتكثير لا للعدد كما قال تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[2] ومثل السبعة في إرادة الكثيرة، قال: ﴿مِنْ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾[3] الآية. وأخرج الإمام السيوطي ﷺ في الجامع الصغير قال رسول الله ﷺ: «سألت جبريل هل ترى ربك قال إن بيني وبينه سبعين حجاب من نور لو رأيت أدناها لاحترقتُ»[4].

وقال الشارح المناوي ﷺ في شرح هذا الحديث: ذكر السبعين ليس للتحديد بل عبارة عن الكثرة، لأن الحجب إذا كانت أشياء حاجزة، فالواحد منها يحجب والله لا يحجبه شيء والقدرة لا نهاية لها. وإن كانت الحجب عبارة عن الهيبة فالأعداد دونها منقطعة بكل حال، والغايات مرتفعة، وكيف تكون السبعين غاية مع خبر «إن دون الله يوم القيامة سبعين ألف حجاب»[5]؟! والنور وإن كان سبباً لإدراك الأشياء ورؤيتها لكنه يحجب كالظلمة، والحاجب القدرة دون الجسم.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٥٦٧٠)، وابن أبي حاتم بنحوه (١٩٩٤)، وأبو يعلى بنحوه كذلك (٧٣٥٩).

(٢) سورة التوبة آية: ٨٠.

(٣) سورة لقمان آية: ٢٧.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٦٥٩٤)، وابن أبي شيبة في العرش وما روي فيه (٧٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٢٥٩).

(٥) رواه الطبراني في الكبير (٥٦٧٠) دون ذكر يوم القيامة، ولفظه عنده: «إن الله عز وجل دون سبعين ألف حجاب من نور وظلمة، وما يسمع من نفس شيئا من حس تلك الحجب إلا زهقت».

(من نور) إشارة إلى الحجب النورانية الروحانية التي هي كناية عن الوجود النوراني الروحاني كما ذكرنا، (ومن ظلمة) إشارة إلى الحجب الظلمانية الطبيعية التي هي كناية عن الوجود الظلماني الطبيعي.

واعلم أن الإنسان له وجودان حقيقيان لا خياليان، لأن أحدهما وهو الأول في إدراكه وفيه كل إنسان عند نفسه قبل معرفتها وهو الغالب في هذا النوع الإنساني إلا من كان من أهل العناية الربانية، وهو الوجود الظلماني وسببه جمود البصيرة والبصر على إدراك ما تدركه الأطفال في ابتداء إدراكها ثم الاعتياد على ذلك والرسوخ فيه[1]. والثاني وهو بعد الأول في الإدراك وفيه أهل العناية والتوفيق وهو الوجود النوراني وسببه زيادة التصديق والإذعان وكثرة التسليم بالقلب، والإيمان والطمأنينة والإيقان، والاعتراف ظاهراً وباطناً بالعجز والقصور عن معرفة أهل الشهود والعيان، وتخطئة النفس في جميع ما تدركه وتفهمه من الاعتقادات الإلهية والنبوية والأخروية الواردة في السنّة وفي القرآن، فإن الله تعالى لا يعلمك من علمه إلا إذا تركت علمك وعلمك ليس بعلم كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[3]، فكما أن وجودك النوراني من نور نبيك ونور نبيك من نور الله، وسر وجودك الظلماني من ظلمة نفسك، وظلمة نفسك من ظلمة الشيطان، والشيطان عدو الرحمن وصديق العدو عدو، وصديق الصديق صديق.

وعلمك في الوجود الظلماني من علم إبليس عليه اللعنة وعلمك في النوراني من علم النبي ﷺ وهو من علم الله تعالى، فلا يمكن أن تعلم وجودك النوراني وتصل إليه

---

(١) وهذا قريب من كوجيتو ديكارت الذي هو عبارة عن القضية الشهيرة: أنا أفكر إذن أنا موجود، وهو عند الإمام النابلسي إدراك ظلماني ناتج من الجمود على ما تدركه الأطفال في ابتداء الإدراك! وأعلى منه الوجود النوراني الذي يقوم على التسليم والتصديق بالقلب.

(٢) سورة البقرة آية: ٢١٦.

(٣) سورة الأحقاف آية: ٢٣.

إلا إذا تركت علمك الظلماني الطبيعي، ولا يمكن أن تعلم ربك العلم التام وتـصل إلى معرفته تعالى وشهوده، إلا إذا تركت علمَك النورانيَ أيضاً ووجودَك الروحانيَ، فتـزول عنك جميع الحجب وتشهد الأمر على جليته من غير شبهة.

فالفناء الأول هو أنه بواسطة ظهور الحق تعـالى يـذهب الـشعور بالـسوى، أعنـي موجودات العالم الظلماني، والفناء الثاني هو فنـاء الفنـاء، وهـو أن يـذهب الـشعور بالفناء أيضاً لا يبقى للوجود الروحاني منه شعور، لأن الشعور من صفات الوجـود الروحاني، لأنها صفة لازمة، فإذا ذهب الشعور بالـشعور لـزم أن يـذهب الوجـود الروحاني في هذا المقام.

(**فالفناء الأول**) الذي هو فناء عن وجود الظلماني (**هو أنه**) يكون المريد (**بواسطة ظهور الحق تعالى**) حتى (**يذهب**) من قلبه (**الشعور**) أي الإدراك أو العلم (**النبوي**) أي بسوى الله تعالى (**أعنى**) بجميع (**موجودات العالم**) بفـتح الـلام (**الظلـماني**) وهـو عـالم الأجسام والصور، فإنه كله ظلمة إذ لا ظهور للحق فيه إلا غيباً لا عينـاً، ولهـذا سـمى ظلمانيا، بخلاف الوجود النوراني فإن الحق ظاهر فيه عينا.

(**والفناء الثاني**) وهو الفناء عن الوجود النوراني (**هو فناء الفناء**) كما ذكرنا (**وهـو أن يذهب**) من قلب المريـد (**الـشعور**) أي الإحـساس (**بالفنـاء أيـضاً**) أي كـما ذهـب الشعور في الفناء الأول بالسوي فلا يبقـي في المريـد (**للوجـود الروحـاني منـه شـعور**) وإحساس مطلقاً وذلك (**لأن الـشعور مـن صـفات الوجـود الروحـاني**) لأنـه صـورة الروح، فإذا ذهبت صورتها، ذهب كونُها روحا، فتصير نورَ الأنوار لأنها (**صفة لازمـة**) للروح، إذ به تسمى الروح روحاً، فإذا زالَ بطل كونُها روحا.

ولهذا قال: (**فإذا ذهب**) عن الروح (**الـشعور بالـشعور**)، وهـو الـشعور بالفنـاء الذي هو شعور بعدم السوي (**لزم**) من ذلك (**أن يذهب الوجود الروحاني**) ويضمحل بالكلية فيظهر أمر الله تعالى حينئذ الذي به قيام كل شيء وهو القـرآن مـن جهـة جمعـه،

وهو الفرقان من جهة فرقه بين الحقائق المختلفة، وهو الرحمن من حيث التجلي والظهور بالآثار، وهو الله تعالى من حيث الذات الجامعة لجميع الصفات، وهو الحق من جهة بطلان جميع ما سواه بالنسبة إليه، وله حضرات أخرى من ذلك (في هذا المقام) المذكور الذي هو فناء الفناء.

ويكون الروح ذاكراً والقلب ساجداً، وصحبة السالك في هذا المقام صحيحة، وأما تربيتُه وطلبه للمريد فهو غير صحيح.

وذكر القلب هو أن يكون الحضور مع الحق تعالى والحضور مع الخلق بالنسبة إليه سواء، يعني أنه يجمع هذا مع هذا.

وذكر اللسان لا يحتاج إلى بيان.

وذكر الروح هو أن يكون الحضور مع الحق عز وجل غالباً على الحضور مع الخلق.

وذكر السر هو أن لا يكون له حضور مع غير الحق تعالى، ولا يكون له خبر من الكون.

(**ويكون الروح**) الإنساني (**ذاكراً**) الله تعالى ذكراً كثيراً بالله لا به، لله لا له، (**ويكون القلب ساجداً**) لله تعالى (**سجوداً**) اقترابيا كما قال تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب۩﴾[1] واعلم أن معنى السجود لشئ إرجاع الو جود إلى أصله حتى يظهر ذلك الشيء، إذ السجود لله تعالى أن تضع وجهك ويديك وركبتيك وقدميك في التراب إرجاعاً لك كلك إلى أصلك الذي خُلِقت منه مكتفياً ببعض أعضائك عن بعض، **وسجود قلبك بوضع وجهه في الروحانية الكلية السارية في جميع العالم العلوي والسفلي بحيث ينمحق في ذلك كقطرة ماء وقعت في نهرٍ جارٍ فإنها تضمحل فيه بالكلية ولا يمكن بعد ذلك تمييزها منه** وقد حققناه في شرح العينية للجيلي.

---

(١) سورة العلق آية: ١٩.

(**وصحبة**) أي ملازمة الشيخ (**السالك في هذا المقام**) الذي هو فناء الفناء صحبة (**صحيحة**) لكل مريد نافعة كل النفع (**وأما تربيته**) أي تربية السالك في هذا المقام للمريد تعليمه له كيفية السلوك اعتقاداً وعملاً (**وطلبه**) أي طلب ذلك السالك في هذا المقام (**للمريد**) ليدعو إلى الله تعالى على بصيرة (**فهو**) أمر (**غير صحيح**) لأنه لا يمكنه التصرف في نفسه وهو في ذلك المقام، فكيف يملك التصرف في غيره فلا يمكنه التربية ولا طلبه للمريد.

(**وذكر القلب**) للرب تعالى (**هو أن يكون**) عنده (**الحضور مع الحق**) تعالى بمراقبته وشهوده (**والحضور مع**) سائر (**الخلق**) بملاحظتهم ومشاكلتهم (**بالنسبة إليه**) إلى ذلك الذاكر سواء، بحيث لا يشغله الحضور مع الخلق عن الحضور مع الحق تعالى، يعني أن يجمع في قلبه هذا أي الحضور مع الحق تعالى مع هذا أي الحضور مع الخلق، فيكون قلبه واسعاً للحق والخلق، فيحضر مع الحق تعالى أولاً في حضرة العدم وهو معدوم، ثم ينقلب من العدم إلى الوجود فيحضر ثانياً مع الخلق في حضرة الكون وهو موجود، ثم يرجع فيحضر مع الحق كذلك وهو أدنى من دقيقة في الحضورين.

(**وذكر**) الله تعالى بآلة (**اللسان**) واضح (**لا يحتاج إلى بيان**) وهو إجراءُ حروف الأسماء الإلهية وأصواتها على اللسان مع حضور القلب.

(**وذكر**) الروح هو أن يكون الحضور مع الحق عز وجل (**غالباً**) في قلب المريد (**على الحضور مع الخلق**) وذلك لأن الروح من أمر الله تعالى وقد تعلقت بعالم الخلق للتدبير فذكرها أن يغلب عليها شهود حضرة الحق، ويقل عندها شهود ما هي ساعية في تدبيره.

(**وذكر السر**) أي سر الروح - وهو النور الذي إذا تجردت الروح عن إدراكها رجعت إليه كما قدمنا- (**هو أن لا يكون**) له أي للمريد (**حضور مع غير الحق**) من جميع الأشياء ولا مع نفسه، (**ولا يكون له خبر**) أي شعور (**من الكون**) كله للاستغراق في

شهود الحق تعالى، وذلك لأن السر لا تعلق له بعالم الخلق مطلقاً، وإنما تعلقه بشهود الحضرة الإلهية فقط، فحضوره مع الحق تعالى دائم من غير التفات إلى غيره من جميع الكون.

الذكر الخفي

والذكر الخفي أن يخفي وجودَ الروح خفاءً يكونُ في السرِّ فلا يبقى غيرُ المذكور، والحاصل أن الغير يذهب بتمام وجهته في الخفاء. وفي هذا المقام يتحقق السير في الله تعالى، فإن العبد بعد الفناء المطلق الذي هو فناء الذات وفناء الصفات يُخلع عليه الوجودُ الحقاني حتى يتصرفَ في ذلك الوجودُ بالأوصاف الإلهية، ويتخلق بالأخلاق الربانية.

(**والذكر الخفي**) حقيقته (**أن يخفى**) أي يندمج وجود (**الروح**) أي الروح أي النُورانية المذكور (**خفاءً**) أي اندماجاً، (**يكون**) في ذلك الفناء والاندماج (**في**) وجود (**السر**) الذي هو حقيقة النور الصرف الذي هو أول ما خلقه الله تعالى فيصير الروح نوراً صرفاً لا روحاً نورانيا، (**فلا يبقى**) حينئذ في بصيرة المريد (**غير المذكور**) بذلك الذكر وهو الله تعالى، (**والحاصل أن الغير**) أي كل ما يقال عن أنه غير الله تعالى (**يذهب**) من بصيرة المريد؛ حتى بصيرته أيضاً تذهب. فشهوده بها بعد ذهابها لا شهود له (**بتمام وجهه**) أي بجميع وجوه ذلك الغير واعتباراته في حقيقة الخفاء المذكور أي يندمج فيه وينطمس في نوره كانطماس نور السراج أو الشمعة في نور الشمس. وفي هذا المقام الذي هو مقام الذكر الخفي يتحقق أي يثبت ويصدق من المريد (**السير في الله تعالى**) بعد حصول التمام له في السير إلى الله تعالى بمقام الفناء السابق ذكره.

ولما كانت اللطيفة الإنسانية تضع قدمها في معنى إلهي تشير إليه حقيقة كونية ثم ترفع قدمها منه وتضعه في معنى آخر أعلى من الأول وهكذا سمى ذلك سيراً من غير وقوف إذ لو وقفت عندما يظهر لها من المعاني فقد وقفت عن السير ولم يصل إلى

المقصود فإذا قطعت مسافات معاني العوالم ووصلت إلى الله تعالى انفتح لها سير آخر بمعاني أخرى تشير إليه الحضرات الإلهية بلسان الصفات والأسماء، فيبتدي السير في الله تعالى بعد انتهاء السير إلى الله تعالى، **(فإن العبد بعد الفناء المطلق)** وهو فناء الفناء **(الذي هو فناء الذات)** الظاهرة له بعد فناء جميع الأغيار **(وفناء الصفات)** الظاهرة له بعد ذلك، فإن جميع ما ظهر له من الحق تعالى في وقت فنائه عن الأغيار إنما هو من جملة الأغيار، فلابد من الفناء عنه أيضاً.

فإذا فني عن جميع ذلك **(يخلع عليه حينئذ)** أي يلبسه الله تعالى خلقة الوجود الحقاني أي الذي هو حق في حقيقة الأمر **(حتى يتصرف في ذلك الوجود)** الحقاني **(بالأوصاف الإلهية)** التي هي للحق تعالى، فتصير قدرته قدرة الله تعالى وإرادته إرادة الله تعالى وسمعه وبصره وهكذا إلى آخر الصفات الأوصاف فيذهب العبد ويظهر الرب عز وجل في بصيرة ذلك العبد التي ذهبت وظهر علم الحق تعالى، **(ويتخلق)** ذلك العبد حينئذ **(بالأخلاق الربانية)** **فيقال له العالم الرباني**، قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ ﴾[1] الآية.

وفي هذا المقام يتحقق بمرتبة بي يسمع، وبي يبصر، وبي ينطق، وبي يبطش، وبي يمشي، وبي يعقل.

(وفي هذا المقام) الذي هو مقام الذكر الخفي يتحقق العبد من غير تأويل ولا تحريف بمرتبة أي بحقيقة معنى قوله ﷺ الحديث القدسي «لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببتُهُ كُنتُ سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به »[2] الحديث.

---

(١) سورة آل عمران آية: ٨٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه (٤/ ٨٧) ط الحجازي.

وفي رواية (بي)، أي بوجودي الحقيقي الذي غلب على وجوده المجازي فيمحقه بالكلية، (يسمع) ذلك العبد المتقرب بالنوافل أي الزوائد على حقيقة المؤثر في ذلك ذات العبد وصفاته وأفعاله وأسمائه وأحكامه، (وبي) لا بغيري كذلك (يبصر)، فلا يسمع إلا بالله من الله، ولا يبصر إلا بالله، فلا مسموع عنده ولا مبصَر إلا الله، ولا نفسَه ولا ذاته، فالله يسمع الله والله يبصر الله، (وبي ينطق) لا بلسانه وفمه (وبي يبطش) لا بيده (وبي يمشي) لا برجليه (وبي يعقل) لا بقلبه ولبه، كما ذكرنا.

فإن الذات والصفات الفانية في هذا المقام تتبدل بكون[1] الوجود الباقي خارجةً من قبر الخفاء إلى محشر الظهور وتصرفات جذبات الحق تعالى.

(**فإن الذات**) التي للعبد (**والصفات**) التي له أيضاً الفانية أي الذاهبة المضمحلة (**في هذا المقام**) المذكور (**تتبدل**)[2] بالذات التي للحق والصفات التي له تعالى الباقية (**بكون**) أي بسبب أن (**الوجود**) الحقيقي القديم الذي لا يتكرر، المتجلي على المراتب العدمية حيث تظهر به مرتبة الإرادة القديمة، هو (**الباقي**) وحده، كما ورد في حديث النبي ﷺ «كان الله و لا شيء معه»[3]، وهو الآن على ما كان.

---

(١) في المتن الآخر المنسوب ترجمته للسيد أحمد بن إبراهيم بن علان الصديقي: «بكسوة»، وهو أجود، إلا أن المصنف رحمه الله أثبت لفظة «بكون» وجرى عليها في الشرح، فلا مناص من إثبات ما أثبت.

(٢) التعبير بالتبدل هنا ليس على حقيقته، بدليل قوله بعده: بسبب أن الوجود الحقيقي هو الباقي وحده.

(٣) رواه البخاري في صحيحه بلفظ «كان الله ولا شيء غيره» (٢٩٥٣) وبلفظ «ولا شيء قبله» (٦٨٦٨) ورواه النسائي في السنن الكبرى (٦/ ٣٦٣) بنحوه. وقال لعجلوني في كشف الخفاء: «كان الله ولا شئ معه». رواه ابن حبان والحاكم وابن أبي شيبة عن بريدة، وفي رواية: ولا شئ غيره، وفي رواية ولم يكن شئ قبله قال القاري ثابت ولكن الزيادة وهي قوله وهو الآن على ما عليه كان من كلام الصوفية.. وإن صحت، فتأويلها أنه تعالى ما تغير بحسب ذات الكمال وصفات الجلال عما كان عليه بعد خلق الموجودات، انتهى ملخصا، لكن قال النجم ذكر ابن العربي في الفتوحات أنها مدرجة في الخبر، ولفظه عن بريدة. انتهى

(**خارجة**): حالٌ[1] من الذات والصفات الفانية (**من قبر الخفاء**) الذي اتصفت به في عالم الكون والفساد، مع أنها هي الذات والصفات الباقية بعينها، ولكن عرفها الجاهلون بها على خلاف ما هي عليه فرأوا الثبوت تغيراً، والإطلاق تقييداً، والقدم حدوثاً، فإذا ذهبت عنهم من حيث أتت إليهم خرجتْ من قبر الخفاء والالتباس (**إلى محشر الظهور**)، كما قال تعالى:﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾[2]، فيصير حينئذ العبد كلُّه أرضاً مشرقة بنور الرب تعالى، وهذه خلعةُ أسمائِه تعالى التي يلبِسُها العبدُ، وفيها يقول بعض العارفين:

وحباني الربُّ المهيمين خِلعةً ... فالأرضُ أرضي والسماءُ سمائي

(**وتصرفاتُ جذباتِ الحق تعالى**) لروح العبد إلى حضرته العلية.

حينئذ تستولي على باطن العبد وتذهب من باطنه جميع الوساوس والهواجس ويتصرف فيه الحق سبحانه وتعالى حينئذ بصفاته ويعزله بالكلية عن ولاية تصرفه في نفسه.

(**حينئذ**) أي في هذا المقام المذكور تستوي حاكمة (**على باطن العبد**) بحيث لا يجد في باطنه قدرة على الامتناع منها، (**ويذهب من باطنه**) أي العبد حينئذ جميع (**الوساوس**) الشيطانية (**والهواجس**) النفسانية لأنه لا يبقى لا سوى ولا شيطان ولا نفس (**ويتصرف فيه الحق سبحانه**) حينئذ [بصفاته][3] فيحركه ويسكنه باطناً وظاهراً، (**ويعزله**) بالكلية حينئذ (**عن ولاية تصرفه**) في نفسه فلا يبقى له شعور بنفسه، فضلاً عن تصرفه فيها.

---

(١) أي حال الذات والصفات أنها خارجة من قبر الخفاء.

(٢) سورة الزمر آية: ٦٩.

(٣) ساقط من (أ).

وفي هذا المقام يكون العبد محفوظاً عن مجاوزة الوظائف الشرعية من الأمر والنهي وهو دليل على صحة حال الفناء والبقاء. قال الشيخ أبو سعيد الخراز في هذا المعنى: كلُّ باطنٍ يخالفه الظاهر فهو باطل.

(**وفي هذا المقام يكون العبد محفوظاً**) في ظاهره وباطنه وسره وعلانيته (**عن مجاوزة**) أي تعدي حدود (**الوظائف**) جمع وظيفة، وهو ما وظَّفَه اللهُ تعالى على لسان رسول الله ﷺ المترجم له عنه تعالى (**الشرعية**) أي المنسوبة إلى الشرع وهو البيان الإلهي بالواسطة (**من الأمر**) القطعي أو الظني (**والنهي**) القطعي أو الظني، (**وهو**) أي هذا الحفظ المذكور (**دليل**) عند الغير (**على صحة حال الفناء والبقاء**) المذكورين وصدق المريد فيهما.

(**قال الشيخ أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز**) البغدادي ﷺ مات سنة سبع وسبعين ومائتين في هذا المعنى المذكور- (**كل باطن**) يتصف به المريد من الاعتقاد إذا كان (**يخالفه الظاهر**) من العمل (**فهو**) أي ذلك الباطن (**باطل**) لأنه نفاق، فتارة يكون في الباطن إيمان وفي الظاهر مخالفة، وتارة يكون في الباطن مخالفة وفي الظاهر طاعة.

وهذان القسمان باطلان في باب الكمال الإنساني. أما الأول فالمخالفة في الظاهر دليل على المخالفة في الباطن، وأما الثاني فالمخالفة في الباطن دليل على المخالفة في الظاهر.

ويبقى القسمان الآخران وهما أن يتوافق الباطن والظاهر على الطاعة وهو الكمال المطلوب أو على المخالفة وهو النقصان المعلوم.

وبعد التحقق بالفناء والبقاء يعني السير إلى الله تعالى والسير في الله تعالى الذي هو بعد الفناء، يتحقق السير عن الله تعالى وبالله تعالى، الذي هو مقام التنزل إلى مبلغ عقول الخلق لدعوتهم إلى الحق وهذا مقام الخواص من الأنبياء والمرسلين.

(**وبعد التحقق بالفناء والبقاء**) المذكورين، يعني بالفناء السيرَ من النفس إلى الله تعالى، وبالبقاء السير في الله تعالى منه إليه، (**وهو**) أي السير في الله سبحانه يكون (**بعد الفناء**) أي فناء النفس بالسير فيها إلى الرب تعالى كما مر بيانه (**يتحقق**) المريد أي يعرف بيقين كيفية (السير **عنه الله تعالى**) إلى خلقه، (**وبالله تعالى**) لا بالنفس (**الذي هو**) أي ذلك السير (**مقام التنزل**) الإلهي في الصور البشرية (**إلى مبلغ**) أي غاية ما بلغت إليه (**عقول الخلق**) المكلفين من الإدراك والمعرفة (**لدعوتهم إلى الحق**) خلاف الباطل، أو إلى الله تعالى.

(**وهذا مقام الخواص من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام**): يقول الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾[1] ويقول تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[2] ويقول:﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾[3] و﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ﴾[4].

وكان النبي ﷺ يتكلم بالأحاديث القدسية تحقيقاً لإظهار المعية الإلهية، فإذا تنزل في هذا المقام قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾[5] إلى آخر الآية وقال:﴿ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ﴾[6].

وفي مقام التنزل المذكور يرجعون في كل أمر إلى الحق تعالى متضرعين مستغفرين

(١) سورة الفتح آية: ١٠.

(٢) سورة النساء آية: ٨٠.

(٣) سورة الزمر آية: ٥٣.

(٤) سورة الزمر آية: ١٠.

(٥) سورة فصلت آية: ٦.

(٦) سورة الأحقاف آية: ٩.

والأولياء في هذا المقام لهم من متابعة الأنبياء نصيب، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾[1] لأن الشيخ كالنبي في قومه.

(**وفي مقام هذا التنزل**) المذكور ﴿يَرْجِعُونَ﴾ أي الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام (**في كل أمر**) يكونون فيه (**إلى الحق تعالى متضرعين**) متذللين خاضعين مستغفرين من خلاف الأولى (**فالأولياء في هذا المقام**) المذكور (**لهم**) من أجل (**متابعة الأنبياء**) بالاقتداء بهم - اعتقاداً وعملاً - نصيب وافر يرثونه عنهم.

(**كما قال**) سبحانه (**وتعالى**) لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَٰذِهِۦ﴾ المعتقدات والأعمال التي أظهر بها لكم ﴿سَبِيلِيٓ﴾ أي طريقي إلى الله تعالى ﴿أَدْعُوٓاْ﴾ بها كلَّ مكلف منكم ﴿إِلَى﴾ الدخول في حضرة ﴿ٱللَّهِ﴾ تعالى حالَ كوني في وقت دعوتي لكم إلى ذلك كائناً ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾، أي إطلاع وكشف للحق، لا على غفلة وغيبة عنه ﴿أَنَا۠﴾ كذلك ﴿وَ﴾ كل ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ من أمتي على ذلك إلى يوم القيامة.

كما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله، وهم على ذلك وفي ذلك، وهم بالشام»[2]. وقد بسطت الكلام على ذلك في كتابي «نهاية المواد شرح هداية ابن العماد».

وذلك (**لأن الشيخ**) الكامل في معرفة الله تعالى (**في قومه**) أي بينهم (**كالنبي في أمته**) من جهة أنه يجب عليه أن يبلغهم ما أرسل به نبيهم ويجب عليهم إطاعته في جميع ذلك، ويجب تعظيمه بينهم، واحتقاره هو احتقار نبيهم.

---

(١) سورة يوسف الآية: ١٠٨.

(٢) خرجه مولانا الضياء الكمشخانوي في (رامرز الأحاديث: ح٥٨٦٩) عن الإمام أحمد والبخاري ومسلم عن سيدنا معاوية ﷺ مع سيدنا علي، ورواه أبو عوانة في مستخرجه (٦٠٦٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٢٦١).

وأخرج السيوطي في الجامع الصغير عن النبي ﷺ أنه قال: «العلماء مصابيح الأرض وخلفاء الأنبياء وورثتي وورثة الأنبياء»[1].

وفي هذا المقام طلب المريد التربية صحيح بشرط إجازة الشيخ في هذا المقام كالتصرف بفعل، وإن كان منسوباً له، لكنه ليس منه، لأنه عُزِل عن التصرفات البشرية بالكلية: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[2]، ويمكن أن يكون بهذا المعنى.

(**وفي هذا المقام**)[3] الذي هو علم التنزل بعد الوصول إلى حضرة الله تعالى والوقوف على كمال معرفته تعالى من حيث ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه وأحكامه، (**طلب**) الشيخ الكامل لشخص (**المريد**) حتى يصير داعياً له إلى الله تعالى وحصول (**التربية**) منه للسالك أمر (**صحيح**) غير باطل، لأنه كمل في مقام إنسانيته بملك نِصاب حقيقته فوجب عليه زكاة ماله، والمريدون فقراء يستحقون زكاة مال الكمال كما قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[4] وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾[5] الآية.

ولكن لا يقوم الكامل في ذلك المقام إلا (**بشرط**) تقدم (**إجازة الشيخ**) الكامل له صريحاً وإشارة بالقيام (**في هذا المقام**) الذي هو مقام الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة، فإذا أجازه الشيخ الكامل بذلك كان (**كالتصرف بفعل**) من الأفعال، فإنه (**وإن كان**)

---

(١) خرجه الحافظ السيوطي في الجامع الصغير (٢/ ٦٩ ط الحلبي) عن ابن عدي عن سيدنا علي كرم الله تعالى وجهه.

(٢) سورة الأنفال آية: ١٧.

(٣) في هذا العلم في (ب).

(٤) سورة الحديد آية: ٧.

(٥) سورة التوبة آية: ٦٠.

ذلك الفعل (**منسوباً له**) من حيث الظاهر، لأن الله تعالى يفعل ذلك وينسبه له حكماً شرعياً، لظهوره عليه، (**ولكنه ليس منه**) بل هو من الله تعالى به[1]. قال تعالى﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾[2]، مع أن الدعاء ظاهر من عبده وقال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ۝ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾[3]، مع أن الزارعين هم عباده. فالله تعالى له أن ينسب أفعاله إلى عباده مرة وأن يسلبها عنهم وينسبها إليه تعالى مرة أخرى وذلك (**لأنه**) أي الكامل المذكور (**عُزِل**)، أي عزله اللهُ تعالى نفسُه (**عن التصرفات البشرية**) لذهاب ظلمة الطبيعة عن عين بصيرته وإشراق نور الإيمان في قلبه، فتبدلت بشريته بملكيته، وزالت عنه ظاهراً وباطناً جميع الحركات والسكنات النفسانية (**بالكلية**).

كما قال تعالى لنبيه ﷺ:﴿ وَمَا رَمَيۡتَ ﴾ يا محمد حقيقة في باطن الأمر﴿ إذ ﴾، وحين ﴿ رَمَيۡتَ ﴾ مجازاً في ظاهر الحال، وذلك حين أخذ كفاً من تراب ورمى به في وجوه الأعداء في بعض الغزوات فانهزموا، ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ﴾ سبحانه وتعالى هو الذي﴿ رَمَىٰ ﴾ حقيقة في باطن الأمر، ولكن نسبَ الله تعالى ذلك الرمي إليك في الظاهر تكريماً لك لكونه فعلاً من أفعال الله تعالى أظهره على يديك بعد أن خلق في قلبك قصداً وإرادة له وفي يدك قوة عليه، وأنت قصدُك وإرادتُك ويدُك وقوتُك ورميك وترابك وأعداؤك، كلُّ ذلك أفعال الله تعالى وحده لا شريك له في ذلك.

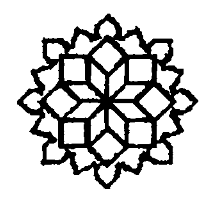
وجميع أفعال المكلفين وغيرهم من هذا القبيل، ولكن ليس الأعمى كالبصير، والكامل بصير فجميع أفعاله هكذا، فقد انعزل عن التصرفات البشرية بالكلية. ولهذا قال المصنف ﷺ عن الآية المذكورة المخصوصة بالرمي المُنْزَلة في حق النبي ﷺ (**يمكن**) في معناها (**أن يكون بهذا المعنى**) المتقدم ذكره العام في جميع الأفعال.

---

(١) أي بالعبد، أي أن العبد مظهر للفعل الإلهي وليس هو الفاعل للفعل.

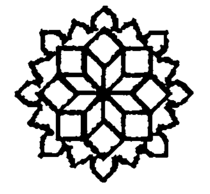
(٢) سورة يونس الآية: ٢٥.

(٣) سورة الواقعة الآية: ٦٣-٦٤.



الفصل السادس

في بيان التصرف في باطن المريد وفي دفع المرض عن الغير



(فصل) في طريق التصرف في باطن المريد ودفع المرض عن الغير: اعلم أن الدخول في حمل الحملة عن الناس له طريقان: فالطريق الأول أنه إذا وقع شخص في مرض أو ابتليَ بمعصية فليتوضأ ويصلي ركعتين ويتوجه بالتضرع والانكسار في قلبه إلى الله تعالى ويطلب منه أن يطهر الشخص المذكور عما عرض له ويزيله عنه.

(فصل) في بيان (**طريق التصرف في باطن المريد**) من قبل الشيخ الكامل (و) في (**دفع المرض عن الغير**) وكذلك البلايا والمصائب.

اعلم أن الدخول أي دخول الكامل (**في حمل الحملة**) أي تلقى البلاء والنازل بالناس (**عن الناس له طريقان**) يحصل بهما، (**فالطريق الأول أنه**) أي الشيخ الكامل الذي يريد حمل الحملة عن الغير (**إذا وقع الشخص في مرض**) أصابته مصيبة أو مسكه ظالم (**أو ابتليَ**)، أي ابتلاه الله تعالى (**بمعصية**)، وما أمكنه التوبة منها (**فليتوضأ**) - وذلك الشيخ الكامل- (**ويصلي ركعتين ويتوجه**) إلى الله تعالى (**بالتضرع**) في الدعاء (**والانكسار**) والذل (**في قلبه إلى الله تعالى ويطلب منه**) تعالى (**أن يطهر الشخص المذكور**) ويصرح باسمه أو كنيته (**عما**)، أي البلاء الذي (**عرض له ويزيله عنه**)، فإن الله تعالى يجيبه إلى ذلك ويقضي حاجته من غير تأخير إن شاء الله تعالى.

والطريق الثاني: أن يجعل صاحب المرض نفسه ويثبتها مقام صاحب المرض[1] العارض المذكور ويشتغل [خاطره هذا المقدار][2] يتوجه بهمته إلى دفع ذلك العارض عنه والأخذ في الضمان [مكان ذلك][3] أيضاً. فإذا كان الشخص [نافع][4] الخلق

(١) العارض المذكور بتوجه همته إلى دفع ذلك المرض.

(٢) في (ب): في هذا المقام.

(٣) ساقط من (ب).

(٤) في (ب): نافعة.

الخلق وأشرف على الموت وكان ذلك قبل نزول حضرة عزرائيل فإنه بعد نزوله فرجوعه خالياً محال ولابد من بدل فعند ذلك يثبت[المرض][1] مكان أعضائه ويتوجه بهمته.

(**الطريق الثاني**) هو أن يجعل ذلك الشيخ الكامل أن نفس (**صاحب المرض**) مثلاً هي (**نفسه**) بطريق توجه الهمة والتجرد عن جسمانيته والدخول في جسمانية صاحب المرض، حتى إنه يدخل نفسه في جسد صاحب المرض بالحركة الواحدة الأمدية التي قال الله تعالى عنها ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾[2]، فيتحد معه (**ويثبتها**) أي نفسه قائمة (**مقام**) نفس (**صاحب المرض العارض المذكور**) ثم إنه يقوم بتدبير جسد صاحب المرض ويشتغل خاطره في هذا المقام الذي قام فيه من صاحب المرض العارض المذكور، ثم إنه يقوم بتدبير جسد صاحب المرض (**بتوجه همته**) المؤيدة بالجمعية الروحانية العلية (**إلى دفع ذلك المرض العارض عنه**)، أي عن ذلك المريض، (و) كذلك (**الأخذ**)، أي أخذ الشيخ الكامل (**في الضمان**) أي ضمة الغير أخذاً (**مكان ذلك**) أي مكان هذا الغير الذي في ضمانه (**أيضاً**)، أي مثل الدخول في حمل الحملة عن الناس (**فإذا كان الشخص نافع الخلق**) بنشر العلم أو بتدبير الرأي و نحو ذلك (**وأشرف على الموت**) بزيادة مرضه[3] (**وكان ذلك**) الإشراف (**قبل نزول حضرة عزرائيل**) عليه السلام من حضرة روحانية ذلك الشخص على قلبه الصنوبري لأجل حصول القبض إلى عالم الملكوت (**فإنه**) أي عزرائيل من (**بعد نزوله**) على القلب وإحساس المريض بذلك(**فرجوعه خالياً**) من القبض لتملك الروح (**محال**) إذ حقيقته عليه السلام تعطى

---

(١) في (ب): ومقام المريض.

(٢) سورة القمر الآية: ٥٠.

(٣) ساقط من (أ).

القبض بالضرورة، فإذا تنزلت حقيقته في الدقيقة الروحانية من حضرة القدس قبضت لا محالة، إذ هو مظهر اسم الله القابض من حضرة قوله تعالى: ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ﴾[1] وقوله: ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[2].

(ولابد من بدل يكون) في مكان المريض فداءً لتنصرف الحضرة العزرائيلية إليه عن هذا المريض صرف القدر عن القدر بالقدر كما نقل عن شيخنا الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره أنه قال في هذا المقام: نحن في مقام ندافع القدر بالقدر. فإذا أراد الشيخ الكامل أن يدفع عن المريض الموت بهمته، **(فعند ذلك يثبته)**، أي يثبت ذلك البدل في مقام المريض، ويجعل مكان أعضائه، أي أعضاء ا لمريض، **(ويتوجه بهمته)** الصادرة من قبل الروحانية التي هي أمر الله تعالى، فإن ذلك المريض يبرأ. وذلك البدل عنه يموت فيندفع القدر والقضاء بالقضاء **(والمدد)** من الشيخ الكامل لمريده **(في)** وقت **(المرض)**.

والمدد في المرض أنواع: الأول: أن يتوجه بهمته إلى رفع ذلك المرض ودفعه عنه. الثاني: أن يتحمل ذلك منه بنفسه. الثالث: أن يتوجه في دفع الخواطر المتفرقة عنه من غير أن يتعرض لدفع المرض، لما فيه من رفع الدرجات وأن المرَض موجِبٌ لتنقيته وتصفية القوى الدماغية.

أي مرض المريد ثلاثة **(أنواع)**. النوع الأول: أن يتوجه الشيخ بهمته المذكورة إلى **(رفع ذلك المرض)** عن مريده **(ودفعه عنه)**، فيرتفع ويندفع بإذن الله تعالى. النوع **(الثاني)**: أن **(يتحمل)** الشيخ **(ذلك)** المرض **(منه)** من مريده **(في نفسه)**، بأن تتوجه نفسه إلى نفس مريده بهمته المنبعثة من أمر الله تعالى فتتحد النَفسان في حضرة الأمر

---

(١) سورة هود الآية: ١٢٣.

(٢) سورة يس الآية: ٨٣.

الإلهي ثم يفصل نفسه من نفس مريده في حضرة التفصيل حاملة المرض عنه، وينزل بذلك إلى عالم الخلق، فيخفف عن المريد ما يجده من المرض ويتحمل ذلك شيخه[1].

وتختلف أرواح المشايخ في حمل ذلك كله، وكلما قويت الروح خفَّ الحَمل. وقوتها بكثرة الشهود وضعفها بقلته، فإنه قوتها كما أن الطعام والشراب قوة الأجسام، فكلما قل القوت ضعفت الأجسام وتقوى بكثرته، فكذلك الأرواح.

النوع (**الثالث**): (**أن يتوجه**) الشيخ (**في دفع الخواطر المتفرقة عنه**)، أي عن مريده كخاطر الدنيا والجمع والمال والشهوات وخاطر الآخرة والعبادات والطاعات والاعتقادات بجمع خاطر المريد على حضرة واحدة، وهي حضرة الله تعالى فقط فتقوى بذلك روحه ويقوى لقوتها بدنه وتشد أعضائه بالجمعية الصادقة من غير أن يتعرض الشيخ (**لدفع المرض**) عن المريد (**لما فيه**) أي في المرض (**من رفع الدرجات**) [لذلك المريد عند الله تعالى][2] (**وأن المرض موجب لتنقيته**) [أي تنقية][3] ذلك المريد من أوساخ الذنوب والمخالفات[4]، (**وتصفية القوى الدماغية**) من كدورات الغرور والغفلات، فهو نافع له على كل حال.

(وإذا صفى الدماغ صار متعلقاً بذلك النور المطلق البسيط لا تحتمله جميع الموجودات الذي هو مقصود جميع المكونات، والخواطر مانعة لظهور هذا المعنى

ومعلوم **أن ذلك النور الذي** ظهرت فيه السماوات و الأرض وما فيهما وكل شيء من العدم وهو نور الحق تعالى (**المطلق**) عن كل قيد فلا صورة له ولا كيفية ولا

---

(١) أخبرني شيخي ووالدي سيدي محمد أبي اليزيد المهدي ﷺ أنه كان مريضاً فدخل على شيخه حضرة جدي الشيخ جودة إبراهيم ﷺ، فلما وجده مريضاً بالحمى نظر إليه وتحمل الحمى عنه، وأفاق الوالد ومرض الجد الرحيم قدس الله سره العظيم.

(٢) ساقط من (أ).

(٣) زيادة من (د).

(٤) (أ) والمخالفة.

يشابه شيئاً ولا يشابهه شيء ولابوجه من الوجوه ولا هو متصل بشيء ولا منفصل عن شيء ولا هو داخل بشيء ولا خارج عن شيء

(**البسيط**) الذي هو غير مركب من جزئين أو أكثر فلا بعض ولا كل ولا طرف ولا حد ولا مقدار ولا زمان ولا مكان (**لا تحتسله**) أي لا تقدر على معرفته من غير تشبيه كما ذكرنا (**جميع**) ذلك من (**الموجودات**).

فإذا أراد أن يظهر لروحانية من الروحانيات أحست به فاختلف عليها ما هي فيه من الحالة الأولى وهي حالة الجمود ولابد من الحركة الأمرية التي هي كلمح بالبصر ليذوب بها كون تلك الروحانيات، فيظهر سند ذلك اختلال في نظام الجسد الإنساني كالدهن الجامع الموضوع في الشمس إذا اشتد حر الظهيرة

اختلج وتحرك بحرارة الشمس قبل أن يذوب بها، فإذا ذا يليه برودة الهواء الشديدة بسرعة ذاب في الحال، وإذا بطأت به ذاب شيئا فشيئاً حتى يبقى سيالا كالماء، فتذهب عنه كدورة الجمود ويعود إليه صفاء الذوبان فتظهر فيه أشكال الكواكب العالية وهو في الأرض لم يبرح مكانه قال الله تعالى: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[1].

(**الذي**) نعت للنور المذكور (**هو مقصود جميع المكونات**) لأنه موجدها ومعدمها وممدها بتكرار أمثالها كما قال الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[2] وهذا مقام غاب عنه الجاهلون لاشتغالهم عن شهوده بشهود ما هو دون الله ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[3].

---

(١) سورة الذاريات آية: ٢٠.

(٢) سورة العنكبوت آية: ٤٣.

(٣) سورة المجادلة آية: ١٣.

(**والخواطر**) المتفرقة في قلب المريد (**مانعة لظهور هذا المعنى**) في قلبه إذ لا يجتمع النور والظلمة لأنهما ضدان، والقلب إذا امتلأ بالخواطر على سبيل البدلية بحسب العادة يزول خاطر ويأتي خاطر آخر، والجميع من ذلك النور المذكور فلا يمكن أن يقع الخاطر المستقيم إلا بعد ذهاب الخواطر المعوجة و﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾[1]. وذلك الخاطر المستقيم ليس غير تلك الخواطر المعوجة ولكن إذا زال الاعوجاج في الشيء الواحد ظهرت الاستقامة، وحقيقة الكشف تقوية في الإدراك لا تبديل في المدرك كما قال تعالى:﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾[2] وإنما التبديل من الشيطان كما حكي عنه بقول تعالى:﴿ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾[3].

وأما التصرف في طالب الحقيقة هكذا أيضاً بأن يجلسه في مقابلته ويقول له: فرغ نفسك من كل [الخواطر][4] ثم يتوجه بهمته لرفع الحجاب الظلماني ثم [يتوجه][5] لرفع الحجاب النوراني، وإذا حصلت له الغيبة لا يتوجه له إلا إذا حصلت له غفلة فيزيلها

(و) أما (**التصرف**) من الشيخ المرشد (**في**) قلب المريد (**طالب**) معرفة (**الحقيقة**) فهو (**هكذا**) أيضاً أي مثل ما ذكر في هذا النوع الثالث من توجه الشيخ في دفع الخواطر المتفرقة من المريد، **وبيان ذلك** (**بأن يجلسه**) أي يجلس المريد (**في مقابلته**) أي قبالة وجهه جاثياً على ركبتيه **إلا من عذر** (**ويقول له فرغ نفسك من كل خاطر**) أي خاطر كان ولو خاطر طاعة **فإن الإناء الفارغ يقبل** أن يوضع فيه شيء دون الإناء الملآن فإن كل شيء يوضع في الإناء الملآن، يزول عنه في الحال ولا يستقر فيه.

---

(١) سورة الأحزاب آية: ٤.

(٢) سورة الروم آية: ٣٠.

(٣) سورة النساء آية: ١١٩.

(٤) في (ب) خاطر.

(٥) ساقط من (أ).

(ثم يتوجه) الشيخ (بهمته) الربانية[1] (لرفع) أي إزالة (الحجاب الظلماني) عن قلب المريد وهو حجاب الجسمانيات وتوابعها ولوازمها ومقتضياتها (ثم يتوجه) ثانياً لأجل (رفع الحجاب النوراني) عن السر وهو حجاب الروحانيات ولوازمها ومقتضياتها. (وإذا حصلت له) أي المريد (الغيبة) عن كل معقول ومحسوس يبقيه الشيخ على ما هو عليه (ولا يتوجه) بهمته (له) كيلاً يفسد عليه وقته باختلاف المشرب على ذوقه (إلا إذا حصلت له) أي للمريد (غفلة) بحيث منعته عن غيبته تلك وكادت توجب صحوة (فيزيلها) الشيخ عنه بالهمة حينئذ ليكتمل له ذوق الحقيقة الغيبية ويرتاض في ذلك.

والذي ينسب إلى شخص من الأحوال الآتية هو أنه حضره أجنبي وحصل في الخاطر لائح من إيمان أو صلاة أو صوم أو تحصيل علم ديني يقولون حصل منه نسبة الإسلام والديانة ونسبة العلم والحاصل إذا ظهر بسبب هذا الوصل هذا المعنى كان وجوده في الخاطر من مقتضيات أنفاسه

(والذي ينسب) بالبناء للمفعول ينسبه ناسب من الناس (إلى شخص) كامل في طريق الله تعالى (من الأحوال) بيان للأحوال (الآتية) في أثناء الكلام كحال الإيمان أو الصلاة أو المحبة أو العشق فسبب ذلك (هو أنه) أي ذلك الشخص الكامل (إذا حضره) في مجلسه (أجنبي) عنه من بعض الناس (وحصل له في الخاطر) أي خاطر ذلك الكامل (لائح) أي معنى ظاهر (من) حلية (إيمان) أو حلية (صلاة أو صوم أو تحصيل علم ديني) كعلم التوحيد والمعرفة أو علم الشريعة والأحكام أو علم الحديث النبوي أو علم التفسير القرآني، (يقولون) لنا في الناس (حصل منه) أي من ذلك الشخص الشيخ الكامل (نسبة الإسلام والديانة ونسبة العلم) بسبب انطباع ذلك في خاطر الأجنبي وهو مقدار ما ظهر لهم من ذلك الشخص الكامل لعدم اطلاعهم على ما هو

---

(١) ساقط من (أ).

أعلى من ذلك في مقامات القرب الإلهي. (**والحاصل**) من ذلك (**أنه**) أي الثاني (**إذا ظهر بسبب هذا الوصل**) الذي حصل للأجنبي مع ذلك الشخص الكامل (**هذا المعنى**) الذي فهمه من ذلك الشخص الكامل (**كان وجوده في الخاطر**) أي في خاطر ذلك الشخص الكامل (**من مقتضيات أنفاسه**) التي يتقلب فيها ويتجدد بها مع الأزمان، فكل نفس موجود له يقتضي خاطراً مخصوصاً.

وإن ظهر من وصوله [لائح][1] المحبة والعشق يقولون: ظهر منه نسبة الجذبة. [وفي][2] معرفة أحوال الميت [فإنه][3] يجلس محاذي القبر ويقرأ آية الكرسي [مرة][4] وسورة الإخلاص اثنتى عشرة مرة ويخلي نفسه عن كل خاطر، فكلما لاح له بعد ذلك فهو منه. وإذا وقع من المريد سوء أدب فلا ينبغي للشيخ أن يسعى في سلب حاله ولكنه يتوجه بهمته على الطريق المعهود في رفع الظلمة والكدورة عنه

(**وإن ظهر**) لهم (**من وصوله**) أي من وصول ذلك الأجنبي إلى الشخص الكامل (**لائح المحبة والعشق**) على ذلك الشخص الكامل (**يقولون ظهر منه نسبة الجذبة**) الإلهية وهذا مقدار معرفة الجاهل. والكمال أعلى مما يخطر في قلوب القاصرين وأسنى مما توهمه نفوس الجاهلين.

(**وفي معرفة أحوال الميت**) من خير أو شر إذا أراد أن يطلع الكامل على شيء من ذلك فإنه (**يجلس محاذي القبر ويقرأ آية الكرسي وسورة الإخلاص اثنتى عشرة مرة**) يحتمل أن هذا العدد أية والسورة ويحتمل أنه السورة فقط (**ويخلى**) أي يفرغ (**نفسه من كل خاطر**) يخطر فيها (**فكل ما**) أي كل معنى (**لاح**) أي ظهر (**له**) أي لذلك الكامل (**بعد ذلك**) أي بعد قراءة ما ذكر (**فهو منه**) أي من ذلك الميت كشفاً عن حاله.

---

(١) ساقط من (أ).

(٢) في (ب): وأما.

(٣) ساقط من (أ).

(٤) ساقط من (ب).

(وإذا وقع من المريد سوء أدبٍ) في حق شيخٍ وغيره (**فلا ينبغي للشيخ أن يسعى في سلب حاله**) عنه عقوبة له على سوء أدبه (**ولكنه يتوجه بهمته**) العلية القدسية (**على الطريق المعهود**) فيما سبق (**في رفع الظلمة**) النفسانية التي غلبت عليه فأوقعته فيما صدر منه (**والكدورة**) البشرية التي أوجبت غفلته عن مراعاة الأدب (**عنه**) أي عن ذلك المريد.

[أو][1] يأمره بذكر الله تعالى بالنفي والإثبات فترتفع عنه تلك الظلمة بهذا الطريق بأن يلاحظ في جانب النفي: جميع المحدثات بنظر الفناء، وفي جانب الإثبات يتصور ذات المعبود الحق تعالى بنظر البقاء.

(**أو يأمره بذكر الله تعالى**) بصيغة (**النفي والإثبات**) فيقول لا إلى إلا الله (**فترتفع عنه تلك الظلمة**) التي عرضت له (**بهذا الطريق**) المذكور. وصفة ذلك (**بأن يلاحظ في جانب النفي**) في قوله لا إله (**جميع المحدثات**) خارجةٌ من العدم (**بنظر الفناء**) أي الزوال والاضمحلال بالكلية، (**وفي جانب الإثبات: ذات المعبود الحق**) أي يتصور ذلك المريد مرتبة وجوده ذلك[2] متصفاً (**بالبقاء**)، **فإنه إذا فعل شيئاً من ذلك زالت عنه ظلمة نفسه وكدورة بشريته فتاب مما وقع له توبة نصوحاً**، فكان شيخه ممن حباه بعد موته الحياة المعنوية.

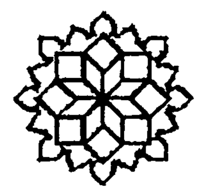
وهذا التوجه والتصرف لا يحصل إلا بحفظ الأوقات ومداومة المراقبة مع نفي الخاطر الملكي والنفسي والشيطاني[3].

---

(١) ساقط من (ب).

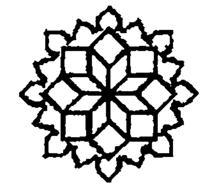
(٢) أي وجود الحق تعالى.

(٣) سقط من (أ)، و(ج) وأثبتناه من (ب).



الفصل السابع

الآداب التي يجب على المريد مراعاتها



في الآداب الظاهرة مع الحق تعالى وهي أن يكون قائماً بالأوامر والنواهي الشرعية ويكون دائماً على الطهارة مستغفراً محتاطاً في جميع الأمور ويكون متبعاً لآثار السلف الصالح عاملاً بها)

(**فصل في الآداب**) التي يجب على المريد مراعاتها في طريق الله تعالى (**الظاهرة**) على جوارح المريد مع الحق سبحانه وتعالى (**وهي أن يكون**) ذلك المريد (**قائماً**) أي مواظباً مداوماً قواما لله تعالى (**بالأوامر**) القطعية أو الظنية (**والنواهي**) القطعية أو الظنية (**الشرعية**) أي المنسوبة إلى الشرع.

(**ويكون**) ذلك المريد (**دائماً على الطهارة**) الباطنية: من كل حقد وحسد وغل وغش وبغض ومكر وقصد معصية وظن سوء في أحدٍ، والظاهرة: الغسل والوضوء وغسل النجاسة وإن كانت قليلة في البدن والثوب وموضع الجلوس مستغفراً الله تعالى من جميع ذنوبه ما علم منها وما لم يعلم (**محتاطاً**) أي أخذاً بالاحتياطات وهو الجانب الذي لا يوهم الخطأ عند أحدٍ ما لم يكن مقابله مطلوباً في الشرع كمن دخل على امرأة أجنبية ينقذها من السقوط في بئر أو سطح ونحو ذلك (**في جميع الأمور**) سواء كان في العبادات أو في العادات (**متبعاً**) في ظاهره وباطنه (**لآثار السلف الصالح**) من أهل السنة والجماعة (**عاملاً بها**) أي بالآثار المنقولة عنهم من سيرتهم في الاعتقاد والعمل، ويترك عنه محدثات الأمور مما عليه الناس في هذا الزمان فإن كل ذلك بدع وسوسها لهم الشيطان.

ولي من النظم في هذا المعنى قولي:

دين هذا الزمان محض ابتداع	ثم دنياه فالحرام الصريح
فاتركوا دينه ودنياه تنجوا	واتْبعوا العلم واقنعوا تستريحوا

والآداب الباطنة هي أن تحفظ قلبك من خطور الأغيار سواء كان خيراً أو شراً فإنهما [في الحجاب][1] لك سواء، وآداب النبي ﷺ على هذا القياس

(**والآداب الباطنة**) مع الحق تعالى (**هي**) أن (**تحفظ قلبك**) يا أيها المريد (**من خطور الأغيار**) أي غير الله تعالى بحيث لا يخطر ببالك شيء مما هو غيره تعالى مطلقاً، وأما الله سبحانه وتعالى فلا يخطر في بالك أيضاً لأنه كل ما خطر في بالك فالله تعالى بخلاف ذلك. فإنه إذا نقيت من بالك خطور الأغيار تفرّغ قلبك لأنوار معرفته فصرت قابلاً لتجلي الحق تعالى فيك، فيظهر لك تجليه فيك منك فإنك أثر من آثار تجليه القديم، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ﴾[2].

(**سواء كان**) ذلك الغير الذي خطر في بالك (**خيراً**) كالإيمان والمعرفة والطاعة ونحو ذلك أو (**شراً**) كالكفر والمعصية، أو لا خيراً ولا شراً كالمباحات (**فإنهما**) أي الخير والشر في حصول (**الحجاب لك**) عن شهود الحق تعالى (**سواء**) من غير فرق، فإن الكل محدثات، والمحدث حجاب على القديم.

(**وآداب النبي ﷺ**) التي تجب على المريد مراعاتها (**على هذا القياس**) المذكور في الله تعالى، فالظاهرة منها على الجوارح اتباع أوامره ﷺ التي أمر بها من غير أوامر الله تعالى وهى السنن المؤكدات وغير المؤكدات واجتناب نواهيه ﷺ التي نهى عنها من غير نواهي الله تعالى وهي المكروهات كراهة تنزيهية، والباطنة منها شهودك الحضرة المحمدية وهي حضرة النور المطلق عن سائر الموجودات لأنها كلها منه وهي مقام الإمداد لك من الله تعالى بشرط أن تزهد في كل شيء سواها من خير أو شر، وأما شهود الله تعالى مع الغفلة عن شهود هذه الحضرة المحمدية فلا إمداد فيه بل هو يسلب الإمداد كله فيفنى الجميع، لأن الأبواب كلها مسدودة إلا بابه ﷺ، ولهذا كثير من أهل

---

(١) ساقط من (ب).

(٢) سورة الحجرات آية: ١٦.

شهود الحق تعالى يغفل عن شهود الحضرة المحمدية التي هي هيولى جميع الموجودات فيصل إلى مقام الفناء في الشهود إلا أنه لا يصل إلى شيء من علوم الحقائق والأسرار العرفانية ولا له يفتح باب الفهم في الكتاب والسنة لعدم شهود حضرة التفصيل المخلوق منها كل شيء وهو نور النبي ﷺ.

وآداب الأولياء هي أنك في مجالستهم تحفظ خواطرك [ولا تتكلم معهم من غير أن يسألوك][1] ولا تتكلم بحضرتهم بصوت عال.

(**وآداب الأولياء**) الواجبة لهم على كل مريد (**هي أنك في مجالستهم تحفظ خواطرك**) أن يخطر لك سوء فيهم أو في غيرهم فإنك تحدث عندهم حدثا أصغر إن لم يكن ذلك السوء في أحد معين. وإن خطر لك شيء من الكفر فقد تنجست عندهم كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾[2] فتزول طهارتك الباطنة فتحرم إقبالهم عليك فيفوتك خير كثير، وربما تؤذيهم بخاطرك فتدخل في قوله ﷺ في الحديث القدسي: «من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»[3]. أي أعلمته أني محارب ومن يحارب الله تعالى فإنه هالك في الدنيا والآخرة.

(**ولا تتكلم بحضرتهم بصوتٍ عالٍ**) فإن حضرتهم هي حضرة النبي ﷺ وعلومهم هي علومه ورثوها عنه والله تعالى يقول: ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾[4] الآية فكلام ورثة ﷺ في مجالسهم هو كلامه ﷺ بمعناه لا بلفظه. ويجوز للمرء أن يروي الأحاديث النبوية بمعناها دون لفظها كما ذكر في الحديث.

---

(١) ساقط من (أ)

(٢) سورة التوبة آية: ٢٨.

(٣) رواه أبو يعلى في مسنده (٦٩٣٠) بلفظ فقد استحق محاربتي.

(٤) سورة الحجرات آية: ٢.

ولا تشتغل في حضورهم بصلاة النوافل وإن صليت معهم فحسن ولا يتكلم في أثناء كلامهم بل لا تتكلم معهم أبداً من غير أن يسألوك وكل ما يكرهونه اجعله مكروهك ولا تنظر في [بيتهم][1] إلى أسبابهم وحوائجهم ولا يخطر ببالك رواحك لشيخ آخر وأخذك منه.

(**ولا تشتغل في حضورهم**) أي في وقت حضورك عندهم أو حضورهم عندك (**بصلاة النوافل**) لأن ذلك هبوط لك من المرتبة العلية فإن فوائدهم أفضل لك من نوافلك إذ بفوائدهم تزداد معرفتك فتصير كما قال النبي ﷺ: «ركعة عالم بالله أفضل من ألف ركعة من جاهل به»[2].

وأما نوافلك فيزاد بها ثوابك إن أخلصت فيها، وإن داخلها رياء انقلبت عليك معصية تعاقب عليها وتدخل تحت قول الفقهاء من صلى رياء قيل يكفر وقيل يأثم كأنه ما صلى. (**وإن صليت**) النوافل (**معهم**) بأن رأيتهم يصلون فاقتديت بهم وصليت مثلهم (**فحسن**) جائز لك.

(**ولا تتكلم في أثناء كلامهم**) بحيث تقطع عليهم كلامهم فيقطعك الله تعالى عنهم بسوء أدبك معهم ويحرمك الانتفاع بهم (**بل لا تتكلم معهم**) أبداً (**من غير أن يسألوك**) ويبدؤوك بالكلام، فإذا بدؤوك بالكلام فتكلم معهم بلين واعتقاد حسن.

(**وكل ما**) أي شيء أو الذي (**يكرهونه**) منك أو من غيرك (**اجعله مكروهك**) متابعةً لهم واقتداءً بهم (**ولا تنظر**) وقت دخولك (**في بيوتهم**) وخلوتهم (**إلى أسبابهم وحوائجهم**) التي أعدوها لمصالحهم كثيابهم وأمتعهم التي يفرشونها وآنيتهم التي

---

(١) في (ب): بيوتهم.

(٢) أورده المتقي الهندي في «كنز العمال» برقم (٢٨٧٨٦)، وعزاه إلى الشيرازي في «الألقاب»، وعزاه كذلك بلفظ قريب إلى ابن النجار مرسلا برقم (٢٨٧٨٧).

يأكلون ويشرب منها ونحو ذلك، والمراد لا تكثر النظر والتأمل في شيء من ذلـك لأنـه يسقط حرمتهم من قلبك ويوجب غفلتك عن القيام بحقوق تعظيمهم فيفوتك تقـوى القلـوب التـي قـال الله تعـالى: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[1] والشعائر جمع شعيرة وهي كل ما يـشعر أي يعلـم بـالله تعـالى كالمـصاحف والعـارفين والعلماء والمساجد وكتب الشريعة ونحو ذلك.

(**ولا يخطر ببالك**) أبداً مادمت في صـحبتهم (**رواحـك**) أي ذهابـك (**إلى شـيخ آخر**) تصحبه في طريق الله تعالى (**وأخذك عنه**) أي من الشيخ الآخر معاً في الـسلوك إلى الله تعالى فيختلف عليك الحال و يتكدر مشربك وتتفـرق خـواطر قلبـك ولا تفلـح في نقض ميثاق شيخك الأول ولا ترشد في معاهدة شيخك الثاني.

بل اعتقد أن شيخك هذا الأول هو الذي يوصلك إلى حضرة مولاك ولا تعلق قلبك بسواه فإن ذلك موجب لتفرقتك، والحاصل أن كل ما يكون طبع الإنسان فارقه وتجنبه، فإن في سوء الأدب مع المشايخ خاصة يقتضي بُعد الطريق وعدم حصول الفيض والمدد فينبغي لك أن لا يكون في قلبك ولا فى نظرك غير الحق واسمه وكن دائما مع الحق حتى لا تجد الغفلة إليك سبيلاً

بل اعتقد أن شيخك هو كل شيخ لأنك لا تأخذ عـن صـورته التـي في خيالـك الباطنة ولا الظاهرة وإنما تأخذ عن حقيقته التي هي وراء ذلـك قـال الله تعـالى: ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴾[2]. وتلك الحقيقة التي تأخذ عنها لها أبواب شتى شيخك بـاب منهـا كما قدمناه. فرجوعك عنه إلى باب آخر علامـة عـلى حرمانـك بـسبب اعتقـادك تعـدد المشايخ، ولو كنت تعتقد تعدد الأبواب فقط دون المشايخ كنت مع الوقت كـيفما كـان،

---

(١) سورة الحج آية: ٣٢.

(٢) سورة البروج آية: ٢٠.

ولم تقصد الذهاب إلى الباب الآخر إلا بإذن من الباب الأول يخرج لك من تلك الحضرة، ولا إذن لك، لأن كل حضرة تطلب إليها أثراً تظهر به فلا تأذن له بالذهاب إلى غيرها وكل حضرة مغنية عن غيرها لأنها جامعة لكل الحضرات

وكل باب جامع لجميع الأبواب وكل شيخ عنده جميع ما عند المشايخ كلهم. فذهابك للأخذ عن الشيخ الآخر محض جهل فيك بمقام شيخك وتفرقة وقعت في نفسك فأبطلت جمعيتك فاحذر من ذلك كل حذر (**بل اعتقد أن شيخك هذا**) (**الأول**) الذي أنت داخل تحت تربيته من أول وهلة جامع لجميع ما عند المشايخ كلهم، فإن المشايخ كلهم عندهم معرفة الله تعالى وهي واحدة لا تختلف وإن اختلفت العبارات عنها، والعبارات ليست هي المعرفة بل المعرفة وراء كل عبارة وخلف كل إشارة، قال القائل:

عبارتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذلك الجمال يشير

فإذا علمت هذا فلا شك أن من عاهدته أولاً (**هو الذي يوصلك إلى**) حضرة (**مولاك**) سبحانه وتعالى فلا تعرض عنه (**ولا تعلق قلبك بسواه**) من المشايخ (**فإن ذلك موجب لتفرقتك**) بشهود الأغيار وغفلتك عن شهود الواحد القهار.

(**والحاصل**) من ذلك (**أن كل ما يكون طبع الإنسان**) من اشتهاء رؤية الغير والاجتماع به واشتهاء الأخذ عن الغير والدخول تحت تربية الغير لعله يطلع على ما هو أزيد مما في شيخه ونحو ذلك من الرعونات النفسانية (**فارقه**) المريد (**وتجنبه**) واحترز منه لأنه سوء أدب مع شيخه وقلة احترام له وجهل بمقداره فوجب إزالته من القلب بالكلية (**فإن سوء الأدب مع المشايخ**) العارفين بالله تعالى، (**خاصة**) دون غيرهم (**يقتضي**) ذلك (**بُعد**) المريد من (**الطريق**) المستقيم (**وعدم حصول الفيض والمدد**) من الله تعالى وذلك لأن قلوبهم عاكفة في حضرة الله تعالى ونفوسهم مراقبة له وأرواحهم مشتغلة بشهوده. فإذا أساء أحد معهم الأدب بلسانه أو بقلبه أو بأعضائه غار الله عليهم

في انتهاك حرماتهم فقطع عنهم من أساء في حقهم الأدب، وإذا قطعه عنهم قطعه عنه فهلك مع الهالكين.

(**فينبغي لك**) يا أيها المريد (**أن لا يكون في قلبك و**) لا في (**نظرك**) شيء من العوالم (**غير الحق**) سبحانه وتعالى (**واسمه**) عز وجل حتى تصير مجرداً من الأغيار فتصلح لظهور الأسرار وطلوع الأنوار، (**وكن دائماً**) أي في غالب أوقاتك أو في جميعها إن أقدرك الله تعالى (**مع الحق**) تعالى في اليقظة والشهود (**حتى لا تجد الغفلة**) عنه تعالى (**إليك سبيلاً**) أي طريقا فتكون ممن ذرأه الله تعالى لجهنم كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ إلى قوله:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾[1]

وما أحسنَ ما قيل:

إذا كنت في وقتٍ عنِ الحقِ غافلاً	فأنتَ به في الكفرِ لكن بخِفيةِ
فإن دُمْتَ في ذا الحالِ صاحبَ غَفْلةٍ	يَنَلْكَ عَن الإسلامِ بعدٌ بجفوةِ

(**وما أحسن ما قيل**) في هذا المعنى من النظم: (**إذا كنت**) يا أيها المريد (**في وقت**) من الأوقات (**عن شهود الحق**) سبحانه وتعالى (**غافلاً**) لاشتغالك بمشاهدة الأكوان من حيث هي أكوان لا من حيث هي مظاهر الإلهية، وإلا فلا شهود للحق تعالى إلا بها إذا الأثر لا يَشهد إلا أثراً مثلَه، (**فأنت**) في ذلك الوقت (**به**) أي بالحق تعالى (**في الكفر**) لأنه في اللغة بمعنى الستر، ومنه يقال للزارع كافر، لأنه يَكفر الحب أي يستره بالتراب. وسمى الكافر لأنه مستور في كُمِّه.

والغفلة عنه الله تعالى الاشتغال بشهود كون من الأكوان وذلك الكون حجاب على الله ساتر له في بصيرة ذلك الغافل، والستر هو الكفر. والأكوانُ جميعها مع كونها مظاهر إلهية هي حجب أيضا للإلهية، فهي مظاهر في بصر وبصيرة العارف به تعالى

(١) سورة الأعراف آية: ١٧٩.

وحجب في بصر وبصيرة الجاهل به تعالى، فمن شهده تعالى من الملائكة والأنبياء عليهم السلام وكذلك سائر الأولياء إنما شهده في مظاهره وهي الأكوان، لا في كنه ذاته وكنه صفاته كما يشهد هو نفسه سبحانه وتعالى، ومن غفلَ عنه تعالى وكفرَ به وعصاه إنما فعل ذلك بسبب شهود حُجُبِه وهي الأكوان أيضا.

(لكن) أنت غافل عن ذلك الكفر الذي أنت فيه الذي هو الغفلة عن شهود الحق تعالى لأجل أنه **(بخفية)** عنك فلست مستيقظاً. ومنه قول الشيخ أرسلان الدمشقي ﵁ في ابتداء رسالته المشهورة: كُلُّكَ من حيث أنانيتُك شِركٌ خفي، ولا يبين لك توحيدُك إلا إذا خرجت عنك. انتهى قوله. ويؤيده من الحديث قول النبي ﷺ «الشرك في أمتي أخفي من دبيب النمل على الصفا»[1] أخرجه السيوطي في الجامع الصغير.

(فإن دمت) يا أيها الغافل عن شهود الحق تعالى **(في ذا الحال)** أي حال وجودك في الدنيا **(صاحبَ غفلة)** عن شهوده تعالى **(ينلْك)** أي يصبْك **(عن)** دين الإسلام الذي هو دين الله تعالى كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾[2] بخلاف الدين الذي عند سائر الخلق، فهو دين الكفر لا دين الإسلام الذي عند الله، ومن كان عند نفسه وغيره من الأكوان، كان له دينُ الكفر الذي عند سائر الخلق.

فالمؤمنون كلهم في مشارق الأرض ومغاربها عند الله تعالى لا عند نفوسهم فلهم دين الإسلام بسبب ذلك، وإذا غفلوا في بعض الأحيان لم تكن غفلتهم جحوداً فهم عند الله حُكماً وهم في دين الإسلام، مثل حالة نومهم لإعطاء الأجساد حقها، وحالة ذنوبهم لإعطاء الأقدار حقها، وجميع من عداهم كافرون لأنهم عند نفوسهم لا عند

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٨٧٨١) وابن أبي شيبة (٧/ ٨٨)، والطبراني في الكبير (١٥٦٧) والأوسط (٣٦١٣)، وأبو يعلى (٥٢)، دون لفظ «على الصفا». ورواه الحاكم (٣١٠٤) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٤٠٥)، بلفظ «الذر» بدل «النمل».

(٢) سورة آل عمران آية: ١٩.

الله، فلهم دين الكفر لجحودهم شهود الحق تعالى في مظاهره الكونية شهوداً تنزيهياً، ولشهودهم لله تعالى في تخيلاتهم شهوداً تشبيهيا، وليست غفلتُهم عن ذلك مثل غفلة المؤمنين، لوجود التكذيب به عندهم والتبري منه، والله تعالى بكل شيء عليم.

ولهذا قال: (**بُعْدٌ بجفوةٍ**) أي غفلة مع جحود كغفلة الكافرين، بسبب أنك دُمْتَ صاحبَ غفلة، فأوصلتك غفلتُك إلى جحودهم الذي يجحدونه فصرتَ مثلهم حتى ترجع عن غفلتك إلى شهودك وتستغفر الله تعالى مما فرط منك

وظهور الأغيار يكون من رؤية الألوان الأشكال ويكون من مطالعة الكتب ومن الصحبة المعروفة

(**وظهور الأغيار**)[1] في قلب المريد إنما (**يكون من رؤية الألوان**) المتنوعة الكثيرة (**والأشكال**) المختلفة المتعددة قبل أن تقوى بصيرته في شهود الواحد في الكثرة، كما قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ ﴾[2] ولم يأمرهم أن يغضوا جميع أبصارهم بل يغضوا منها.

ومظاهر الحق تعالى وهي هذه الأكوان على قسمين مظاهر جمالية ومظاهر جلالية، والمظاهر الجمالية أقرب لشهود الحق تعالى فهي التي لم يأمر تعالى بالغض منها لأنها توصل إلى شهوده تعالى وهو المطلوب، والمظاهر الجلالية هي التي أمر الله تعالى بالغض منها لأنها أخفى في ظهوره تعالى، لأن جمالها زاد فصار جلالاً، والجمالية لَطُفَ جلالُها فكانَ جمالاً، والكل جمال، ولهذا ورد: «إن الله جميل يحب الجمال»[3] وكان جمال آدم ويوسف عليهما السلام أدنى من جمال نبينا ﷺ فظهر عليهما حتى رآه العام

(١) حصول في (ب).

(٢) سورة النور آية: ٣٠.

(٣) رواه مسلم (١٣١)، وأحمد في المسند (٣٦٠٠)، والحاكم (٦٨)، وغيرهم.

والخاص، وجمال نبينا ﷺ زاد فلم يره إلا الخاص دون العام، كما ورد أن يوسف ﷺ «أعطى شطر الحسن»[1]، ونبيُنا ﷺ أعطى الحسن كله.

وحفظ الفروج إشارة إلى حفظ القلوب من أن يقع فيها تصور الجمال الحسي عند رؤيته من حيث هو صورة جمالية، لأن الله تعالى منزه عن جميع الصور كما قررناه في غير هذا الموضع.

ويكون خطور الأغيار أيضا (من) كثرة (**مطالعة الكتب**) وتفهم معانيها، مع الغفلة عنه تعالى والذهاب عن شهوده، وكذلك من تعلم العلوم وتعليمها مع الذهول عن الحق تعالى في ذلك، فإن أمكن المريد أن يشتغل بذلك مع دوام الشهود والحضور فليفعل، وإلا فاشتغاله بدوام الشهود والحضور مع الله تعالى أولى.

وهو المتعين عليه لأن الغفلة عنه تعالى كفر إذا اقترنت بجحود شهوده تعالى في الأكوان، وأما إذا لم تقترن بذلك فهي حالة نقص في كمال الإنسان فتجنبها أولى، إلا مقدار الضرورة المعاشية كيلا توصلَه إلى الجحود ولو بالقلب.

فالواجب على كل مكلف أولاً أن يؤمن بظهور الله تعالى في مظاهر أكوانه من غير تشبيه ولا تكييف على حد ما بيناه في غير هذا الكتاب إيماناً بالغيب، ويمحو من خاطره جميع ما كان عليه من قبل إن أراد أن يدخل في مداخل أهل المعرفة الإلهية والإيمان الكامل ثم يسعى في شهوده ما آمن به بالغيب ويشتغل مع ذلك بمطالعة الكتب وتعلم العلم أو تعليمه مع المحافظة على إيمانه بالشهود وطلبه له وسعيه في تحصيله، وإن لم يمكنه ذلك فاشتغاله بطلب الشهود أنفع له لأن الموت قريب والحق رقيب.

---

(١) رواه مسلم (٢٣٤)، وأحمد (١٢٠٤٧)، وابن أبي شيبة (٣/ ٤٥٢).

ويكون خطور الأغيار أيضاً **(من الصحبة المعروفة)** بين الناس وهي المنادمة والمسامرة لمن لم يقوى في شهود الحق تعالى قال تعالى:﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ ﴾[1] فعلمنا أن القليل من نجواهم فيها خير وهي نجوى أهل القوة الشهودية وهم قليلون ولهذا قيد الصحبة بالمعرفة، وأما صحبة أهل القوة الشهودية فغير معروفة.

> **فينبغي للسالك إن يكون أياماً بغير ملاحظة الأغيار ثابتا في صحبة شيخ(الحضور)[2] صاحب صولة في الصدق، فيتم له سعادة المعية ليحصل له ببركته ملكة الحضور والجمعية، فمن مَلَكَ الحضور يحصل له الرضا والتسليم اللذان هما نهاية العبودية والعبادة.**

(فينبغي للسالك) في طريق الله تعالى **(أن يكون أياماً)** مستغرقاً مستهلكاً مضمحلاً بالكلية في شهود الله تعالى **(بغير ملاحظة الأغيار)** قائماً **(ثابتاً)** على الخدمة **(في صحبة شيخ)** من أهل الله تعالى العارفين به، **(صاحب صولة)** في الصدق وصحة الحال على قدم الرسوخ، لا تزعزعه الجبال، **(فيتم له)** أي للسالك المذكور به أي بذلك الشيخ **(سعادة المعية)** أي الملازمة له والكون معه أين كان، فإنها سعادة كاملة وفضيلة شاملة لالتقاط فوائده والجلوس على أطايب موائده **(ليحصل له)** أي ذلك السالك **(ببركته)** أي ببركة الشيخ المذكور **(ملكةٌ)** أي قوة وعادة **(الحضور)** مع الله تعالى في جميع الأوقات أو غالبها وملكة **(الجمعية)** بالله تعالى في جميع الوجود.

(فمن ملكَ الحضور) بحيث صار إذا شاء حضر وإذا شاء غاب **(يحصل له)** مقام **(الرضا)** بالقضاء على كل حال ومقام التسليم للخالق الحكيم **(اللذان هما)** أي الرضا والتسليم **(نهاية العبودية)** التي يتصف بها كل عبد وهي التذلل لله تعالى، ولا تذللَ أكثر

---

(٢) سورة النساء آية: ١١٤.

(٢) نسخة المتن المحفوظة بدار الكتب.

من اللحوق بالعدم للوجود[1] الحق تعالى فهو حقيقة العبودية، فمن تناهت فيه أثمرت **(الرضا والتسليم)** ضرورة عدم وجود من يمانع و يعارض (و) نهاية **(العبادة)** وهي إطاعة الله تعالى في الأمر والنهي، فإن غاية المطيع الرضا والتسليم أيضا.

وكمالُ الإسلام في التسليم والتفويض، فإن صاحب مقام التسليم لو طُوِّقَ في رقبته طوقَ اللعنة كإبليس، لكان راضيا من حيث إنه قضاء الحق تعالى، كمثل رضاه بإيمانه وإسلامه، لأن الطالب الصادق راض بقضاء الله تعالى وتقديره، لا بفعل نفسه.

(وكمال الإسلام) إنما هو في **(التسليم لله)** تعالى **(والتفويض له)** تعالى لا يختلج في خاطره لوم على شيء من أمور الأقدار الإلهية بزيادة أو نقصان على كل حال.

(فإن صاحب مقام التسليم) والتفويض **(لو)** فرضنا أنه **(طُوِّق)** أي طوقه الله تعالى بمعنى وضع له الطوقَ وهو القيدُ من الحديد **(في رقبته)**، وكان ذلك الطوقُ طوقَ **(اللعنةِ)** وهي الطرد والبعد من رحمه الله تعالى **(كإبليس)** عليه اللعنة لكان أي صاحب مقام التسليم **(راضياً)** بذلك مختاراً له على غيره **(من حيث إنه قضاء الحق تعالى)** عليه أي حكمه وأمره **(وتقديره)** أي مقتضى إرادته المخصِصَة[2] له في الأزل، وذلك لأنه يعلم قطعاً أن قضاء الله تعالى وتقديره على مقتضى إرادته تعالى، وإرادتُه تعالى على مقتضى علمه، وعِلْمُه تعالى على مقتضى ما هو عليه ذلك العبد في حضرة إمكانه وهو معدوم، فما أعطانا إلا ما أخذ منا، وما أخذ منا إلا ما أعطته ذواتُنا الممكنة في عالم عدمها، وما أعطته ذواتنا الممكنة في عالم عدمها إلا ما أخذته منه في ظهوره بها لها، فمنه بدأ الأمر وإليه يعود. ولنا في مبحث القضاء والقدر كلام طويل ذكرناه في كتابنا «المطالب الوفية».

---

(١) اللام هنا للتعليل، أي لأجل الوجود الحق.

(٢) أي التي رجحت ظهوره في وقت ومكان وعلى هيئة خاصة به.

(**مثل رضاه بإيمانه**) أي تصديقه وإعلامه أي انقياده وإسلامه أي انقياده للأمر والنهي باطناً وظاهراً فإن رضاه بذلك محقق على مقتضى ما ذكرنا (**لأن الطالب**) لله تعالى (**الصادق**) في طلب ذلك (**راضٍ**) باطناً وظاهراً (**بقضاء الله تعالى وقدره**) لما ذكرنا من علمه ذلك ولقطعه أن مراد الله تعالى أتقن وأكمل من مراد غيره تعالى، لأنه مقتضى الإرادة القديمة، ومراد غيرِه تعالى مقتضى الإرادة الحادثة، وشتان بين الإرادتين فشتان بين المرادين.

(**لا**) راض (**بفعل نفسه**) لعلمه بأنها أم الخبائث لقوله ﷺ في الحديث القدسي «عاد نفسك فإنها انتصبت لمعاداتي»[1] والتي انتصبت لمعاداة الله تعالى لا أخبث منها فكيف يرضى المسترشد بفعلها وإن كان خيراً بحسب ما يظهر لها، فهو خير عندها وهي خبيثة، وهو شر في الحقيقة عند القلب، ولهذا أجمع المحققون أن النفس لا تصدق القلب ولا يكذب.

وإذا وقع للطالب أمر مكروهٌ وحصل التفاوتُ عنده فهو عبدُ نفسِه، وإن لم يحصل عنده تفاوتٌ فهوعبد ربه، وهذا أصلُ كل أمرٍ وأساسُه.

(**وإذا وقع للطالب**) المذكور (**أمر مكروه**) من أمور الدنيا والآخرة (**وحصل التفاوت**) بينه وبين الأمر المحبوب (**عنده**) أي عند ذلك الطالب من حيث إنه مكروه ومحبوب لا من حيث أنه مراد الله تعالى أو من حيث أنه مدرك كذلك طبعاً لا اختياراً (**فهو**) أي ذلك الطالب حينئذٍ (**عبد نفسِهِ**) من حيث إنه دخل تحت ربوبية نفسه وترك

---

(١) ذكره الآمدي في الإحكام في أصول الأحكام (١٥٠)، والبزدوي في كشف الأسرار (٤٩٢) ولفظه عنده **أوحى إلى داود** عليه السلام **عاد نفسك فإنها انتصبت لمعاداتي. وذكره في تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق باب الحج عن** الغير (٥/ ١٣٩) وذكره سيدي اسماعيل حقي في روح البيان بلفظ **عاد نفسك يا داود فقد عزمت على معاداتك،** (١٢/ ٤٩٦)، وذكره العارف القشيري في لطائف الإشارات (٧/ ٤١٤) بلفظ «**عادِ نَفْسَكَ فليس لي في المملكة مُنَازِعٌ غيرها**».

ربه، فكلُ مطاعٍ ربٌّ، وكلُّ مطيعٍ عبدٌ. والله تعالى أخذ علينا عهداً في الدخول تحت ربوبيته في قوله تعالى في عالم الذر﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾[1] فقلنا ﴿ بَلَى ﴾ لعلمه تعالى بنسياننا ربوبيته فينا ودخولنا تحت ربوبية أنفسنا، فمن لم يرض بالله رباً رضاء فعلياً لا خيالياً أو قولياً فإنه رضي بنفسه رباً فكان عبد نفسه.

(**وإن لم يحصل عنده**) أي عند ذلك الطالب (**تفاوت**) بين المكروه له والمحبوب من حيث مراد الله تعالى - وإن تفاوتَ عنده طبعا لضرورة اقتضاء المكروه والمحبوب لما خلق له من التفاوت في تخصيص الإرادة الإلهية لذلك، وفي إدراك التفاوت الطبيعي اتباعُ الإرادة الإلهية، وفي إدراك عدم التفاوت الاختياري اتباع الإرادة الإلهية أيضاً، والرتبة الأولى أعلى ولهذا بكى النبي ﷺ يوم موت ابنه إبراهيم وبعض الأولياء ضحك يوم موت ابنه.

(**فهو عبد ربه**) لا عبد نفسه لإطاعته ربَّه ومخالفته نفسَه، (**وهذا**) المقام المذكور وهو عدم التفاوت فيما يختار له ربه دون نفسه (**أصل كل أمر**) من أمور أهل الطريق إلى الله تعالى وأساسه الذي ينبني عليه

فبهذا ينبغي لك أيها السالك أن تكون دائماً على كل حال له عبداً كما أنه تعالى وتقدس دائماً رباً، ولله در القائل:

إذا كان في مدح وذم تفاوتٌ ... لديكَ فأصناماً لَعمري تعبدُ[2]

وهذا أصل اتفقت عليه أكابر الخواص في سائر الطريق وذكروه في كتبهم

(**فبهذا**) أي بسببه (**ينبغي لك أيها السالك أن تكون دائماً**) على كل حال من خيرٍ أو شر حصل منه لك له أي لله تعالى (**عبداً**) مطيعاً لم تعص أمره التكليفي كما أنك لم

(١) سورة الأعراف آية: ١٧٢.

(٢) في متن ابن علان: فعابدُ أصنامٍ لَعمري جَنانُك

تعص أمره التكويني فتدخل من التكلف إلى التكوين ومن أحد الأمرين إلى الآخر فتكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾[1] **(كما أنه تعالى)** عن مشابهتك **(وتقدس)** عن معرفتك له **(دائماً)** على كل حال حصل منك من خير أو شر لك **(ربا)** حافظاً رازقاً.

(ولله درُّ القائل) في هذا المعنى من النظم: **(إذا كان)** أي وجد وحصل **(في)** صفات **(مدح)** لك من الغير **(و)** صفات **(ذم)** لك منه **(تفاوت)** اختياري كما ذكرنا، **(لديك)** يا أيها السالك **(فأصناماً)** مفعول مقدم **(لعمري)** أي وحق إقراري لله تعالى بالتعمير أي البقاء وهو قسم صريح **(تَعبُدُ)** من دون الله تعالى وتلك الأصنام في خواطر نفسك.

(وهذا) أي كونك دائماً عبداً له كما أنه دائماً رب لك **(أصل)** عظيم **(اتفقت عليه أكابر الخواص)** من الصوفية المحققين **(في سائر الطريق)** إلى الله تعالى **(وذكروه في كتبهم)** واختبروه فيما بينهم.

والله سبحانه الموفق، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين والمرسلين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

(والله سبحانه الموفق) لا غير لمن أراد توفيقه **(والحمد لله رب العالمين)** وقد سبق بيان ذلك **(وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد خاتم)** بفتح الخاء وكسرها **(النبيين والمرسلين)** كلهم وعلى آله وصحبه كما سبق بيانهم **(والتابعين)** جمع تابعي وهو من لقي الصحابي مؤمناً بما هو عليه من الحق ومات على ذلك **(لهم)** أي للآل والصحب **(بإحسان)** في الاعتقاد والعمل **(إلى يوم الدين)** وهو يوم القيامة وله أسماء كثيرة.

---

(١) سورة الأنبياء آية: ٢٧.

قال المصنف الشارح ﷺ وهذا أخر ما تشرفنا به في خدمة هذه الرسالة المباركة نفعنا الله تعالى ونفع إخواننا المسلمين [بها](1) وبشرحها هذا على حسب ما اقتضته إرادة الرب المعين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قال المؤلف رحمه الله وقد فرغنا من تصنيف هذا الشرح المبارك بعون الله تعالى صبيحة نهار الجمعة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ١٠٨٧ [على يد الحقير الفقير عبد الغني النابلسي أخذ الله بيده وأمده بمدده وإخوانه وأحبابه أجمعين آمين](2).

والله سبحانه وتعالى الموفق والحمد لله رب العالمين

---

(١) سقط من (أ).

(٢) زيادة من (ج).

ترجمة محقق الكتاب

العارف بالله سيدي الدكتور جودة محمد أبو اليزيد المهدي الحسيني

شيخ الطريقة النقشبندية الخالدية الجودية

بقلم خويدمه الفقير محمد عبد القادر نصار

ولد ﷺ سنة ١٩٤٤م من أب وأم شريفين فأبوه سيدي محمد أبو اليزيد المهدي حسيني النسب وأمه سليلة القطب الأفخر سيدي جودة بن إبراهيم جمعت عن القطب المذكور النسبتين الحسنية والحسينية.

أما والده فهو من قرية الزمرونية بمركز كفر شكر بالقليوبية وكناه شيخه سيدي الشيخ جودة بأبي يزيد أو أبي اليزيد إشارة لما يكون من حاله من لحوق بحضرة لسطان العارفين سيدي أبي يزيد البسطامي، ولأن بالقرية ضريحاً لسلطان العارفين سيدي أبي يزيد البسطامي ﷺ وهو واحد من عدة مقامات له بمصر.

وقد انتقل والد شيخنا سيدي محمد أبو اليزيد للإقامة بطنطا بعد انتقاله شيخه سيدي الشيخ جودة بإشارة منامية رأى فيها شيخه يقذفه في الهواء ليحط تحت القبة الأحمدية المباركة بطنطا.

وكان مولد مترجَمنا في قرية والدته (العزيزية) التي كان بها مولد ومنشأ القطب الجودي بمحافظة الشرقية - وإليها ينسب العلامة العزيزي شارح الجامع الصغير للإمام السيوطي. وحفظ كتاب الله بكُتَّاب القرية صغيراً ثم التحق بمعهد طنطا الأحمدي الشهير صنو الجامع الأزهر حيث تلقى العلم على كبار العلماء مثل العارفين الشيخ محمد صابر حجاب شقيق سيدي أحمد حجاب المدفون بمسجد سيدي أحمد البدوي ﷺ، وكذا على العارف الشهير الشيخ محمد خليل الخطيب.

وقد نشأ شيخنا على مذهب مشايخه المصريين شافعياً أشعرياً والحمد لله على الانتساب لأهل السنة والجماعة

ثم انتقل للدراسة الجامعية في منتصف الستينات من القرن العشرين فدرس بكلية أصول الدين على أيدي فطاحل العلماء والأولياء أمثال شيخ الإسلام الإمام عبد الحليم محمود والشيخ العارف محمد أبي العيون والمفسر الشيخ محمد علي أحمدين والعارف بالله الشيخ محمد علي أبي الروس الشهير بأمين أبي الروس، وغيرهم .

وطلب يوماً سيدي عبد الحليم محمود من طلابه في الفرقة الأولى بحثاً عن سيدنا حجة الإسلام الغزالي ، فلما اطلع على بحث شيخنا وهو لم يزل في شرخ الشباب طلب منه أن يدرس المحاضرة بدلاً من الشيخ بقاعة الشيخ محمد عبده الكبيرة بكلية أصول الدين، وشيخنا لما يجاوز الحادية والعشرين من عمره بفضل الله تعالى. وقد صدقت فراسة شيخ الإسلام الولي فيه فصار بفضل الله التام أشهر المدافعين عن الأولياء ضد المنكرين والحمد لله على الدوام.

وتخرج من الكلية في نهاية الستينات وكان ترتيبه الأول على دفعته وعين معيداً بالكلية، ثم لما أنشئت كلية أصول الدين بطنطا عاد إلى مستقر والده سيدي محمد أبي اليزيد التي رحل إليها بعد انتقال شيخه كما تقدم أول الترجمة.

وحصل سيادته على درجتي الماجستير بامتياز وكانت أطروحته للماجستير عن حقيقة الإيمان ودعائمه في ضوء القرآن الكريم ثم نال درجة الدكتوراه في التفسير بامتياز سنة ١٩٧٧ وكانت رسالة الدكتوراه عن منهج الإمام أبي الحسن الواحدي في التفسير.

وعين عميداً لكلية أصول الدين سنة ١٩٩١ ثم انتدب قائماً بأعمال عميد كلية القرآن الكريم فجمع بين العمادتين ثم عين عميداً لكلية القرآن الكريم خاصة، ولم يكن للكلية مبنى خاص بل كانت تستضيفها كلية أصول الدين بأحد طوابقها، حيث لم تتوفر لها للأسف مقومات البناء حال بدء الدراسة فيها، فسعى شيخنا سعياً حميداً فريداً

أثناء توليه عمادتها في رفع بنائها حتى لو قيل بناها ما كانت مبالغة، واستمرت جهوده تلك ولم يزل بعد أن تولى منصب نائب رئيس جامعة الأزهر. وهذه منقبة من أجل مناقبه ﵁ ألا وهي إدارته وتوجيهه أرفع معهد علمي يعمل في خدمة كتاب الله بعد أن خدم القرآن تفسيراً وعلومَ قرآن مدى عمره المبارك مد الله فيه آمين.

وقد من الله عليه بالنشوء محاطاً بتربية أكابر الأولياء والحمد لله، فجده هو العارف الكامل مولانا الشيخ جودة إبراهيم النقشبندي أشهر خلفاء الإمام المحدث مسند عصره وحافظه سيدي أحمد ضياء الدين بن مصطفى الكمشخانوي صاحب راموز الأحاديث وشرحه لوامع العقول في خمسة مجلدات وللكتاب وشرحه الشهرة التامة في بلاد الأتراك. وعن هذا القطب الهمام تلقى أساطين العلماء الإسناد الحديثي، كالعلامة محمد بخيت المطيعي الحنفي والعلامة محمد زاهد الكوثري والشيخ محمد بن سالم بن طموم المنوفي وغيرهم رحمهم الله.

فطريق النقشبندية انتسب إليه جهابذة العلماء والحفاظ كالسيد الشريف الجرجاني والعلامة عبد الحكيم السيالكوتي والإمام عبد الغني النابلسي والشاه ولي الله الدهلوي وولده الشيخ عبد العزيز الدهلوي صاحب التحفة الاثنى عشرية،وخاتمة الفقهاء ابن عابدين الحنفي وخاتمة المفسرين الآلوسي، وكان الضياء الكمشخانوي قد تلقى الإسناد والطريقة من سيدي أحمد بن سليمان الطرابلسي الأروادي، من أجل خلفاء مولانا خالد النقشبندي ﵁.

وقد تلقى سيدي الشيخ جودة إبراهيم (جد شيخنا للأم) الطريق من الإمام الضياء بإشارة منامية من حضرة سيد الوجود سيدنا محمد ﷺ، كما أعطاه له الإمام الكمشخانوي بأمر محمدي كذلك.

وقد انتهت رئاسة الطريق في عصر القطب الجودي إليه وأقر أولياء الله العارفين بهذا الإقرار التام، وقد سئل العارف بالله الشيخ محمد الأشموني عن أولياء عصره فظل

يكاشف سائله بمراتبهم حتى سأله عن القطب الجودي ذي القدم العيسوي المحمدي فقال: الشيخ جودة طيب قوي قوي قوي قوي (وظل يكررها بكثرة مذهلة) ثم قال : نفع الله به المسلمين .

وانتقل سيدي الشيخ جودة إبراهيم إلى جوار ربه سنة ١٩٢٨ م واشتهر بلقب «وزير النبي» ومرتبة الوزارة هي التي أشار مولانا علاء الدين العطار خليفة شاه نقشبند الأكبر ﷺ وسيدي عبد الغني النابلسي قدس الله سره إلى تحصيل السالك النقشبندي لها بطريق المراقبة ، فكان لسيدي الشيخ جودة إبراهيم مزيد اختصاص بهذه المرتبة حتى عرفت به وعرف بها.

ويشهد للوزارة المحمدية قوله ﷺ كما عند الترمذي والحاكم «ما من نبي إلا له لكل نبي وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض ، فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل، وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر». فتحصل من هذا أن جد شيخنا ﷺ نال هذه الخلعة الشريفة وراثة من حضرة الصديق الأعظم شيخ الطريقة النقشبندية ﷺ.

ومعروف أن للطريقة ثلاثة أسانيد، واحد لمولانا أبي بكر الصديق ﷺ واثنين لسيدنا علي ﷺ، أحدهما سلسلة آل البيت المسماة بسلسلة الذهب ، فهي الجامعة بين مشربي آل البيت والصحابة والحمد لله تعالى على ذلك.

وخلف سيدنا الشيخ جودة الكبير خلفاء كثيرون ملأوا الأرض نوراً، وأَخصُّ هؤلاء الخلفاء ثلاثة: وهم مولانا الشيخ محمد أبو يزيد والد شيخنا الدكتور جودة المهدي المترجم له، ومولانا الشيخ عليوة عطية المسلمي، وسيدي الشيخ عيسى جودة نجل سيدي جودة إبراهيم الذي تلقى منه كاتب الترجمة العهد أولاً سنة ١٩٩٢م ثم التزمنا شيخنا المترجم له وتشرفنا بالتجديد عليه، ولكلٍ من الخلفاء الثلاثة المذكورين من المناقب والرسوخ التام والعلو على الدرجات ما تقر به العين والحمد لله على المنة ألف ألف مرة.

ولعلي هنا أسرد ما حدث به العارف بالله الشيخ عبد الجليل قاسم خليفة الشيخ عبد الفتاح القاضي الشاذلي شيخ الإمام عبد الحليم محمود رضي قدس الله أسرارهم عن الولي المكاشف بالعزيزية الشيخ صالح الهُربيطي حيث أخبر شيخنا أن أباه رضي الله عنه تنازعه قطبان عظيمان هما سيدي أبا الحسن الشاذلي وسيدي أحمد البدوي، إذ رأى الشيخ الهربيطي سيدي أبا الحسن يقول لسيدي أحمد البدوي يا سيد أحمد اترك لي أبا اليزيد ينتفع به من يجيء إلي في حميثرا، فقال سيدي أحمد ما معناه على العين والرأس يا سيد أبو الحسن ، ولكن انتفاع الناس به في طنطا يكون أكبر لكثرة الزائرين ، فكان المقام بطنطا في الجوار الأحمدي ، وهناك نال القطب أبو اليزيد الخلعة الأحمدية زيادة على الخلعة الجودية النقشبندية فتمت له الخلافتان وناداه العارف بالله الشيخ أحمد حجاب الأحمدي برئيس الدولة وكان سيدي الشيخ حجاب من الأوتاد الأربعة. فافهم الإشارة!!

فكان من نصيب شيخنا أن اجتمعت فيه الخلافتان النقشبندية والأحمدية كوالده، بل رأى بعض الأحمدية الذين افتقدوا شيخاً في الطريقة سيدي أحمد البدوي يأمرهم بأخذ العهد النقشبندي من مولانا الدكتور جودة أبو اليزيد وقال في تلك الرؤيا للرائي (اذهب إلى جودة فهو بابنا) فبالله ما أعظمها من منقبة وياله من شرف يفدى بالمهج، وكيف لا وقد تسنم هذه الخلافة من قبل أساطين الأولياء مثل الخليفة الأول للقطب البدوي سيدي عبد العال الفيشاوي القطب الأكبر سيدي إبراهيم المتبولي وسيدي أحمد الفرغل وسيدي الإمام الشعراني وسيدي شيخ الإسلام الإمام شمس الدين الحفني قدس الله أسرارهم - انظر تراجمهم في طبقات الإمام الشعراني وفي جامع كرامات الأولياء لسيدي النبهاني وغيرها لتعلم أي منصب هو - والحمد لله أن جعل الفقير واحداً من المنسوبين لشيخي خليفة القطبين سيدي أحمد البدوي وسيدي جودة بن إبراهيم العزيزي.

وقد جاءت شيخنا إحدى الصالحات السالكات في الأحمدية وقالت له أمام المقام الأحمدي: أريد العهد الأحمدي منك، فقال لها أنا أعطي النقشبندية على مدد مشايخنا، فأبت إلا الأحمدية، فنظر شيخنا إلى المقام الأحمدي مستأذناً مأذوناً من الجناب الأحمدي وأعطاها الطريق فكان الموقف كله إشارة إلى تمام التحقق بالنسبتين.

وهذا الاجتماع بين النسبتين قليل في العهد، وقد سبق الإمام الشعراني إلى التأسيس له في إشارة في أوائل «لواقح الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية» حيث ربط بين كرامة كشف اللثام الأحمدي التي استشهد فيها سيدي عبد المجيد وأدب النقشبندية في بلاد العجم بعدم النظر في وجه مشايخهم، وأسس لهما من وقائع المتقدمين بما روي عن سيدي أبي يزيد البسطامي لما نظر إليه أحد السالكين فخر من وقته!! وسيدي أبو يزيد البسطامي من شيوخ السلسلة النقشبندية، حتى ذكر سيدي مصطفى البكري في بعض كتبه أنه طلب منه النقشبندية في المنام، فقال له سيدي أبو يزيد: ألم تنلها من الشيخ عبد الغني النابلسي فقال بلي ولكن لي رغبة في أخذها عنكم فأعطاها له.

وممن سبقت له وقائع من شيوخ النقشبندية مع سيدي أحمد البدوي سيدي على البولاقي النقشبندي الشهير بسيدي علي حكشي والمدفون مع السلطان أبي العلاء الحسيني ﷺ أنه كان يسير من القاهرة إلى طنطا يومياً لزيارة القطب البدوي. وقد كان سيدي علي من جملة شيخ سيدي أحمد بن سليمان الطرابلسي الأروادي شيخ مشايخنا الذي ذكر في رسالته الأكبرية أن سيدي على المذكور تولى قطبانية القطر المصري، فأعظم بتلك المناصب العالية، فإن مدد القطب البدوي من القوة بحيث لا يكون خلفاؤه الباطنيون إلا من أكابر الأكابر، ومنهم شيخنا ﷺ. وكيف لا وقد بشره والده بغاية المقامات.

وقد حج شيخنا واعتمر ولا يترك عمرة في رمضان كل عام، ومنذ عدة سنوات أخبره أحد العارفين أنه سمع سيدنا رسول الله ﷺ من برزخه يخاطب سيدة نساء العالمين مولاتنا السيدة فاطمة الزهراء ﵂ يقول: إن لجودة عندنا لزلفى وحسن مآب. فكفى بها منقبة، وهذا هو القدر الذي أذن لنا في إذاعته على بعد إلحاح شديد على كره منه ﵁.

وهذا كله مع الخفاء التام وهضم النفس على التمام والتبري من الدعوى وعدم التميز على الناس بسمت ولا ملبس، فلله در هذا الكامل المالك لزمام أمره على الدوام.

مؤلفاته

وقد ألف شيخنا المؤلفات الكثيرة التي تربو على الثلاثين جلها في التصوف والتفسير، ناهيك بمقالاته وردوده في الذب عن التصوف وأئمته. ولعل أشهرها الآن كتاب «أعلام الصوفية» الذي ترجم فيه لخمسين ولياً منذ القرن الثاني الهجري وحتى عصرنا هذا. ألفه في ريعان شبابه مسلسلا بمجلة منبر الإسلام ثم زاد فيه لدى طباعته تراجم سيدي الشيخ جودة إبراهيم وخلفائه الثلاثة المتقدم ذكرهم، وأعيد طبعه العام الماضي بعد نفاد طبعته الأولى.

ومنها كتابه المؤسس تأسيساً جديداً لتراجم الصوفية في ترجمة العارف البدوي المسمى «حقيقة القطب النبوي السيد أحمد البدوي».

وله «كتاب النفحات الجودية في الطريقة النقشبندية» وهو عمدة في معرفة الطريقة، شرفنا بالعمل فيه والتوفر على طبعه.

وله كذلك: «الإيمان والتقوى في القرآن الكريم» الصادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة.

وله «هدي النيرين في سيرة سيد الكونين» وطبع بعد ذلك في دار غريب للنشر باسم «أعظم المرسلين من المولد إلى المبعث».

وله «الاتجاه الصوفي عند أئمة تفسير القرآن الكريم».

وله كذلك تحقيق كتاب «مناقب القطب الرباني سيدي عبد الوهاب الشعراني» للعلامة محي الدين المليجي بمشاركة الفقير كاتب هذه الترجمة. كما شارك بالتعليق في كتاب «الميزان الذرية المبينة لعقائد الفرقة العلية» لسيدي عبد الوهاب الشعراني نفسه ووجه كثيراً من عباراته الموهمة، وبين مقاصد الكتاب وفوائده كما بيناه في مقدمته.

ويصدر له بالتزامن مع هذا الكتاب «مفتاح المعية في دستور الطريقة النقشبندية» لسيدي عبد الغني النابلسي عن الدار الجودية كهذا الكتاب.

كما يصدر له الإصدار الأول من موسوعة «التصوف روح الإسلام» عن دار غريب بالتزامن مع هذا الكتاب كذلك.

وله كتب متفرقة في تفسير بعض سور القرآن الكريم لعل الله أن ييسر له إتمام تفسيره وهي تفاسير سورة البقرة والأنعام وياسين والحجرات.

وهو دائم الحضور للقاهرة لزيارة آل البيت الأطهار فيأتيهم مرة كل أسبوع على عادة والده رضي الله عنه.

كما يقوم **شيخنا** بالتدريس في الأكاديمية الصوفية بالعشيرة المحمدية بالقاهرة.

وكان **له درس أسبوعي في** تفسير القرآن بمسجد سيدي أحمد البدوي استمر نحو سنة ونصف انتهى فيه من تفسير غالب سورة البقرة! وندعو الله أن يمده من الصحة والفراغ ما ييسر له إتمامه كتفسيره المكتوب

ثم صدر له في آخر ذي القعدة من العام ١٤٢٧ ديسمبر ٢٠٠٦ قرار بتوليه نيابة رئاسة جامعة الأزهر لشئون قطاع الوجه البحري. وله بفضل الله سعي حثيث لنصرة الأزهر وإعلاء شأنه من خلال منصبه هذا.

وله رسالة في فضائل القرآن الكريم.

وله موسوعة آل البيت مخطوطة أصلها حلقات برنامجه الشهير «آل البيت» الذي ظل يترجم فيه لمناقب آل بيت النبوة طيلة سنوات في إذاعة القرآن الكريم.

وقدم لتحقيق العلامة المحقق أحمد عز الدين خلف الله لكتاب «النصيحة العلوية في بيان حسن طريقة السادة الأحمدية» للنور الحلبي.

وصدر له كتاب في مبادئ التفسير الإشاري تطبيقاً على سورة ياسين عن العشيرة المحمدية بالقاهرة.

وفسر سورة الفتح تفسيراً إشارياً كذلك خلال هذه الدروس العظيمة.

وله مقال في كتاب «إنصاف المالكي» الذي صدر في الثمانينات بمشاركة ثلة من كبار علماء العالم الإسلامي وفيه الانتصار للسيد محمد علوي المالكي على مناوئيه، وحرر الكتاب وأشرف على طبعه. وقد وزع توزيعاً خاصاً وسنعيد طبعه لمحبي شيخنا ومحبي السيد المالكي قريباً بإذن الله تعالى.

وجدير بالذكر أن الكتاب الأشمل عن القطب الدسوقي الصادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية منذ عقود كان صدر بتوجيه والده لرئيس المجلس آنذاك السيد توفيق عويضة.

وله متفرقات كثيرة ندعو الله تعالى أن يسر لنا جمعها ونشرها.

وله مشروعات علمية كثيرة لو توفر لها الوقت، ولكن مع كل هذا فجهده الميداني في نصرة التصوف مشهود وكم يأخذ من وقته الذي لو صرف في التأليف لأتى بكل عجيبة فقد حباه الله تعالى من سعة النظر وتقصي المباحث العلمية مالم يؤت كثيراً من عباده، ومثله ﷺ لا يصدر في فعله عن نفسه بل لسان حاله :وما فعلته عن أمري.

ونخص من أصحابه بالذكر ثلة من الصالحين الأولياء فنذكر منهم السيد عمارة محمد فهمي الذي رافق الشيخ منذ سني الشباب ولا يفارقه في مناسبة صوفية ولا في الزيارة السنوية لحضرة النبي ﷺ.

ومنهم خال هذا الفقير العارف بالله الشيخ عبد الفتاح رفت النقشبندي ومقامه بميدان المؤسسة العمالية بشبرا الخيمة. تلقى عن سيدي محمد أبي اليزيد والد شيخنا ﷺ، ولما انتقل شيخه سنة ١٩٧٦ اختار - كعادة المخلصين من العارفين - ألا يتصدر بين يدي شيخنا ﷺ.

ومنهم الأستاذ الدكتور محمد حسن جبل عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة الأسبق متعه الله بالصحة والعافية.

ومنهم الأستاذ الدكتور محمد عزت عميد كلية العلوم بجامعة طنطا سابقاً.

ومنهم الدكتور أحمد القرشي محقق تفسير ابن عجيبة - أخبرني أنه استفاد من شيخنا بطريق الروحانية أثناء عمله في الماجستير والدكتوراه استفادة كاملة. وحكى لي ذلك أمام الناس بمكتبة المجلد العربي منذ خمس سنوات ولما ذكرت لشيخنا ما حكاه ظهر عليه التحرج من ذلك.

ومن أصحابه السالكين أخونا الشيخ أحمد أبو النصر مُقَدَّم الطريقة في بلد سيدي إبراهيم الدسوقي.

وقد أوجزنا في ذكر الآخذين عن شيخنا وإلا فهم بالآلاف في مصر وخارجها. كما لم نذكر من مناقبه إلا النزر اليسير، واحترزنا بذكر أشياخه السادة الأقطاب العظام عن الإفاضة في بيان فضائله الظاهرة والباطنة وإلا فالطروس تفنى دون توفية ما له من الشرف والمكانة في عالم الولاية بين المتسبين لآل بيت النبي ﷺ جسماً وروحاً.

الفهرس


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET